

نَهْجَةُ الْحَكْمِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِي الْجَزَائِر

وعوامل التَّهْيِيارَةِ

1800م - 1830م



د. أَرْزَقِي شَوَيْشَامْ



دار الكتب العربي

LAISSAOU MOHAMED
المستأجر

د. أرزقي شويتام

نهاية الحكم العثماني في الجزائر

وعوامل إنهيائه.

1800م - 1830م



دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي

الطباعة، النشر، التوزيع والترجمة
من العاصمة جدارا 309 رقم 03 القبة الحمراء

الهاتف: 021 31.44.51

الفاكس: 021.41.57.61

البريد الإلكتروني: darbook2000@hotmail.fr



عنوان الكتاب	نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إخماده 1800م - 1830م
إسم المؤلف	د. أرزقي شويبات
الطبعة الأولى	2011
التصميم الفني	مهند الجهماني
تصميم الغلاف	لويزة الحسين

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا
الكتاب أو نقله في أي شكل أو وسيلة سواء
أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير
بالتسجيل (فوتو كوبي)، أو التسجيل، أو التحويل أو
الاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

الإيداع القانوني: 1642 - 2010

رقم الكتاب: 9-88-833-9947-978

المقدمة

عاشت الجزائر في ظل الحكم العثماني ما يزيد عن ثلاثة قرون (1519م - 1830م) ولم تحظ هذه الحقبة من تاريخ الجزائر الحديث بالعناية الكافية من الدارسين الجزائريين والعرب عامة حتى الآن. فمعظم الدراسات التي تناولت هذه الفترة، كانت بأقلام الأوروبيين خاصة الفرنسيين، وهي لا تعطي لنا صورة صادقة وشاملة عن حقيقة تاريخ الجزائر آنذاك.

وقد اعتمد أصحاب تلك الدراسات أمثال "بير وجر ودان" و"دوغرامون واسكر" وغيرهم على الأرشيف الأوروبي وبعض الروايات المحلية، وأهملوا الأرشيف العربي والعثماني الذي يعتبر مصدرا مهما لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني.

ويرجع سبب اختياري الكتابة عن الجزائر في ظل الحكم العثماني ولا سيما نهايته، إلى قلة الدراسات التي تناولت الموضوع، ومن ثم عاجلت بالدراسة موضوع "نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره"، ويقصد بعبارة نهاية الحكم العثماني هنا العقود الثلاثة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر بما تشمله تلك الفترة الزمنية من سلبات وإيجابيات، ولما كانت السلبات هي ذات النطاق الأكثر اتساعا في تلك الفترة، فإنها كانت في نفس الوقت عوامل الانهيار داخليا وخارجيا.

كذلك هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في الجزائر وعلى علاقاتها الخارجية، والخروج عن إطار القضايا التقليدية التي تناولتها الدراسات الأوروبية

باستفاضة، مثل قضية القرصنة وطبيعة الحكم العثماني في الجزائر، وعلاوة
الجزائر بالدولة العثمانية.

وقد حصرت فترة دراسة هذا الموضوع في العقود الثلاثة الأخيرة من
العهد العثماني (1800-1830م)، نظرا لما تميزت به هذه الحقبة من
تغيرات وتحولات خطيرة طرأت على أوضاع الجزائر الداخلية وعلاقاتها
الخارجية.

أما عن مصادر هذه الدراسة، فقد اعتمدت على الوثائق العثمانية
الموجودة في المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر، وهي عبارة عن
الرسائل التي كان يتبادلها حكام الجزائر مع الباب العالي، والتقارير التي كان
يرسلها وكلاء الدولة العثمانية في مختلف الدول الأوروبية إلى الباب العالي.
كما كان من الضروري الاستعانة بالوثائق الموجودة في الأرشيف
الوطني بباريس وأرشيف وزارة العلاقات الخارجية الفرنسية مع تحليلها
ونقدها وإعادة تفويتها، وهذه الوثائق عبارة عن مجموعة من المراسلات
وتقارير ومذكرات أعدها القناصل والتجار والضباط الأوروبيون الذين سبق
لهم أن عملوا في الجزائر أو زاروها أثناء العهد العثماني.

وقد قسمت الدراسة إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة، تناول المدخل
لمحة عامة عن التنظيم الإداري والمراحل المختلفة التي مر بها الحكم العثماني
في الجزائر.

أما الفصل الأول، فقد عالج بالبحث والتحليل أوضاع الجزائر
السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية في أواخر القرن الثامن
عشر ومطلع التاسع عشر، وأهم العوامل التي أثرت في تلك الأوضاع.
وخصص الفصل الثاني لدراسة الثورات الريفية والصراعات الداخلية
وكيف أسهمت في انهيار الحكم العثماني في الجزائر.

أما الفصل الثالث، فقد عالج الأطماع الأجنبية الاستعمارية التي
تمثلت في الحملات العديدة التي شنتها بعض الدول الأوروبية والولايات
المتحدة الأمريكية ضد الجزائر، مما عجل أيضا بإنهاء الحكم العثماني.
أما الفصل الرابع، فقد تناول بالبحث المشاريع الفرنسية لاحتلال
الجزائر والتي انتهت بالحملة العسكرية عام 1830م، والتي وضعت حدا
للوجود العثماني في الجزائر.

أما الخاتمة، فهي عبارة عن بعض النتائج المستخلصة من الدراسة.

المختصرات

- A.N.P: ARCHIVES NATIONALES DE PARIS
 A.R.M.R.E: ARCHIVES DU MINISTERE DES
 RELATIONS EXTERIEURES UAI D'ORSY, PARIS
 B.N.P: BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE PARIS
 C.C.: CORRESPONDANCES CONSULAIRES
 C^{IE}: COMPAGNIE
 C.T: CAHIERS DE TUNIS
 IMP: IMPRIMERIE
 J.A: JOURNAL ASIATIQUE
 M.D: MEMOIRES ET DOCUMENTS
 M.U: MONITEUR UNIVERSEL
 R.A: REVUE AFRICAINE
 R.H: REVUE HISTORIQUE
 R.M.H: REVUE MAGHREBINE D'HISTOIRE
 R.O.M.M: REVUE DE L'OCCIDENT MUSULMAN ET
 DE LA MEDITERRANEE
 T: TOME
 TRAD: TRADUCTION
 TR: TRIMESTRE
 VOL: VOLUME

م م و محفوظات المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر.

مدخل

الحكم العثماني في الجزائر

عندما سقطت غرناطة، آخر معقل للمسلمين في الأندلس في يد الإسبان عام 1492م، اضطروا المسلمون إلى مغادرة الأندلس، فارتدوا من الاضطهاد الإسباني. وقد استقرت مجموعة كبيرة من هؤلاء الأندلسيين في بلدان شمال إفريقيا، ومنذ ذلك الحين بدأ الإسبان يفكرون في احتلال السواحل المغربية خشية عودة المسلمين إلى الأندلس مرة أخرى. وقد شجعهم على ذلك، ضعف البلدان المغربية التي كانت تقتصر إلى الوحدة السياسية والقيادة الحكيمة والتنظيم الشامل. وبدأ الإسبان غاراتهم على السواحل الجزائرية، فاستولوا على عدة مدن ساحلية، منها: المرسي الكبير عام 1505م، ووهران عام 1509م، وبجاية عام 1510م، وصخرة البنيون الواقعة في بوابة ميناء مدينة الجزائر.¹

ولما أصبحت مدينة الجزائر مهددة بالاحتلال، اتجه حاكمها سالم التومي مع وفد من أعيان الجزائر إلى بجاية، واجتمعوا بالقائد الإسباني بيدرو نافارو - PEDRO NAVARO - وخلال الاجتماع، اتفق الطرفان على أن يعقد السلام بين مدينة الجزائر وبين الإسبان، وأن يتعهد أهالي الجزائر بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين، وأن يسافر وفد جزائري إلى إسبانيا لعقد اتفاقية سلام مع الحكومة الإسبانية، وأن يدفع الجزائريون ضريبة سنوية للقائد الإسباني المقيم في بجاية مقابل عدم تعرض الإسبان لمدينة الجزائر.²

¹ ARAMBURU: Oran et l'Ouest Algérien au 18^e, Présentation Mohamed EL Korsu, P. 35

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1792 - 1942، ص 126 - 127. أنظر أيضا: «Etablissement de la domination turque en Algérie», in R. A N° 1873, P. 294 (E.) WATBLED.

وبناء على هذا الاتفاق، سافر الوفد الجزائري إلى إسبانيا، واتفق مع حكومتها على أن يسلم الجزائريون إحدى الجزر الصخرية "البنيون" الواقعة كما ذكرنا في مدخل ميناء الجزائر، للإسبان ليقيموا عليها حصنا يحرس تجارتهم وحرية مواصلاتهم البحرية.¹

ففي الوقت الذي كانت فيه السواحل المغربية تعاني من الغارات الإسبانية، ظهر الأخوان عروج وخير الدين، المعروفان بـ "بربروس"² في الخوض الغربي للبحر المتوسط. وقيل عن الأخوين أنهما كانا من رجال البحر، من جزيرة "مدلي" اليونانية التابعة للدولة العثمانية.³

وقد اتفق عروج وخير الدين في تلك الفترة مع السلطان الحفصي محمد بن الحسن على منحهما جزيرة جربة التونسية ليتخذا منها قاعدة لأسطولهما مقابل مشاركة السلطان الحفصي بخمس الغنائم.⁴ وبعد أن استقر عروج وخير الدين في جزيرة جربة، قاما بعدة حملات بحرية على السواحل الإسبانية، نقلًا خلالها عددا كبيرا من الأندلسيين إلى سواحل شمال إفريقيا.⁵ ومنذ ذلك الحين، ذاع صيتهما في أوروبا والمغرب العربي، مما جعل أهالي بجاية يستنجدون بهما ضد الإسبان. فاستجاب عروج لندائهم، وحاصر مدينة بجاية عام 1512 و 1514 و 1515م، ولكنه لم يفلح في فتحها، وانسحب في نهاية الأمر إلى مدينة جيغل التي اتخذها هو

¹ المدني، المرجع السابق، ص 127.

² بربروس كلمة فرنسية معناها اللحية الشقراء، أطلقها الأوروبيون على عروج وخير الدين.

³ مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، اعتنى بتصحيحه و تعليق حواشيه نور الدين عبد القادر، ص 7.

أنظر أيضا P. 17. DAN: Histoire de Barbarie et de ses corsaires (P.)

⁴ محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ص 24.

⁵ مجهول، المصدر السابق، ص 19.

تلمسان أما زيان في السجن. فأنجيه عروج إلى تلمسان، وفي طريقه إليها ترك حامية عسكرية بقيادة أخيه إسحاق في قلعة بني راشد، ولما سمع أبو حمو باقتراب عروج من تلمسان فر إلى وهران، واستنجد بالإسبان¹ وخرجت القوات الإسبانية المتحالفة مع أبي حمو وأنصاره إلى قلعة بني راشد وضربت عليها حصارا، ولما حاول إسحاق الخروج منها، قتل هو وجنوده² وبعد أن استرجعت القوات المتحالفة القلعة، وأصلت زحفها على مدينة تلمسان، وحاصرتها ستة أشهر، فاضطر عروج في النهاية إلى الخروج منها، محاولا الالتحاق بالمنطقة الساحلية حيث كانت تنتظره السفن العثمانية. ولكن القوات الإسبانية قطعت عليه الطريق وقتلته وكان ذلك في عام 1518م³. وقد أدى مقتل عروج إلى ظهور عدة انتفاضات في المناطق التي سبق أن أخضعها عروج وخير الدين، كتنس وشرشال والقبائل⁴، مما جعل خير الدين خليفة عروج يطلب من السلطان العثماني سليم الأول أن يرسل له جنودا وعتادا لإخماد الانتفاضات الداخلية، والتصدي للغارات الإسبانية. فرحب السلطان العثماني سليم الأول بطلبه، وأرسل له جنودا وعتادا⁵ وكان هدف السلطان من وراء ذلك، جعل الجزائر حصنا أماميا يحمي الدولة العثمانية من المد الإسباني والبرتغالي. ومنذ ذلك الحين، دخلت الجزائر تحت حكم السلطان العثماني الذي عين في عام 1519م خير الدين حاكما لها⁶ بلقب باي البايات⁷.

¹ WATBLED: OP. CIT., P. 357.

² مبارك بن محمد الهلالي الحلبي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ص 49.

³ (F.) SIR GODFREY: Légende barbaresque, Trad. Et noté par FARIDA HELLAL, P. 96.

⁴ الحلبي، المرجع السابق، ص 50 - 51.

⁵ (S.) D'ESTRY: Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, P. 72.

⁶ WATBLED: «Établissement...» P. 361.

⁷ باي البايات أو بايلرناي: كلمة عثمانية معناها أمير الأمراء.

¹ SHAW: Voyage dans la régence d'Alger, Trad. De l'Anglais par J. MAC CARTY, P. 125.

² (P.) BOYER: «Introduction à une histoire de la Régence d'Alger», R.H n° 478, P.U.F, 1966, P. 301

الدولة الحقيقي، فكان يفقد جلساته بانتظام ويتصرف في الأموال، ويدعى الحق في مناقشة جميع الإجراءات الحكومية ويتخذ قرارات بشأنها، ولكنه الآن، أصبح مجرد شيخ لا حول ولا قوة له¹.

وكان الحاكم في العهد الأخيرة للحكم العثماني في الجزائر يعتمد أساساً في تسيير شؤون البلاد على مجلس الوزراء المتكون من خمسة أعضاء أساسيين هم:

- ✓ الخزانجي: يشرف على الشؤون المالية.
- ✓ آغا العرب: يعتبر القائد العام للقوات البرية، ويشرف على شؤون الأهالي المقيمين في المناطق التابعة لمدينة الجزائر.
- ✓ خوجة الخيل: يتولى مهمة جمع الضرائب والإشراف على المواشي وأمالك الدولة من أراضي زراعية.
- ✓ وكيل الخرج: يدير الشؤون البحرية، ويقوم في نفس الوقت بدور وزير العلاقات الخارجية.
- ✓ بيت المالجي: يشرف على مصادرة الأملاك وصيانة الأوقاف، ويدير أمالك الأموات الذين لم يخلّفوا ورثة. ويساعد هؤلاء الوزراء في مهمتهم مجموعة كبيرة من الخوارج أو الكتاب².

¹ وليام فالر: مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر، 1816 - 1824، ترجمة إسماعيل العربي، ص 43.

(D.) أنظر: أيضا BOYER: La vie quotidienne à Alger. PP. 97-98 THAINVILLE: «Mémoire sur Alger 1809», P.122

وكذلك ناصر الدين سعيدوني "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية" نموذج مقاطعة دار السلطان، المجلة التاريخية المغربية للدراسات العثمانية العدد 5 و 6، تونس 1992 ص 255 - 265.

صلاح الفقاد، "الأحوال الاجتماعية والنظم الإدارية في الجزائر قبيل الغزو الفرنسي"، المجلة التاريخية المصرية المجلد 12 - 1964 - 1965 ص 153.

وقد قسمت البلاد من الناحية الإدارية في العهد العثماني ابتداء من عام 1565 م¹ إلى أربعة بياليك أو أقاليم، هي:

- ✓ دار السلطان: وتضم الجزائر العاصمة وضواحيها، وهي خاضعة مباشرة لسلطة الحاكم.
- ✓ بايلك التيطري: عاصمته المدية.
- ✓ بايلك الشرق: عاصمته قسنطينة.
- ✓ بايلك الغرب: عاصمته مازونة ثم معسكر وانتقلت إلى وهران بعد تحريرها من الإسبان عام 1792 م.

وكان الحاكم يعين على رأس كل بايلك "بايا". وكانت سلطة هؤلاء البايات مطلقة، وتمثل مهامهم في تسيير شؤون أقاليمهم، والإشراف على القوات العسكرية النظامية وغير النظامية، وجمع الضرائب، كما كانوا مطالبين بالتوجه إلى الجزائر العاصمة مرة كل ثلاث سنوات² ليلسوا عائدات بياليكهم إلى الخزانة العامة، ويقدمون تقاريرهم عن الأوضاع العامة في المناطق الخاضعة لهم. وكان يتم في نفس الوقت تجديد تعيينهم أو عزلهم نهائياً، وذلك وفقاً لما يقدمونه من العائدات والهدايا للداي وأعوانه³.

كان البايات يختارون في بداية العهد العثماني من ضمن الجنود الذين سبق لهم أن أظهروا قدرات وكفاءات عالية في مختلف الميادين، وعلى هذا الأساس، فإن رتبة الباي كانت تأتي مباشرة بعد درجة الأغا⁴. لكن مع مرور الوقت تغيرت طريقة تعيين البايات، إذ لم يعد الحكام يلتزمون بالشروط والمعايير المذكورة، فأصبحت هناك عدة اعتبارات تتدخل في طريقة تعيين

¹ (M.) GAID: Chronique des Beys de Constantine, P. 4.

² يتوجه خليفة الباي إلى الجزائر مرة كل ستة أشهر، كما كان للباي وكيل دائم بالجزائر.

³ (E.) VAYSETTES: «Histoire des derniers Beys de Constantine», R.A. n° 3, 1958, PP. 111-112

⁴ حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تقديم وتعرريب محمد العربي الزميري، ص 138.

البايات، منها علاقة المصاهرة مع القبائل الداخلية، من أجل القضاء على الفتر التي كانت تقع بين بعض القبائل والسلطة الحاكمة من حين لآخر. وقد قال حمدان بن عثمان خوجة عن تعيين البايات "لم يكن على الذي يريد أن يصبح بايا إلا أن يتجه لأقارب أحمد باشا ويمدهم بالأموال. لقد كانت تلك المناصب تباع وتشترى".¹

والى جانب البايات هناك مجموعة كبيرة من الموظفين الذين يشكلون دواوينهم، وهذه الدواوين لا تختلف كثيرا عن ديوان الحاكم في الجزائر.² وقد قسمت البياليك بدورها إلى عدة أوطان وقبائل ودواوير يحكمها قواد وشيوخ القبائل الذين يعينهم الباي.³ وكان البايات يعتمدون في تسيير بياليكهم على القبائل الخاضعة لهم والتي تعرف بقبائل المخزن.⁴ وعلى الحاميات العسكرية المراقبة في المناطق الحساسة عبر أنحاء البلاد. وقد تمكن الحكام بفضل هذا التنظيم من السيطرة على البلاد أزيد من ثلاثة قرون، ووصلت الجزائر في عهدهم إلى أوج عظمتها، وصمدت أمام كل الاعتداءات الخارجية، وأخمدت حركات التمرد الداخلية.

بعد هذا العرض المختصر لبعض الجوانب الإدارية على المستوى المركزي والمحلي هناك ملاحظة يجب الإشارة إليها، وهي أن تعيين الموظفين في مناصبهم بدءا من أبسط الموظفين إلى قمة الهرم الإداري، لم يكن يتم وفقا للشروط الأساسية المعروفة كالكفاءة والنزاهة والخبرة، بل كانت جل

¹ نفس المصدر، ص 150 - 151.

² VAYSETTES: OP. CIT, P. 111. انظر أيضا: محمد بن يوسف الزياتي، دليل الخيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعديلي، ص 190.

³ VAYSETTES: OP. CIT, P. 118.

⁴ قبائل المخزن، كانت تتمتع بعدة امتيازات كإعفاءها من دفع الضرائب ما عدا الضرائب التي أفراها الإسلام (الزكاة والعشور)، وفي المقابل، كانت تساعد القوات الحكومية في جمع الضرائب وإخماد حركات التمرد.

المناصب دون استثناء توزع على الأقارب أو على الأشخاص الذين لهم القدرة على دفع مبالغ مالية باهظة للسلطة، وهذا ما شجع، خاصة في العهود الأخيرة، على انتشار وتفشي ظاهرة الرشوة في المجتمع الجزائري. واستنادا إلى هذه الحقيقة، يمكن أن نجد تفسيراً لظاهرة نقص الموارد المالية التي كانت تدفع لخزينة الدولة.

كانت نسبة كبيرة من الأموال المستخلصة من الضرائب لا تصل إلى خزينة الدولة، بل كانت تذهب إلى جيوب الموظفين¹، وذلك حتى يتمكنوا من تعويض تلك المبالغ التي قدموها للحصول على مناصبهم.²

مراحل الحكم العثماني:

لقد اعتاد المؤرخون على تقسيم الحكم العثماني في الجزائر إلى أربع

مراحل، هي:

المرحلة الأولى: عهد باي البايات (1519 - 1587م)، كان لقب باي البايات يطلق على حكام الجزائر ابتداء من عام 1519م، وهو التاريخ الذي دخلت فيه الجزائر تحت الحكم العثماني بصفة رسمية. وكان أول من حمل هذا اللقب خير الدين، وكان باي البايات يعين من قبل السلطان العثماني من رجال البحر. وقد لمعت في عهد هؤلاء الحكام عدة أسماء أمثال خير الدين، وحسن بن خير الدين، وصالح رايس، وعلي علي³. ويعتبر هؤلاء الحكام من الرجال البارزين الذين أعادوا تنظيم البلاد وإخضاعها إلى سلطانهم حيث امتد حكمهم إلى الحدود التونسية والمغربية، ليصل في عهد صالح رايس إلى الواحات الجزائرية الجنوبية "ورقلة" و"تقرت" عام 1552م. وقد مكنتهم قوة شخصيتهم من السيطرة على القوتين العسكريتين البرية والبحرية، وتسيير

¹ (J.C.) VATIN: L'Algérie politique, histoire et société, P. 105.

² D'ESTRY: OP. CIT, P. 141.

³ (E.) CAT: Petite Histoire de l'Algérie, T. 1, P. 268.

شؤون البلاد بمفردهم دون الأخذ برأي الديوان. كما امتد سلطانهم إلى حكم تونس وطرابلس¹. وقد يرجع الفضل لهؤلاء الحكام في تأسيس أول نواة للبحرية الجزائرية التي سيطرت على البحر المتوسط ما يقرب من ثلاثة قرون. واسترجاع عدة مدن جزائرية من الإسبان، مثل بجاية، وصخرة البنيون، والتصدي للغارات المتتالية التي كان يشنها الإسبان على السواحل الجزائرية، ومن أشهر تلك الغارات، غارة ملك إسبانيا "شولكان" عام 1541م. وقد كانت الجزائر في ذلك العهد، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدولة العثمانية، وذلك نتيجة الخطر الإسباني الذي كان يهدد العالم الإسلامي بأسره، إلا أن الوضع قد تغير في أواخر القرن السادس عشر، إذ عندما شعرت الدولة العثمانية بالضعف وتدهور أسطولها بعد هزيمة "ليانت" البحرية عام 1571م، وانشغالها بالحرب مع القرس، وتلاشي الخطر الإسباني على الجزائر بسبب انشغال إسبانيا بالحرب مع فرنسا وهولندا والمجترات، فكرت الدولة العثمانية في أن تغير نظام الحكم في الجزائر وتونس وطرابلس خشية استقلال حكام تلك الأقطار عنها وتأسيس دولة إسلامية منافسة لها. ولهذا الاعتبار قامت في عام 1587م بإلغاء نظام باي البايات، وأقامت مكانه نظام الباشوات، كما قسمت البلدان المغاربية إلى ثلاث ولايات منفصلة عن بعضها البعض.²

¹ فارس: المرجع السابق، ص 52.

² محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 58.

أنظر أيضاً: (Y.) BOUABBA: Les Turcs au Maghreb Central du 16^{ème} au 17^{ème} P. 35

المرحلة الثانية: عهد الباشوات (1587م - 1659م)

كان الباشوات يعينون من قبل السلطان مباشرة من استانبول لمدة ثلاث سنوات. ولهذا اعتبروا موظفين غرباء عن الجزائر¹. وقد اقتصرت مهمتهم على جمع المال، وذلك لقصر مدة حكمهم². وعرفت البلاد في عهدهم عدة اضطرابات داخلية منها: احتدام الصراع بين القوتين العسكريتين البرية والبحرية، وتعدد قبائل قسنطينة، وثورة الكراغلة³. ومع مرور الوقت، لم يعد الباشوات يسيطرون على الوضع، فقد نافسهم في السلطة السياسية والإدارية الانكشارية⁴. وقد حاول خيضر باشا في عام 1596م أن يستعين بالكراغلة والأهالي للقضاء على الفرقة الانكشارية المهيمنة. ولكن محاولته باءت بالفشل⁵. ومنذ ذلك الحين اضطرت الباشوات إلى الأخذ بأراء الديوان الذي كان يسيطر عليه رؤساء الجند، فأصبحت قراراتهم تصدر بهذه

¹ (P.) BOYER: «Des Pachas triennaux à la révolution d'Ali KHODJA 1517 - 1817», R.A.N.N° 495, P. 104

² BOUABBA: OP. CIT. P. 31.

³ الكراغلة كلمة تطلق في الجزائر على المولدين من أباء عثمانيين وأمهات جزائريات الانكشارية: كلمة عثمانية مركبة من كلمتين (يكي YENI) يمش جديد، جري يمشي العسكر، يكيجري CERY العسكر الجديد، جيش من المشاة أُنشئ في عهد السلطان أورخان عام 1326م، كانت ثواته من أهل القنوي في الأناضول ثم اعتمد على أبناء نصاري البلقان بعد تتركهم وتنشئتهم على الإسلام. كان جنوده عزابا ثم سمح لهم في عهد سليم الأول بالزواج بشرط كبير السن، خسر معظم المهادك التي خاضها طوال القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر، واستعصى مع ذلك على كل محاولات الإصلاح، ورفض التدريب على فنون القتال الحديثة وقد قام السلطان محمود الثاني بإلغائه عام 1826م في موقعة الحيرية أنظر أحمد السعيد سليمان، تاصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، ص 31، وكذلك عمر عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث، المشرق العربي، ص 48 - 49.

⁴ BOYER: «Le problème Kouloughli dans le régence d'Alger», R.O.M.M n° Spécial 1970, P. 982.

الغارات "نحن باشا وديوان ميليشيا الجزائر التي لا تغلب"¹. وقد تمكن الإنكشاريون شيئا فشيئا من الانفصال عن الدولة العثمانية. ورغم الصراعات الداخلية وضعف الباشوات، فإن ذلك لم يمنع البحرية الجزائرية من مواصلة نشاطها البحري. قتمكنت خلال تلك الفترة من شن عدة غارات على المدن الأوروبية المطلة على البحر المتوسط، كرد فعل على الغارات التي كان الأوروبيون يشنونها على السواحل الجزائرية حيث شهدت العقود الأولى من القرن السابع عشر عمليات مختلفة قام بها القراصنة الطوسكانيون وقطع أسطول البلاد الإيطالية ضد مدن ساحلية من أرض الجزائر. وكان ضحايا هذه القرصنة الرجال والنساء والأطفال، الذين يتخذون عبيدا في البلاد المسيحية.²

ومهما كان الوضع، فإن الباشوات استمروا في حكم البلاد بمفردهم حتى عام 1659م، وهو العام الذي تضرر فيه الرياس من سلوك إبراهيم باشا المالي حيالهم³، فزجوا به في السجن. وكان هذا الحادث في صالح الإنكشاريين، الذين استغلوا فرصة شغل منصب الباشا ليعينوا فيه أحد جنودهم⁴ تحت اسم الأغا⁵، وهكذا بدأ عهد جديد عرف بعهد الأغوات.

¹ فارس، المرجع السابق، ص 60.

² سلفاتور، بونو، "العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد الشمالي"، ترجمة أبي القاسم التامي، مجلة الأصال، العدد 6-7، 1972، ص 102.

لمزيد من التفاصيل عن حالة الأسرى المسلمين في أوروبا أنظر: (M.) BELHAMISSI: Les captifs Algériens et l'Europe Chrétienne

³ استعمل المبالغ التي أرسلها الباب العالي إلى الرياس تعويضا عن خسائرهم التي ألحقت بسفنهم أثناء مساعدتهم للأسطول العثماني، أنظر الميلي، المرجع السابق، ص 171.

⁴ نفس المرجع، ص 171.

⁵ هناك أغا العرب وقد تكلمنا عن مهمته فيما سبق وأغا الإنكشارية أو أغا القمرين، هو القائد العام للقوات الإنكشارية، ويعزل بعد شهرين من تعيينه، ويعرف بعد ذلك بالأغا المعزول، أنظر: BOYER Introduction à une histoire... P. 301.

المرحلة الثالثة: عهد الأغوات (1659م - 1671م)

كان الأغوات يتخبون من الفوة الإنكشارية لمدة شهرين فقط، مما جعل معظم الإنكشاريين يطعمون في الوصول إلى منصب الأغا¹. ورغم وجود الباشا، فإنه جرد من كل صلاحياته². وقد تناوب على منصب الأغا أربعة أغوات، وكلهم اغتيلوا من قبل الجنود بسبب محاولة احتفاظهم بمنصب الأغا أكثر من المدة القانونية المحددة لهم، أو لمجزهم عن دفع رواتب الجنود³. وفي عهدهم شهدت الجزائر عدة اضطرابات داخلية، فاشتد الصراع بين القوتين المسكوتين البرية والبحرية، كما تعرضت البلاد إلى عدة غارات أوروبية⁴. منها غارة القائد الفرنسي "يوفور" على مدينة جيجل في عام 1664م⁵. وقد استاءت طائفة الرياس من هذا الوضع وحملت علي أغا مسؤولية الأضرار التي ألحقت بالموانئ والسفن الجزائرية، واتهمته بتقصيره في أمر البحرية، كما اتهمته الإنكشارية بتكديس الأموال، ولهذا الأسباب تم اتياله في عام 1671م. وعين الإنكشاريون خلال ثلاثة أيام مجموعة من الأغوات، ولكنهم رفضوا كلهم تولي منصب الأغا الخطير. وفي تلك الأونة استغلت طائفة الرياس الفوضى التي سادت البلاد لتعين أحد الرياس حاكما للجزائر⁶ تحت اسم الداوي⁷.

¹ CAT: OP. CIT. P. 294

² BOUABBA: OP. CIT. P. 37

³ فارس، المرجع السابق، ص 68.

⁴ نفس المرجع والصفحة

⁵ WATBLED: «Expédition du DUC de Beaufort contre DJIDJELI 1664», R.A n° 101 P.218.

⁶ فارس، المرجع، ص 69.

⁷ الداوي، كلمة عثمانية معناها الحال، وأصبحت تطلق فيما بعد على حاكم الجزائر.

المرحلة الرابعة: عهد الدايات (1671م - 1830م)

كان الدايات في بداية عهدهم ينتخبون من طائفة الرياس التي استرجعت نفوذها بعد إلغاء نظام الأغوات. ورغم هذا الانقلاب الذي حدث في نظام الحكم، فإن السلطان العثماني استمر في تعيين الباشوات إلا أن وجودهم في الجزائر كان شرفيا فقط، إذ جردوا من كل السلطات.¹

وكان الدايات الأربعة الأوائل من رجال البحر، وفي عهدهم تعرضت السواحل الجزائرية إلى عدة غارات فرنسية ألحقت أضرارا بالغة بالبحرية الجزائرية، مما أدى إلى ضعف مركز طائفة الرياس. وكان هذا الوضع في صالح الانكشاريين الذين تمكنوا من استرجاع نفوذهم ومكانتهم. ومنذ عام 1689م، أصبح الدايات ينتخبون من الانكشاريين لمدة الحياة.²

وكان منصب الدايات يتولاها في الغالب إحدى الشخصيات البارزة في الدولة، وهي الحزناسي والأغا وخوجة الخليل، إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة، إذ كان بإمكان أي فرد أن يصل إلى منصب الدايات، وكانت هذه الحالة تحدث في وقت الاضطراب والفوضى.³

وقد تمكن الدايات مع مرور الوقت، أن يجمع بين منصب الدايات والباشا. وذلك عندما رفض الدايات علي عام 1710م استقبال الباشا الجديد الذي عينه السلطان. ومنذ ذلك الحين لم يعد الدايات تابعا للسلطان العثماني، ولا مقيدا بقراراته كما كان الشأن في العهود الأولى، بل أصبح حليفا له، ويتبادل معه الهدايا في المناسبات.⁴

ورغم هذه الحرية التي كان يتمتع بها الدايات، فإن تنصيبه في منصبه الدايات بصفة رسمية، لم يكن يتم إلا بعد وصول الفرمان أو المرسوم والفرمان والسيف من السلطان.¹ كما أن الدايات كان مضطرا في بعض الأحيان إلى الاستجابة لأوامر السلطان حتى يخول له حرية تجنيد الجند من الولايات العثمانية المشرقية.² وتعتبر عملية التجنيد هذه ورقة ضغط في يد السلطان العثماني يستعملها لإرغام حكام الجزائر على تنفيذ أوامره، إلا أن علاقة الدايات بالدولة العثمانية قد تغيرت في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، إذ ظهر نوع من التقارب بين البلدين نتيجة تحالف الدول الأوروبية ضد الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، وهذا ما تؤكدته الرسائل التي كان الدايات يرسلونها إلى حكام الدول الأوروبية حيث كانوا يخاطبونهم باسم السلطان العثماني.³

وأخيرا يمكن القول أن قدوم العثمانيين إلى الجزائر وإلى شمال إفريقيا عامة، كان إيجابيا في العهود الأولى، إذ تمكنوا من التصدي للأطماع الأوروبية الاستعمارية، وينطبق ذلك أيضا على دول المشرق العربي التي دخلت تحت الحكم العثماني، إذ حالت قوة العثمانيين واحتلالهم لممرات الشرق الأوسط والقسطنطينية والسويس والشام والبصرة وجنوب الجزيرة العربية وكذلك الشمال الإفريقي، دون وصول الاستغلال الاقتصادي الأوروبي وامتداد نطاق الإمبراطوريات الغربية الاستعمارية إلى هذه المناطق في وقت مبكر كما حدث في جنوب شرق آسيا.⁴

¹ حائر، المصدر السابق، ص 43.

² BOYER: L'évolution de l'Algérie médiane 1830 à 1956, P 12.

(E.) PLANTET

³ أنظر مراسلات الدايات في كتاب Les correspondances des Deys d'Alger avec la cour de France, T. 2

⁴ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 28.

¹ WATBLED: «Pachas Pachas Dey», R.A. n° 101, 1873, P 144.

² محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 71.

³ (V.) DEPARADIS: TUNIS et ALGER au XVIII^{ème} P. 204.

⁴ SHAW: OP. CIT., P 152.

وبهذا قبل عن الحكم العثماني في الجزائر لأنه لم يحل من المسألة
خاصة في العهد الأخير، وهذا حسب من موضوع هذه الدراسة.

الفصل الأول

أوضاع الجزائر الداخلية في أواخر القرن 18 ومطلع 19م

1. الأوضاع السياسية
2. الأوضاع العسكرية
3. الأوضاع الاقتصادية
4. الأوضاع الاجتماعية

لقد عرفت الجزائر في الفترة الأخيرة من العهد العثماني (1800 - 1830م) تحولا خطيرا شمل جميع قطاعات الحياة، ورغم المحاولات التي قام بها بعض الدايات لإصلاح أحوال البلاد، إلا أن نتائجها كانت محدودة إذ جاءت في وقت متأخر تفاقم فيه الأوضاع الداخلية وتعددت الغارات الخارجية.

ويرجع التدهور العام الذي تعرضت له الجزائر إلى تآزر عوامل داخلية وخارجية أثرت تأثيرا بالغا على الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ويعني هذا الفصل يرصد العوامل التي كانت وراء تدهور الأوضاع في الجزائر آنذاك.

الأوضاع السياسية:

إن الظاهرة البارزة التي ميزت الفترة الأخيرة من العهد العثماني عن سابقتها هي انتشار موجة من الاضطرابات في مختلف أنحاء البلاد، مما تسبب في عدم استقرار نظام الحكم، فقد تولى الحكم في الفترة الممتدة من عام 1790م إلى 1830م، ثمانية دايات وتم اغتيال ستة منهم.¹ فإذا تتبعنا التسلسل التاريخي للأحداث التي مرت بها الجزائر منذ بداية العهد العثماني عام 1519م، فإننا نجد أن عوامل الضعف ليست حديثة العهد، بل يرجع تاريخها إلى فترة الباشاوات (1587 - 1659م)² وتتضاعف تلك العوامل في فترة الأغوات (1659 - 1671م)، ولكن رغم

¹ (G.) ESQUER: Les Commencements d'un Empire, La prise d'Alger, P.16.

² بدأ في ذلك العهد تسلط الجنود على الباشاوات، فانتشرت سلسلة من الاضطرابات الداخلية: ثورة القبائل وثورة الكراغلة، واشتداد التنافس بين طائفة الرياس وفرقة الإنكشارية.

كل ذلك، فإن السلطة الحاكمة تمكنت من التحكم في زمام الأمور، ووصلت الجزائر إلى ذروة عظمتها.

ويجمع الباحثون المختصون في تاريخ الجزائر الحديث على أن القرن السابع عشر، كان بمثابة العصر الذهبي للجزائر. ويرجع الفضل في ذلك إلى طائفة الرياس التي تقوم بدور مزدوج تمثل في تدعيم القطاع الاقتصادي بنشاطها الحربي، والتضدي للغارات الخارجية التي كان يشنها الأوربيون. ولكن شأن الجزائر أخذ يتضاءل منذ القرن الثامن عشر¹، إذ أخذت عوامل الضعف في التزايد، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع السياسية وعجز الحكام على مواجهة ومتابعة التطورات السريعة التي طرأت على المستوى الداخلي والخارجي.

إن سبب إخفاق الحكام في السيطرة على مجريات الأحداث كان نتيجة لعدة عوامل داخلية وخارجية، فبالنسبة للعوامل الداخلية نجد أنها تفتتت في سياسة التجنيد التي اتبعها الحكام، فعندما كانت الجزائر في حاجة إلى جنود جدد لتدعيم صفوف جيشها، قامت السلطة الحاكمة بإرسال وفد إلى تركيا لتجنيد الجنود، ولكن أعضاء الوفد المكلفين بتلك المهمة لم يلتزموا بطريقة التجنيد التي كانت متبعة في المهود الأولى. وقد قال حصدان بن عثمان خوجة الذي عاصر الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر عن عملية التجنيد كان من أسباب الحطاط البلاد إرسال مندوبين إلى أزمير يجرون الأجناد، وبدلاً من أن يتبع هؤلاء المندوبون الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند في المباشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة.

فإنهم كانوا يقتحون أبواب المباشيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدينوا وأدينوا، وكان يوجد من بين المجندين يهود ويونانيين ختنوا أنفسهم¹. وقد تعتبر سياسة التجنيد هذه من إحدى العوامل الأساسية التي كانت وراء تدهور الأوضاع، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر، نظراً لما تروث عليها من نتائج وخيمة فبعدما كان الجنود يدافعون عن البلاد، أصبحوا مصدر ومنبع الفوضى والفساد الذي ساد البلاد. وهكذا تمكن المجنودون من السيطرة على الحكم، مما سمح لهم بتسيير شؤون البلاد حسب أهوائهم. وبالتالي أصبحوا أصحاب الحل والعقد يعينون ويعزلون الحكام وفقاً لأغراضهم. وصارت تلك المباشيا المسلحة التي لا مبدأ لها ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل². وقد سمحت تلك الظروف التي سادت البلاد، بأن يتولى الحكم مجموعة من الحكام التي كانت تنقصها القدرة على وضع حد لتجاوزات الجنود، بل أصبحت عاجزة حتى عن حماية نفسها من دسائس ومؤامرات الجنود، وكانت أول ضحية افتتح بها القرن التاسع عشر هو الداي مصطفى عام 1805 م، بسبب تعامله مع التجار اليهود، ولحقه بعد ذلك أحمد خوجة³.

والجدير بالذكر أنه كلما تم تعيين حاكم جديد، صاحبه تغيير شامل في سلك الوزراء والبايات والموظفين الكبار، إذ يقوم الحاكم الجديد بتعيين العناصر التي وقفت إلى جانبه أثناء الانقلاب⁴.

¹ حمدان بن عثمان: المصدر السابق، ص 149.

² نفسه، ص 149.

³ نفسه، ص 146 - 152.

- أنظر أيضاً، P 625 (III) GARROT: Histoire générale de l'Algérie, P 233 (I) DETASSY: Histoire du Royaume d'Algérie.

¹ صلاح المناد: المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة، ص 31.

وقد تأثرت الإدارة المحلية بما كان يجري على مستوى الإدارة المركزية. إذ يقوم الباي الجديد بدوره على مستوى البايك بعزل معظم الموظفين الذين سبق لهم أن اشتغلوا مع الباي المعزول. وقد يرجع ذلك إلى أن الباي الجديد لم يعد يتقن في الموظفين السابقين الذين تربطهم علاقة وطيدة بالباي المعزول. وهكذا يكون الباي الجديد قد أبعد احتمال وقوع المؤامرات ضده. كما أنه يفضل تعيين موظفين جدد حتى يتمكن من جمع الرشاوى التي تمكنه من تعويض المصاريف التي سبق له أن دفعها للداي وأعوانه مقابل حصوله على منصب الباي¹.

وقد أدى هذا التغيير المستمر في هيئة الموظفين إلى عدم استقرار الحكم. خاصة أن الموظفين الجدد أصبحوا لا يفكرون في أمور البلاد، بل مهمهم الوحيد هو جمع المال، لأنهم كانوا يعلمون أن مدة توليهم لن تطول. كما أن بعض البايات كانوا يتصرفون تصرفات سلبية في البايالك التي يحكمونها، فعندما تكثر الشكاوى ضدهم، يقوم الداي بنقلهم إلى مناطق أخرى عوضاً عن عزلهم. كما حدث ذلك مع الباي عثمان الذي كان بايياً على بالك الغرب عام 1798 م. فقد قال عنه الزباني: "لم يلفت لما كلفه الله من أمور الرعية، بل جعل ذلك نسياً منسياً"²، فرغم تصرفاته الطائشة، عين مرة أخرى على بايك الشرق عام 1804 م، وبقي في الحكم إلى أن لقي مصرعه في إحدى المعارك ضد ابن الأحرش الثائر، وهذا دليل على ما وصلت إليه السلطة المركزية من ضعف، لأن مثل هؤلاء الموظفين كان يجب عزلهم نهائياً عن الحكم، بينما نجد بعض الموظفين والقادة الذين يستحقون التشجيع والتقدير لما كانوا يقدمونه من جهد وإخلاص في عملهم، يعزلون أو يقتلون

¹ محمد بن يوسف الزباني، دليل الميراث وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعدي، ص 206.

² (C.A.) JULIEN: Histoire de l'Algérie contemporaine, P 4.

كما حدث ليحيى آغا¹ الذي كان قائداً بارعاً في عهد الداي حسين (1818 - 1830 م) ولكنه راح ضحية مؤامرة أعداء له بعض أعدائه مما جعل الداي يضطر إلى إصدار أمر بقتله².

ورغم ذلك، فإن الفترة الأخيرة من العهد العثماني، عرفت نخبة من الدايات كانت في مستوى الأحداث، إذ كانت تمتاز بكفاءة عالية وقدرة قوية في تسخير أمور البلاد، واستطاعت أن تصمد ردحا من الوقت أمام التحديات التي طرأت على الساحة الداخلية والخارجية، ونذكر من هؤلاء الدايات، على خوجة (1817 - 1818 م)، الذي حاول أن يعيد للجزائر مجدها القديم. وقد أدرك أن فساد الجيش وتدهوره قد أعاق حركة ازدهار البلاد، فسارع حينئذ إلى إصلاح أحواله، وجعل بين الجنود جواسيس يلتقطون له الأخبار عنهم، وقتل خلقاً كثيراً بيده، ونفى بعضهم³، فكاد علي خوجة أن يفلح في سياسته الإصلاحية، خاصة بعد أن استخدم فرقاً من الأهالي والكرادلة بدلاً من الإنكشارية⁴، ولكن الموت كانت أسرع منه، إذ راح ضحية الطاعون بعد ستة أشهر من توليه الحكم⁵.

¹ تولى يحيى آغا قيادة الجيش في عام 1817، وقد تمكن من إخماد عدة انتفاضات داخلية، وتم اغتياله بالبلدية عام 1827 م.

² أحمد الشريف الزهار: مذكرات تقيب الإشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني ص 162 - 163.

أنظر أيضاً: (P.) ROBIN: «Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la Grande Kabylie», R.A.N° 17, 1873, P.140.

³ الزهار: المصدر السابق، ص 136.

⁴ BOYER: «le problème KOULOUGHLI...» P 92.

⁵ محفوظات المركز الوطني للدراسات التاريخية: رسالة الداي حسين إلى السلطان العثماني رقم الوثيقة 1232/22556 هـ (باللغة العثمانية) سوف أشير إلى هذه المراسلات فيما بعد بالخرق التالية - (م م و).

لقد اتبع علي خوجة سياسة محكمة ورشيعة، مما سمح له بأن يحقق ما لم يحققه أسلافه، وهو القضاء على جزء كبير من قوة الإنكشارية ونقل مقر الحكم من "الجنينة" في أسفل المدينة إلى القصة التي تشرف على المدينة وهي قلعة محصنة تحسبها محكماً، ونتيجة لسياسته هذه، حاول الإنكشاريون اغتياله، ولكنه جمع أهل البلاد وأولاد العرب والرواة والعبيد وهو متحصن في القصة فلا ينجح شيء من مكبرهم¹. ومما زاد من محبة الأهالي لعلي خوجة، زواجه بابنة المفتي المالكي² بمدينة الجزائر وأستطاع على خوجة بهذه العلاقة أن يؤثر في نفوس الأهالي ويتلقى دعمهم ومساعداتهم كلما كان بحاجة إليها³. وهكذا تمكن من وضع أسس جديدة للتطور والإصلاح. وقد يجبر نقل مقر الحكم إلى القصة تحولاً هاماً في السياسة الجزائرية. إذ حاول الحكام الاعتماد على الأهالي للتخلص من فرقة الإنكشارية⁴.

وقد اختار علي خوجة خليفته قبل وفاته، حرصاً منه على استمرار البلاد وازدهارها، ووقع اختياره على حسين الذي كان يتولى منصب خوجة الخيل حيث كان يثق في أمانته وقدرته، وقال الزهار "إن ابن مالك صهر علي خوجة أخبر أعضاء حكومة المرحوم أنه قبل وفاته أوصى الولاية لحسين باشا"⁵. ولا شك أن ذلك يدل على حسن نية علي خوجة ورغبته الملحة في الإصلاح، إلا أن ما ورد في رسالة الداي حسين الموجهة إلى الباب العالي بعد موت علي خوجة، تنفي كل الأعمال الصالحة التي شرع الداي السابق في تنفيذها، إذ جاء فيها "للعلم الهمايوني أنه قد حصل أن تمرد شخص مجنون

¹ الزهار، المصدر السابق، ص 144.

² هو الحاج مصطفى بن الشيخ في ذلك الزمان نفس المصدر، ص 141.

³ إسماعيل سرهناك، حقائق الأخبار عن دولة البشار، ج 1، ص 372.

⁴ الليالي، المرجع السابق، ص 264 - 265.

⁵ الزهار، المصدر السابق، ص 141.

يدعى (مكربلي علي) على السلطة والحكم مع بعض أتباعه المفسدين في 26 من شهر شوال الشريف من سنة 1232 هـ الموافق (1816م)، وهاجم مع جماعته قصر الباشا غفلة ثم اقتحموا القصر وقتلوا صر باشا، ونصب علي المجنون نفسه داياً على الجزائر خلفاً لعمرو باشا المقتول... واستمر في حكمه مدة ستة أشهر، إلا أنه كان ظالماً وقاسياً إلى أقصى حد في حكمه على الشعب، لدرجة أن أهالي الجزائر والمجاهدين الموحدين عانوا من ظلمه... ولهذا فهم قد التجأوا إلى الله القدير رافعين شكواهم منه إليه كي يتقدم من ظلمة وطفياته، ويخلصهم من عذابه وتسلطه، كان الله سبحانه وتعالى قد استجاب لهم حين أخذه أعز عزير مقتدر حيث توفي بمرض الطاعون الذي كان منتشراً في البلاد آنذاك"¹.

لاشك أن ما ورد في هذه الرسالة يثير لدى الباحث عدة تساؤلات منها: كيف يكون الشعب الجزائري ساعداً من داي كان يسمى إلى تحسين أوضاعه وتحريره من طغيان الإنكشارية. هل كان بإمكان علي خوجة كسر شوكة الإنكشارية بمفرده لولا مساعدة الأهالي له؟

إنني أرحب أن الشعب كان يشكو من مظالم الإنكشارية، والدليل على ذلك، أنه بمجرد ما أتاحت له الفرصة، حاول أن يستغلها حيث وقف إلى جانب علي خوجة ضد العدو المشترك. فلماذا يمكن القول أن ما قام به علي خوجة وما بذله من جهد وحزم لا يتطابق إطلاقاً مع الأوصاف التي وصفه بها الداي حسين، فإذا كان الأمر كذلك فما هو غرض الداي حسين من الإساءة إلى علي خوجة.

كان هدف الداي حسين هو إقناع السلطان محمود الثاني (1808-1839م) على أن يصدر فرمان تعينه داياً على الجزائر، وكان يسمى في

¹ م م و، المصدر السابق، رقم الوثيقة 1232/22556 هـ.

نفس الوقت إلى كسب ثقة الباب العالي حتى يحصل على المساعدات التي كانت الدولة تحتاجها كما جرت العادة كلما تم تعيين داي جديد، خاصة إذا علمنا أن الجزائر كانت في تلك الفترة في حاجة ماسة إلى تلك المساعدات لتخفيف حدة الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها. ولتواجه في نفس الوقت ضغوط الدول الأوروبية. ويوضح لنا ذلك ما ورد في نهاية رسالة الداي حسين التي جاء فيها "فلذا وصل المرسول إليكم، نرجو من المقام الشاهانية أن يتولانا بحسن حمايته ورعايته، ويصدر أوامره الشاهانية لإرسال ما تبقى من الإحسانات الهمايونية إلى الأوجاق المحصورة من مهمات ومدافع وغيرها، لأنها مازالت موجودة في الأستانة المحروسة، كما نرجو أيضا أن ننال دائما رضا المقام الشاهاني وعطفه ورعايته"¹.

ومهما كانت المقاصد، فإن الداي حسين سار على نفس السياسة التي رسمها علي خوجة، إذ قرب إليه مجموعة كبيرة من الأهالي والكرافلة. وتبنيًا لسياسة هذه، عين الحاج أحمد بابا على قسنطينة، رغم أنه من الكرافلة، وهذا دليل على الحكمة السياسية التي كان يتمتع بها الداي حسين، لأنه كان يعلم جيدا أن والده الحاج أحمد بن قانة الواسعة النفوذ في جنوب قسنطينة ومنطقة بسكرة، ومن ثم فلا يستبعد أن يكون الداي حسين يرمي من وراءه تعيينه لأحمد بابا كسب نفوذ تلك الأسرة لصالحه. وقد عرفت سياسة هذه، لمحاولتي اغتيال، فمنذ ذلك الحين فضل أن يصدر أوامره من وراء أسوار القبة وأن يختار حراسه من الأهالي، الذين دعمهم بفرقة إنكشارية جديدة، جندها من الولايات العثمانية المشرقية².

¹ نسب

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 144.

ويقتضيه هذه السياسة تمكن الداي حسين من تولي الحكم لمدة اثني عشر سنة إلى أن جاءت الحملة الفرنسية عام 1830م لنضع حدا للحكم العثماني في الجزائر.

وقد يتساءل المرء عن العامل الذي كانت تتحكم في كل الأحداث التي ذكرناها أو بالأحرى، لماذا انحرف الجنود عن مهمتهم الأساسية المتمثلة في الدفاع عن البلاد.

إن تدهور الأوضاع الاقتصادية في أواخر العهد العثماني قد أدى إلى قلة الموارد المالية الداخلية والخارجية، فأصبحت خزينة البلاد تعاني عجزا ماليا، مما صعب من مهمة الحكام في تسديد رواتب الجنود. وفي هذه الحالة غالبا ما كان مصيرهم العزل أو الاعتقال. فلا يبقى في الحكم إلا من له القدرة على توفير الرواتب في الوقت المحدد. فكان الحكام يرون أن الحل الوحيد لتعويض العجز المالي، هو الرفع من قيمة الضرائب المقررة على الأهالي. ولتحقيق هذا الهدف أطلق الدايات عنان الجباة في جمع الضرائب حتى أصبحت تجمع دون مراعاة أية سياسة أو قانون أو خطة معينة. وقد قال "أجريتو" "AGRETAUD" في هذا الصدد: "في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر انهارت الحالة الاقتصادية، ففرضت ضرائب أثقلت عاتق الشعب، وكان الجباة من الجنود المأجورين يستعملون العنف في جباية الضرائب"¹. وهذا ما جعل أيضا أحد الدارسين يقول عن سياسة الضرائب وانعكاساتها على الوضع الاجتماعي ما يلي: "كانت المحلات تترك وراءها الخراب والدمار، وتعود في الغالب بفنائم هائلة تبلغ عشرات الألوف من

¹ مارسيل أجريتو، الوطن الجزائري، ترجمة عبد الله نور، ص 24-25.

الأغنام والأبقار والمجول، حتى أن النظام الاجتماعي لبعض القبائل كدائرة ينهار، نتيجة تعرضه لهذه الحملات التي أقدمت هذه القبائل ثروتها¹.
لقد أدت تلك المظالم التي كانت ترتكب ضد الأهالي إلى نشوب عدة انتفاضات، وانتشار حركة التمرد في عدة جهات من البلاد، منها: انتفاضة القبائل (1804 - 1810 - 1824م)، والدرقاوية في شرق وغرب البلاد (1804 - 1805م)، والنماشية في الأوراس (1818م)، ووادي سوف في الجنوب (1824م)، والتيجانية في الجنوب الغربي (1818م)². وقد عجلت تلك الانتفاضات بانتهيار الحكم العثماني، إذ استنزفت البلاد جزءا كبيرا من إمكانياتها المادية والبشرية لإخمادها، ولاتسك أن النفقات التي أنفقتها الدولة لإخماد تلك الانتفاضات، كانت أكثر مما كانت تجمعها من الضرائب. ومن هنا نفهم أن الحكام قد أخفقوا في سياستهم الجبائية. ولقد خص أحد الدارسين هذا الوضع قائلا: "تميزت الفترة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر بالاضطرابات المتواصلة بالعنف الشديد، ويتوتر العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، ويتدهور الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وقد أدى كل هذا إلى نهاية عهد دام ثلاثة قرون"³.

والظاهرة التي تلفت الانتباه، هي أن معظم وأخطر الانتفاضات التي عمت مختلف أرجاء البلاد في مطلع القرن التاسع عشر، كان على رأسها الطرقيون⁴. والمعركة السبب الذي دفع بالطرقيين إلى قيادة الانتفاضات، يجب استعراض المراحل التي مرت بها سياسة الحكام الدينية خلال العهد العثماني.

¹ الفهد: المرجع السابق، ص 157 - 158.

² ESQUER: OP.CIT., P.16.

³ مولاي باخمي: سياسة القرايب بالجزائر في أواخر العهد العثماني "أعمال ملتقى الثالث تاريخ وحضارة المغرب، الجزء الأول، منشورات ديوان المخطوطات الجامعية، 1983، ص 197.

⁴ فريد من القناصل عن هذه الانتفاضات أنظر الفصل الثاني.

لقد كانت علاقة الحكام بالطرقيين طيبة في مجملها، وهذا من عهده خير الدين الذي تولى الحكم في عام 1519م، ويروج هذا التقارب الذي وقع بين الطرفين إلى عاملين أساسيين هما: العقيدة المشتركة، والخطر الخارجي الذي كان يهدد الجزائر في بداية العهد العثماني وما قبله، إذ قام الإنسان بشن عدة غارات متتالية ضد الجزائر، ونتيجة لهذه الغارات قدم العثمانيون إلى الجزائر يطلب من سكانها، وكان الطرقيون في العهد الأول يحضون بالاحترام والطاعة، كما كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع، وكان الحكام يستشيرونهم في عدة مسائل. وهكذا أصبح الطرقيون يلعبون دور الوسيط بين العثمانيين بوصفهم حصة الإسلام والقبائل شبه المستقلة¹. القاطنة في المناطق الجبلية والصحراوية. إلا أن مع مرور الوقت بدأت العلاقات تتأزم بين الحكام والطرقيين لكي تنقسم في مطلع القرن التاسع عشر، والسبب في ذلك يرجع إلى سياسة الحكام الداخلية، ويعزو "بويي" BOYER سبب القطيعة إلى زوال الخطر الخارجي بعد تحرير مدينة وهران من التبعية الإسبانية². وهكذا، فقد العثمانيون حلفاء كان لهم وزن كبير ودور هام في الأوساط الشعبية. فبعد ما كان الطرقيون يلعبون دور الوساطة بين السلطة الحاكمة والقبائل شبه المستقلة، أصبحوا في مطلع القرن التاسع عشر يدافعون عن الشعب خاصة في المناطق الريفية، ولم يكتف الطرقيون بذلك، بل كانوا يقودون الانتفاضات بأنفسهم. أما في المدن حيث النفوذ العثماني القوي، فقد بقي الطرقيون والعلماء والأعيان أوفياء للسلطة، نظرا لارتباط مصالحهم بالحكومة³.

¹ فارس: المرجع السابق، ص 77.

² (P.) BOYER: «Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger XVI^{ème} - XIV^{ème}», R.G.M.M. N°1, 1966, P. 17.

³ BOYER: contribution à l'étude..., P.48.

ينصح مما سبق أن الحكام ارتكبوا عدة أخطاء، في سياستهم المتعلقين بالطرقين، ربما ذلك يعود لعدم فهمهم لتلك العلاقة التي كانت تربط الطريقين بالسكان، إذ كان السكان يؤمن بالطريقين أكثر مما كانوا يؤمنون بالحكام، ويرجع ذلك إلى تفوذهم الروحي، والدليل على ذلك، أنه بمجرد ما تحرك الطريقون ضد المظالم التي كان يرتكبها البايات والجنود، وجدوا مساعدة وتأييداً مطلقاً من الأوساط الشعبية. وهكذا يمكن القول أن الحكام كانوا بإمكانهم إخماد تلك الانتفاضات التي شبت في مطلع القرن التاسع عشر لو أنهم عرفوا كيف يحافظون على علاقاتهم القديمة ومعاملتهم الطيبة للطريقين.

وهكذا وجد الحكام أنفسهم معزولين عن الأهالي وحتى عن أبنائهم الكراغلة، إذ رفضوا الاندماج في الأوساط الشعبية بسبب شعورهم الطيفي¹، ربما لو حاول الحكام دعم صفوفهم بالأهالي والكراغلة، كما فعل عي خوجة والداي حسين، لعرف حكمهم نوعاً من الاستقرار، يمكن الحكومة من الاستغناء عن الإنكشاريين المجندين، مما يوفر لها مبالغ مالية ضخمة، خاصة أنها كانت في حاجة ماسة لها في العقود الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني. ولكن الحكام فضلوا الاستمرار في سياسة التجنيد التي تمخضت عنها نتائج وخيمة كما سبق الإشارة إلى ذلك في بداية هذا الفصل وبالرغم من ذلك، فإنه كان من الممكن التقليل من نفقات الجنود والموظفين العثمانيين لو قام الحكام بفتح المناصب العليا في الدولة للأهالي، إلا أن معظم المناصب كانت في يد العثمانيين، بينما كان الأهالي يتولون مناصب ثانوية. وقد أشار حمدان بن عثمان خوجة إلى سبب إبعاد الكراغلة من الحكم، فقال: "وضع

¹ فارس المرجع السابق، ص 144.

الأشراك لقتلهم في اليهود لأنهم لا يحشون منهم الاستيلاء، على الحكم¹. وأعتقد أن هذا هو السبب الحقيقي الذي جعل العثمانيين لا يتمسكون في أوساط الأهالي، كما ساعدت عملية التجنيد المستمرة من الولايات المشرقية على عدم انقطاع العثمانيين عن دولتهم الأصلية وقد ساعد هذا الضعف الذي طرأ على الحكومة على ظهور عنصر جديد على ساحة الأحداث ساهم إلى حد كبير في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد، ونقصد بذلك عنصر اليهود. ففي أواخر القرن الثامن عشر، تمكن اليهود من استغلال الظروف الحرجة التي كانت تمر بها البلاد ليحتكروا معظم النشاط التجاري، وسمح لهم ذلك بأن يتدخلوا في شؤون الحكم، وأن يكون لهم وزن كبير في توجيه سياسة الجزائر الداخلية والخارجية².

وبالإضافة إلى كل هذه العوامل، هناك مجموعة أخرى من العوامل الخارجية التي كان لها تأثير بالغ في الأوضاع السياسية، وهي تتمثل في الحروب المتعددة التي كانت تخوضها الجزائر ضد تونس والمغرب الأقصى. وتعد تلك الحروب نتيجة لذلك الصراع التقليدي الذي عرفته دول المغرب العربي منذ أقدم العصور. وكان العامل المحرك لهذا الصراع، هو قضية الحدود، إذ كانت حدود الدول الثلاث³ قبل مجيء العثمانيين غير مستقرة. ولكن بمجرد أن دخل العثمانيون الجزائر، رسموا الحدود النهائية بين الجزائر وجارتها، إلا أن ذلك لم يضع حداً للصراع القائم بين دول المغرب العربي. فقد قام التونسيون بعدة محاولات للاستيلاء على منطقة قسنطينة وعنابة والقالبة. وكان رد فعل الجزائريين إزاء تلك المحاولات قويا، حيث شنوا

¹ حمدان بن عثمان خوجة المصدر السابق، ص 158.

² لمزيد من التفاصيل عن دور اليهود في الجزائر، أنظر الفصل الثاني.

³ الدول هي: الدولة العثمانية في تونس وعبد الوادي في الجزائر والمغرب الأقصى.

حملات تأديبية ضد التونسيين¹. وقد تدخلت الدولة العثمانية في عدة مناسبات لحل النزاع بين الجزائر وتونس، لكن دون جدوى. وحول هذه القضية ورد في رسالة الداوي عمر (1815 م) الموجهة إلى السلطان العثماني محمود الثاني ما يلي: "ليكن في علم المقام الشاهاني أنه كان قد صدر فرمان شاهاني عالي قبل أربع سنوات بخصوص التصالح مع التونسيين... إلا أن الذين كانوا يتولون الحكم آنذاك، لم يسمعوا فرمان موضع التنفيذ.... وبعد إطلاعي عليه، قممت فوراً بالامتنال لمضمونه الشريف والعمل بمقتضاه، وحررت رسالة إلى التونسيين أذكرهم فيها بالوحدة والأخوة القائمة بين الجزائر وتونس، وأحثهم على الطاعة والامتثال للحكم ومضمون الهمايوني الذي صدر في هذا الموضوع، والإقدام على دفع الهدايا إلى الجزائر كما جرت العادة... غير أن الرسالة المرسلة إلى باشا تونس قد وقعت خارج تونس في يد ابنه الذي أخبر والده بمضمونها، وهو غير راغب في تنفيذ المطلوب منهم"².

إن ما ورد في هذه الرسالة يؤكد أن هدف الجزائر من شن حملاتها ضد تونس لم يكن الغرض منها احتلالها أو الاعتداء على شعبها، لأن ذلك يتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، بل كانت الجزائر تطالب تونس بأن تحترم المعاهدات التي أبرمتها معها وهذا ما يؤكد حمدان خوجه حيث قال: إن هذه الحروب لم تكن من أجل التنافس على السلطة، ولكن كان الغالب يدخل تونس منتصراً، فيخلع الباي الحاكم وينصب الباي الجديد ثم يقيم معه معاهدات... ولم يحاول الغالبون ولو مرة واحدة الاستيلاء على تونس، أو الاستحواذ على ممتلكات الأهالي التي ورثوها عن آباءهم أو التي حصلوا عليها

¹ BOUABBA: OP.CIT P42

² م م و "رسالة الداوي عمر إلى السلطان محمود الثاني" رقم الوثيقة 1231/31210 هـ، (باللغة العثمانية).

بمجهوداتهم الخاصة. لقد كانوا دائماً يحترمون الأملاك بما فيها من عقارات وممتلكات، ولم يتسببوا أبداً في قلب النظام الاجتماعي، وإنما كانوا يغادرون البلاد بعد إبرام المعاهدات مباشرة¹.

ومهما كانت دوافع الحرب القائمة بين البلدين، فإن نار الفتنة بين الجزائر وتونس بقيت مشتعلة² رغم المحاولة التي قام بها الداوي علي في عام 1817 م لإخمادها. إذ أرسل مبعوثين إلى باي تونس للتباحث معه في سبل الصلح بين البلدين، ولكن الحكومة التونسية عارضت محاولة الصلح، وبقي الحال كذلك حتى عام 1821 م حيث تدخلت الدولة العثمانية ووضعت حداً للصراع بين البلدين. وقد قال "الزهار" عن نهاية هذا الصراع: "ولما وصلت الفرمانات والرسائل لأُميري البلدين عندئذ تم الصلح وقرح جميع المسلمين واستبشروا بإطفاء هذه الفتنة"³.

أما عن العلاقات الجزائرية المغربية، فالأمر يختلف كثيراً عما كانت عليه العلاقات الجزائرية التونسية، إلا أن معظم الحملات العسكرية كانت تقوم بها المغرب، فقد حاول مولاي إسماعيل سلطان المغرب أن يواصل سياسة أسلافه التوسعية، وذلك على حساب الأراضي الجزائرية الغربية، إذ شنت الجيوش المغربية عدة حملات ضد الجزائر، منها حملة 1678 م و1686 م، ولم تتوقف تلك الحملات إلا بعد أن تدخلت الدولة العثمانية عام 1701 م حيث طلبت من مولاي إسماعيل أن لا يتعدى على الجزائريين. ولكن في مطلع القرن التاسع عشر أخذت الاعتداءات المغربية شكلاً مغايراً.

¹ حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 113 - 114.

² لمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب أنظر: الشيخ الحاج أحمد المبارك تاريخ حظيرة قسنطينة، تعليق نور الدين عبد القادر، ص 15 - 16.

³ الزهار: المصدر السابق، ص 147.

تمثل في تدعيم المغرب للطرفين الدرقاويين¹، الذين ثاروا ضد سياسة الحكام آنذاك². وإلى جانب هذا الصراع الذي نشب بين أقطار المغرب العربي، دخلت الدول الأوربية كطرف ثاني فيه، فمتد أن تم طرد المسلمين من الأندلس عام 1492 م، بدأ الإسبان في شن غاراتهم العدوانية ضد الجزائر ثم تلتها غارات أوربية أخرى قامت بها البرتغال وفرنسا وإنجلترا وهولندا وغيرها من الدول الأوربية. وبالرغم من شدة تلك الغارات وتعددتها، فإنها باءت بالفشل، إذ كانت الجزائر في العهد الأول من الحكم العثماني تتمتع بقوة بحرية هائلة تصدت لكل الحملات، إلا أنه بعد أن تدهورت أوضاع البلاد، عجزت الجزائر على الصمود أمام الضربات القوية والمكثفة التي كانت تتلقاها منذ أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر، خاصة ذلك التحالف الذي وقع بين الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية. مما جعلهم يضعون حدا للتفوق الجزائري إما بإبرام معاهدات سلام أو بالقيام باسترواحات بحرية للتهديد³.

¹ الدرقاوية نسبة إلى أبي عبد الله محمد العربي بن أحمد البويرجي الدرقاوي ولد بين زروال وسمي بالدرقاوي نسبة إلى قبيلة درقة التي يتحدر منها جده يوسف أبو درقة، توفي في 8 ديسمبر عام 1823 م، ودفن ببويرجي. بدأت الطريقة الدرقاوية قبل السلطان المغربي مولاي إسماعيل، فأنشأت فروعاً لزاويتها في مختلف أنحاء المغرب والجزائر، وهي شاذلية. وكان أتباعها على الأخص من أهل المدن، ولكن كان لها عدد كبير من الأنصار بالأطلس المتوسط، غير أن الدرقاويين ينتمون إلى النسب الإدريسي، ومن كبار شيوخهم العربي الدرقاوي معاصر مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان، وله دور بارز في إثارة إتياع حركته بالجزائر، أنظر إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال القرنين ونصف قبل الحماية، ص 59.

² (PH.) DECOSSE BRISSAC: les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête, d'Alger, P.3

³ BOYER: La vie quotidienne ... P.17

وقد أدت الضغوط الأوربية هذه إلى اغتيال وعزل بعض الدايات والوزراء، مما كان يسبب اضطراباً في الأوضاع السياسية، وعلى سبيل المثال، كان سبب إقدام الإنكشارية على اغتيال الداوي عمر¹، هو إبرامه لمعاهدة معجضة مع الأميرال الإنجليزي "اللورد أكسموث - EXMOUTH" بعد الحملة التي شنها ضد الجزائر في عام 1816².

وهكذا، فإن الغارات الأوربية جاءت نتيجة تدهور أوضاع الجزائر الداخلية سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً، كما يمكن اعتبارها من جهة أخرى سبباً في ضعف البلاد، نظراً لتأثيرها السلبي في الأوضاع العامة. وقد كان الحكام يواجهون ثلاث جبهات قتال: الجبهة الداخلية المتمثلة في سيطرة الجيش على مقاليد الحكم، والاتفاقيات الريفية، أما الجبهة الثانية، فكانت على الحدود التونسية والمغربية، وأخيراً الجبهة الثالثة التي كانت تمثلها الدول الأوربية بمواقفها المختلفة والتي انعكست بطبيعة الحال على الأوضاع العسكرية.

الأوضاع العسكرية:

عندما عجز خير الدين عن طرد الإسبان من المدن الجزائرية التي استحوذوا عليها قبل مجيء العثمانيين، فكر في أن يلحق الجزائر بالدولة العثمانية في عام 1519 م، عندئذ طلب من السلطان سليم الأول (1512 - 1520 م) أن يرسل له عدداً من الجنود ليساعدوه على استرجاع تلك المدن من الإسبان، وإخضاع بعض القبائل الجزائرية المتصردة، خاصة تلك القاطنة في غرب البلاد، فرحب السلطان بطلب خير الدين، وأرسل له

¹ قال الزهار عن عمر باشا كانت دولته وأيامه كلها عكس ومصابب، الجراد والفلاء ومصيبة موت حميدو، ومصيبة انكليز، المصدر السابق، ص 127.

² GARROT: OP. CIT., P.637

ألفى جندي، وفي نفس الوقت وصل إلى الجزائر أربعة آلاف جندي متطوعون، قادمون من تركيا¹. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الجزائر تحت جنودها من الأراضي العثمانية، وكلما كانت البلاد في حاجة إلى جنود جدد ترسل بعثات إلى المشرق لتتولى مهمة التجنيد. كما كان للجزائر مجموعة من الوكلاء في مختلف الموانئ المشرقية لنفس الغرض. وكان الوكلاء في العهد الأول لا يقيّدون في سجلات التجنيد إلا العناصر التركية المسلمة² التي كانت تتمتع بأخلاق طيبة وسمعة جيدة وقدرة عالية على حمل السلاح، وكانوا يجندون الجنود من الولايات العثمانية الأوروبية، إلا أن النسبة الكبيرة كانت تأتي من الأناضول³. وعند وصول الجنود إلى الجزائر يوزعون على الفرق التي كانت تعرف بالأوجاقات⁴ والتي كان يصل عددها إلى 424 أورطة. وكان متوسط كل أورطة 30 جندياً⁵ ويحسب على رأس كل أورطة ضابط. أما الجندي، فكان ينضم إلى صفوف الجيش برتبة جندي بسيط أو يولدات⁶ ثم يتدرج في الرتب حتى يصل إلى رتبة أعل⁷. وكان يتم اختيار الدايات والضباط من هؤلاء الجنود⁸. وبالإضافة إلى ذلك، كان الحكام

¹ (N.) WEISSMANN: Les janissaires étude de l'organisation militaire des ottomans, P59

² DEPARADIS, (V.): OP. CIT., P 23

³ (M.) COLOMBE: « Contribution à l'étude du recrutement de l'odjak d'Alger dans les dernières années de la régence » R.A.N°86-87, PP. 171-172.

⁴ كان هذا المصطلح يطلق في بداية الأمر على فرقة صغيرة من الجنود، ثم أصبح يطلق على كل الجيش.

⁵ WEISSMANN: OP. CIT., P 62

⁶ يولدات - yoldash، كلمة عثمانية مركبة من كلمتين - يولد - yol وتعني الطريق داش - DASH وتعني الرفيق، رفيق الطريق.

⁷ كان الأغا يتولى منصب قائد الجيش لمدة شهرين فقط، ثم يعزل ويعرف بعد ذلك بالأغا المزمول، إلا أنه كان يحتفظ بمنصبه في الديوان.

⁸ DETASSY: OP. CIT., P 207

يرسلون فرقاً من الجنود إلى البايات لمساعدتهم في تسيير أمور أقاليمهم، كحراسة القلاع الموزعة في أهم مناطق البلاد، والخروج في محلات¹ عسكرية لجمع الضرائب. ومن هؤلاء الجنود أيضاً تتضم مجموعة إلى صفوف البحرية². وكان الجندي يقضي عامه الأول في إحدى الحاميات، ثم يرسل في عامه الثاني في محلة. وفي العام الثالث يأخذ الجندي إجازة يسمح له خلالها بممارسة النشاط التجاري³.

أما عن عدد الجنود الإجمالي، فإنه يختلف من مصدر إلى آخر. فقد ورد في تقرير الجنرال "هولن" - HULIN - الفرنسي عام 1802 م، أن القوات الجزائرية كانت تقدر بـ 14 ألف جندي تركي وكرغولي. و3 إلى 4 آلاف فارس⁴. أما الضابط "بوتان" - BOUTIN - الذي أوفده نابليون إلى الجزائر في عام 1808 م، فقد قدر عدد الجنود بـ 15 ألف جندي من بينهم 5 آلاف من الكراغلة والأهالي، وقال أن عدد الفرسان غير ثابت، إذ يختلف من ظرف إلى آخر⁵. هذا بالنسبة للعهد الأخير من الحكم العثماني، بينما في العهد الأولي كان عدد الجنود يصل أحياناً إلى 20 ألف جندي⁶.

¹ محلات جمع محلة، وكانت المحلة تخرج إلى الأرياف لجمع الضرائب مرتين في السنة. في فصل الخريف والصيف.

² « Mémoire de M^{re} THEDENAT », M. et D. Algérie 1790-1827, T.14, AR. M.R.E. France.

³ جاء في تقرير "ثيدان" - THEDENAT - أن 500 جندي كانوا يرسلون إلى باي قسنطينة و 200 جندي إلى باي التيطري و 300 إلى باي مسكر، قبل تحرير مدينة وهران من الإسبان عام 1792 م.

⁴ « Mémoire du G^l HULIN », M. et D. Algérie 1790-1827, T.14, AR. M.R.E. France.

⁵ « Mémoire de BOUTIN 1808 », OP. CIT.

⁶ (H. DE) GRAMMONT: Histoire d'Alger sous la domination TURQUE, P 240

والملاحظ، هو أن عدد الجنود كان دائما في تناقص مستمر، ويعود ذلك إلى عدة أسباب، سوف ترد في موضعها من الدراسة.

ولقد كانت مهمة الجنود الأساسية في العهد الأول من الحكم العثماني، هي الدفاع عن البلاد والمحافظة على الأمن الداخلي بوزاع ديني تحت، وتمكنوا بفضل هذا الدافع الديني والتنظيم المحكم من تحقيق عدة انتصارات، والتصدي لجميع الغارات التي كانت الدول الأوروبية تشنها ضد الجزائر. ولكن مع مرور الوقت، انحرف الجنود عن مهمتهم الجوهرية، وحل محل الدافع الديني الدافع المادي، إذ أصبح الجنود يولون اهتماما متزايدا للجانب المادي، كما كانوا يهتمون بالسياسة، مما سمح لهم بتشكيل طبقة ممتازة في المجتمع¹، وبالتالي أصبحوا يتصرفون في أمور البلاد حسب أموالهم وأغراضهم. فكلما حاول الداعي المساس بمصالحهم وامتنيازاتهم أو تأخر عن دفع مرتباتهم، كان مصيره العزل أو الاغتيال². قلما شعر الحكام بضعف وفساد الجيش نتيجة الصراع الذي ظهر بين المشاة وطائفة الرياس حول الحكم، واهتمامه بالجانب المادي، وتدخله في الشؤون السياسية، سمحوا للأهالي والكرادلة بالانضمام إلى صفوف الجيش خلق نوع من التوازن، إلا أن هذه الفئة كانت غير قادرة على الوصول إلى المراتب العليا، لأن عناصرها يعزلون بمجرد ارتقاها إلى مرتبة ضابط³.

وقبل الشروع في شرح العوامل المؤثرة في الأوضاع العسكرية، ستحاول أن نعطي لمحة موجزة عن البحرية الجزائرية وذلك حتى تكتمل لدينا الصورة عن مختلف القوات العسكرية الجزائرية.

إن الجيش الذي عرفته الجزائر في بداية العهد العثماني، كان في الواقع يتكون أساسا من رجال البحر، إذ كان العثمانيون الأوائل الذين دخلوا الجزائر في مطلع القرن السادس عشر من هؤلاء الرجال، لذا يمكن القول أن النواة الأولى للجيش الجزائري كانت بحرية، ومنذ ذلك الحين، عرفت البحرية الجزائرية تطورا كبيرا من حيث عدد السفن والرجال. وكان خير الدين أول من وضع أسسها، إذ جعل من ميناء الجزائر قاعدة بحرية هامة، وذلك بعد أن طرد الإسبان من صخرة "البنين" التي كانت تشرف على مدخل ميناء الجزائر في عام 1529 م. وقد تحكمت طائفة الرياس ابتداء من تاريخ وجودها في الجزائر بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية¹.

ولا شك أن اهتمام الجزائريين بالأسطول الحربي، كان نتيجة لتلك التطورات التي طرأت على ساحة البحر المتوسط، ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر، إذ كان الجزائريون يدركون جيدا أن تحرير سواحل إفريقيا من السيطرة البرتغالية والإسبانية، وحماية أنفسهم من الاعتداءات الأوروبية الصليبية، يحتم عليهم إعداد أسطول قوي يواجهون به الموقف الخطير، ولهذه الاعتبارات كلها، أولى الجزائريون من البداية اهتماما خاصا للقوة البحرية، وهذا ما يفسر سبب عدم اعتنائهم بالأسطول التجاري. وقد كان الأسطول الجزائري في عهده الأول يتكون من بحارة عثمانيين، إلا أنه في أواخر القرن السادس عشر، انضمت إليه العناصر المسيحية الوافدة من مختلف الدول الأوروبية، خاصة تلك المظلة على البحر المتوسط. وقد تمكن هؤلاء الأسرى "الموتسدون- RENEGATS"، المعروفون بالأعلاج أو المهتدين أن يتولوا مناصب عليا في البحرية

¹ (P.) GAFFAREL: L'Algérie histoire, conquête et colonisation, P 13.

² DETASSY: OP. CIT., P. 207.

³ DEPARADIS: OP. CIT., P 236.

¹ وليام سبنر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق د. عبد القادر زبادية، ص 60.

الجزائرية، بما فيها منصب الحاكم¹. وكان يتم ذلك بعد اعتناقهم الإسلام وإلى جانب هؤلاء الأعلاج، انضمت إلى البحرية الجزائرية عناصر أخرى من المسلمين والأهالي². وقد فتح الحكام الأبواب لكل من يرغب في الانضمام إلى البحرية الجزائرية، بشرط أن يكون قد اعتنق الإسلام. وكان الوصول إلى المراتب العليا أمرا صعبا للغاية، إذ يجب على البحار البسيط أن يتحلى بشجاعة كبيرة ومهارة عالية في إتقان فنون البحرية، "وقبل أن يتعين كقبطان كان عليه أن يجتاز بتجارب متعاقبة عليه ديوان الرياس"³. وقد كان الحكام يتولون قيادة الأسطول بأنفسهم مما سمح للبحرية الجزائرية بأن تحقق في فترة قصيرة نجاحا كبيرا. وقد ساعدها على ذلك عوامل أخرى، كالقوة البشرية والثروة الخشبية التي كانت تزخر بها غابات البلاد⁴، والموقع الجغرافي الممتاز الذي كانت تتمتع به الجزائر، علاوة على الإدارة المحكمة. وقد ساعدت هذه العوامل مجتمعة على أن تعرف الجزائر توسعا كبيرا وأن تكون لها بحرية قوية، أصبح دورها لا يقتصر على ممارسة النشاط البحري فقط، بل كان بإمكانها خوض حرب حقيقية⁵. وكانت البحرية الجزائرية تلعب دورا مزدوجا يتمثل في التصدي للغارات الأوربية المتتالية، وتكوين البلاد بالبلدان التي كانت بحاجة إليها. ولهذا يمكن أن نعتبر البحرية إحدى

¹ فارس، المرجع السابق، ص 93.

² سبسر، المرجع السابق، ص 61.

³ نفسه، ص 61.

⁴ SHAW: OP. CIT., P. 194

ورد في كتاب SHAW، أن البحرية الجزائرية كانت مهمة، لكن ما يشير الدهشة هو قلة الأخشاب في الجزائر لصناعة السفن، وعدم وجود الصواري والخيال والأشرعة، كان هذا الوضع في عام 1725، أي في الفترة التي بدأت فيها الثروة الغابية تتدهور.

⁵ CAT: OP. CIT., P. 269

الدعائم للاقتصاد الجزائري، وقد تمكن الرياس بفضل نشاطهم هذا من كسب شعبية واسعة واحترام وتقدير لدى عامة سكان الجزائر¹.

وقد اقتصر نشاط البحرية الجزائرية في القرن السادس عشر على البحر المتوسط والتصدي للاعتداءات الأوربية، إلا أنه امتد في القرن السابع عشر إلى سواحل أوروبا الجنوبية، وبالتالي تغير موقف الجزائريين الدفاعي إلى موقف هجومي. كما امتد نشاطهم إلى المحيط الأطلسي، إذ وصلوا إلى إنجلترا وأيرلندا واسلندا². ويرجع الفضل في تحقيق هذا التفوق إلى نوعية السفن التي كانوا يستعملونها حيث كانت قمتان مميزتين هما: الانخفاض والسرعة، مما سمح لها بأن تنفذ عملياتها الحربية بكل نجاح³.

وقد وصف الأوربيون هذا الجهاد والنشاط الذي كانت تقوم به البحرية الجزائرية "بالقرصنة - PIRATERIE" بينما فسروا اعتداءاتهم الصليبية المظهر والاقتصادية الجوهر، بأنها دفاع عن النفس. وحول هذه المسألة قال "كات" - CAT: "قد رأينا خلال القرن السابع عشر الهولنديين والإنجليز والبنادقة وفرسان مالطة والجنوبيين والنايبيين يحاربون البحارة الجزائريين، إلا أن حماس الجزائريين المتزايد وصيانتهم الرائعة لأساطيلهم، سمحت لهم بأن يصمدوا أمام الأعداء"⁴. وأضاف "كات" - CAT قائلا: "لم يقوموا وحدهم بالقرصنة، بل هناك الإنجليز والهولنديون وأناس من مختلف الأمم كانوا يمارسون القرصنة ببشاعة وعنف"⁵. ومعنى ذلك أن

³ فارس، المرجع السابق، ص 91.

¹ IBID, P. 270

² IBID, P. 285

⁴ CAT: OP. CIT., P. 291

⁵ IBID, P. 291=

القرصنة التي انتهت بها الجزائر وحدها، إنما كانت فيما يبدو ممارسة عامة شاركت فيها كل الدول البحرية آنذاك، وأن سلوك الجزائريين البحري، إنما كان في معظمه رد فعل لاعتداءات الأوربيين. وقد قال "سلفاتور بونو" SALVATOR BONO في هذا الصدد: "إن القرصنة الجزائرية قد تعرضوا أول الأمر إلى قرصنة أوربيين لا يفلون عنهم جرأة ومهارة، وهم لم يكونوا على أصال دفاعية ضد المسلمين فحسب، بل كانوا يبذلون نشاطا قويا، إذ ينهبون سفن وسواحل البلاد الإسلامية".¹

ومهما كان من أمر، فإن البحرية الجزائرية وصلت في القرن السابع عشر إلى أوج عظمتها، إذ كان الجزائريون خلال تلك الفترة يحاولون قذف الإمكان الحفاظ على عدد سفنهم. وكان الحكام يرغبون أصحاب السفن كلما فقدوا عددا منها، على تعويضها في أقرب وقت ممكن لمواجهة الغارات الخارجية.² لكن هذه الحالة تغيرت في أواخر القرن الثامن عشر، حيث بدأ الأسطول الجزائري يتضاءل تدريجيا.³ وهكذا بدأ الأسطول يتدهور بصفة مستمرة حتى وصل عدد سفنه في عام 1762م إلى 18 قطعة بمختلف أنواعها. وكان عدد مدافعها يتراوح بين أربعة أو خمسين مدفعا، ومعظم هذه السفن قد أصبحت قديمة وغير مجدية.⁴ وانخفض العدد في عام 1769م إلى

"انظر أيضا حول قضية القرصنة، جمال فتان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، ص 249-252.

¹ سلفاتور بونو: العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد العثماني "ترجمة أبي القاسم بن تومي، مجلة الأمالة، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 6-7، ص 102.

² SHAW: OP. CIT., P.196

³ DETASSY: OP. CIT., PP 264-265

⁴ أبو القاسم سعد الله: عن النشاط العسكري والتجاري للجزائر في القرن 18م/12هـ المجلة المغربية، السنة 11 العدد 34، ص 195

17 قطعة.¹ وقد استمر الأسطول الجزائري في تقلصه حتى بداية القرن التاسع عشر ليعرف بعد ذلك نوعا من الانتعاش الذي دام حتى عام 1815م. ويرجع هذا الانتعاش الذي عرفته البحرية الجزائرية إلى معاهدات واتفاقيات السلام التي أبرمتها الجزائر مع بعض الدول الأوربية كالسويد والدنمارك والبرتغال وإسبانيا، وإلى انشغال الدول الأوربية بحروب نابليون بين الفترة الممتدة من 1805م إلى 1815م، إلا أن ما جاء في تقرير القنصل الفرنسي في الجزائر "ديبوا تانفيل" THAINVILLE يخالف ما ورد في المصادر الأخرى، حيث قال: "يمكننا القول أن ليس هنالك في الجزائر ولا بحارا واحدا ممتازا".²

ومهما قيل عن البحرية الجزائرية، فإنها عرفت في مطلع القرن التاسع عشر قائدا بحريا يستحق الذكر، ألا وهو الرئيس حميدو.³ الذي نظم البحرية الجزائرية وأعطاه روحا جديدة، بما يمكنه من تحقيق عدة انتصارات حاسمة، لكنه ما لبث أن توقف الانتعاش الذي عرفته البحرية الجزائرية.

وقد ترجع أسباب تدهور الأسطول الجزائري إلى عوامل داخلية وخارجية، وكانت العوامل الداخلية تتمثل في تدهور صناعة السفن في الجزائر نتيجة القرار الذي أصدره الداي مصطفى في عام 799م، فسمح بموجبه حق استغلال الغابات الواقعة بين "بجاية والقل" لكل من اليهوديين "يكري وبوشناق". وقد سمح هذا الاحتكار بشراء الأخشاب مباشرة من

¹ GRAMMONT: OP. CIT., P.240

² THAINVILLE: «mémoire sur Alger 1809», Pub. par G. ESQUER, P.140

³ قال عنه دهنو - DEVGULX، الرئيس حميدو بن علي لم يكن تركيا ولا كرغيا، بل عربيا من الذين استوطنوا المدينة منذ زمن طويل، كان حميدو نشيطا كرما لبقا رشيقا طريقا مع جميع الناس كبارهم وصغارهم الأمر الذي جعله محبوب لدى العموم "ديفو، البير، الرئيس حميدو، ترجمة محمد العربي الزبيري، ص 10-11.

الأهالي بأنهم أقل مما كانت عليه في العهود السابقة، وهذا ما جعل الأهالي ينصرفون عن ممارسة هذا النشاط، وتسبب هذا الوضع في تكديس الأخشاب على الشواطئ وعدم نقلها إلى ورشات صناعة السفن¹.

أما العوامل الخارجية، فتمثلت في فقدان الأسطول الجزائري عدة قطع أثناء المعارك البحرية التي خاضها ضد الأساطيل الأوروبية. وازدادت أحواله تفاقما، ابتداء من منتصف العقد الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة الحاصلات التي شنها عليه الأسطول الأمريكي في عام 1815م، والأسطول الإنجليزي في عام 1816م². ومنذ ذلك الحين لم يعد هناك أسطول قوي على النحو الذي كان عليه في القرن السابع عشر، وجاءت بعد ذلك معركة "نافارين" NAVARIN باليونان لتقضي عليه نهائيا في عام 1827م.

أما عن العوامل المؤثرة في الأوضاع العسكرية، فإنه يمكن إرجاع سبب تدهور تلك الأوضاع إلى عوامل عديدة، كان أهمها:

التنافس بين القوتين العسكريتين البحرية والبرية:

قد نتج عن التنافس الذي نشب بين القوتين عدم استقرار نظام الحكم، إذ مر بأربعة عهود متباينة، وقد كان الغرض من هذا التنافس هو محاولة كل قوة السيطرة على مقاليد الحكم حيث كان الجنود يدركون جيدا أن الحفاظ على امتيازاتهم المادية مرهون بمدى تحكمهم في السلطة³، لذا أصبح المحرك الأساسي للتنافس يتمثل في العامل الاقتصادي الذي كان له تأثير سلبي على تصرفات وسلوك الجنود، فبعد ما كانت مهمتهم الأساسية هي الدفاع عن البلاد، أصبح شغلهم الشاغل هو قبض المرتبات، فإذا تأخر

¹ GARRÔT: OP. CIT., PP. 654-655

² لمزيد من التفاصيل عن الحملات الإنجليزية أنظر الفصل الثالث.

³ BOUABBA: OP. CIT., P. 34

الحكام عن دفعها في الوقت المقرر، عصت الفوضى والاضطرابات التي غالبا ما تؤدي بحياة الحكام¹. لكنه رغم اشتداد التنافس بين القوتين، فإن هناك نوعا من التكامل بينهما، نتيجة المصلحة المشتركة. فإذا كانت القوة البرية تتولى مهمة الدفاع عن البلاد، والحفاظ على الاستقرار والأمن الداخلي، فإن القوة البحرية كانت توفر جزءا من مرتبات الجنود بفضل العائدات والغنائم البحرية التي كانت تزود بها خزينة الدولة². ومن هنا يمكننا القول أن المصلحة المشتركة قللت نسبيا من حدة الصراع، خاصة بعد أن سمح للانكشارية في عام 1568م بالانضمام إلى البحرية، وممارسة النشاط البحري³. وإذا كان الصراع بين القوتين ضعيف التأثير على الحياة العامة في العهود الأولى من الحكم العثماني، فإن ذلك يرجع إلى الحالة الاقتصادية الجيدة التي كانت عليها البلاد، إذ سمحت الثروة الهائلة للحكام بأن يتغلبوا على كل المصاعب.

الإنكشارية وتغير أوضاعهم الاجتماعية:

بعد أن كان الإنكشاريون في بداية الأمر يعيشون عزابا في ثكناتهم حيث وهبوا حياتهم لخدمة الوطن، فإن الوضع قد تغير في العهود الأخيرة، إذ سمح لنسبة كبيرة منهم بالزواج، مما جعلهم يرتبطون أكثر بأسرهم، وبالتالي أصبحوا يتخلون عن دورهم العسكري. كما سمح للجنود بممارسة المهن المختلفة، وفتح محلات تجارية أثناء فترة استراحتهم. وقد ساعدتهم ذلك على كسب أموال طائلة حيث يصبح كل جندي في آخر أيامه غنيا⁴.

¹ DETASSY: OP. CIT., P. 207

² محمد خير فارس: المرجع السابق، ص 96.

³ نفسه، ص 95.

⁴ DEPARADIS: OP. CIT., P. 34

وبالرغم من الضيف المبكر الذي طرأ على الجيش، فإنه لم يكن خطيرا لأن حالة البلاد الاقتصادية كانت جيدة، فلهذا تمكن الحكام من السيطرة على الوضع، والتغلب على الانتفاضات والاضطرابات بجميع أشكالها. إلا أن الأمر قد اختلف لما بدأت موارد البلاد تتضاءل في أواخر القرن الثامن عشر. والظاهرة التي ميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، هي انتشار الفوضى واشتداد العنف. فقامت الإنكشارية بتحطيم عظمة الداي، كما كانت ترتكب الأخطاء، تلوي الآخر. وكان هذا الوضع في صالح اليهود الذين عرفوا كيف يسيطرون نفوذهم على اقتصاد البلاد¹.

قلة وفقد الجند من المشرق:

لقد كان لتدهور الأوضاع الاقتصادية انعكاس سلبي على الأوضاع العسكرية حيث قامت الحكومة بتقليل عدد الجنود المجندين من المشرق. وقال تانجيل في هذا الصدد: "أصبح عدد المجندين من المشرق منذ عدة سنوات ضئيلا، فهل يمكن إرجاع ذلك إلى سياسة الحكومة التي اعترفت بعدم قدرتها على توفير مرتبات الجيش الضخمة، خاصة أن إمكانياتها قد أصبحت محدودة نتيجة قلة وارداتها البحرية؟"².

لاشك أن التقليل من المجندين لم يرجع إلى قلة إمكانيات الجزائر. فحسب، بل كان الحكام يتجنبون في السنوات الأخيرة تجنيد الجنود من المشرق. لأنهم كانوا يعلمون أن الإنكشارية أصبحت غير صالحة، إذ فقدت كل الحاصل التي كانت تمتاز بها في العهود الأولى، ولم تعد قوة محاربة بالمعنى المألوف، بل كانت فئة مقيمة³. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإنكشارية

¹ مولاي بالحنيسي "سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني"، ص 200.

² THAINVILLE: OP. CIT., PP. 131-132.

³ عمر عبد العزيز عن تاريخ المشرق العربي 1516م - 1922، ص 114.

في الجزائر كانت مطابقة لمثلتها في مختلف ولايات الدولة العثمانية. فأصبحت في القرن الثامن عشر عامل ضرر للجيش أكثر منها عامل نفع له في الحرب. وقد سمحت لها أوضاعها القوية التي اكتسبتها داخليا بأن تسيطر بها على الحياة السياسية في تغيير السلاطين واغتيالهم. كما كانت مصدر فوضى وتمرد، فهي من ناحية قد أسهمت في بناء مجد الإمبراطورية في البداية، ومن ناحية أخرى تسببت في أخطائها في النهاية¹.

وعلى العموم، فإن عدد الجنود القادمين من المشرق قد تضاءل خاصة بعدما قام السلطان محمود الثاني بالقضاء على الفرقة الإنكشارية في عام 1826م². وقد زاد عدد الجنود في التناقص نتيجة الحصار الذي فرضته فرنسا على السواحل الجزائرية بين عامي 1827 - 1830م. ونظرا لهذا الخطر الخارجي الذي كان يهدد الجزائر، كتب الداي حسين (1818-1830م) إلى السلطان محمود الثاني طالبا منه قوات عسكرية. وقد جاء في رسالته: "منذ عدة سنوات، لم يحصل الأوجاق على الفرق العسكرية من الأناضول، وهو بحاجة إلى فرق تركية، فلذا نرجو منكم الموافقة على إرسال بعض الفرق من مدينة أزمير والمناطق الساحلية الأخرى"³. وتعمس الأرقام التالية عدد المجندين في المشرق خلال العقود الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني.

ففي الفترة الممتدة من عام 1801 إلى 1810م وصل عدد المجندين إلى 2264 مجندا، ومن عام 1810 إلى 1820 بلغ عدد المجندين 4115

¹ WEISSMANN: OP. CIT., P.2.

² JULIEN: OP. CIT., P.3.

³ BOYER: la vie quotidienne..., P.98.

مجندا، أما في العقد الأخير 1820م - 1830م، انخفض عدد المجندين إلى 2154 مجندا¹.

انتشار الأوبئة:

لقد انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني عدة أوبئة خاصة وباء الطاعون الذي أودى بحياة عدد كبير من السكان ومن ضمنهم الجنود² وتجدر الإشارة إلى أن هذه العوامل لم تكن مقصورة على الجيش البري فقط بل كان لها تأثير أيضا على الجيش البحري³.

الأوضاع الاقتصادية:

القطاع الزراعي والثروة الحيوانية: لقد كان الاقتصاد الجزائري يعتمد أساسا على الزراعة، نظرا لاتساع الأراضي الزراعية وخصوبة التربة واعتدال المناخ. وقد سمح تنوع التضاريس بتنوع الغطاء النباتي والمحاصيل الزراعية. ويمكن تقسيم تضاريس البلاد إلى ثلاث مناطق متباينة.

1- المنطقة الشمالية: تنتشر فيها السهول الشاسعة شسبيا والضيقة المنحصرة بين الجبال. وتتميز هذه السهول بوفرة المياه وخصوبة التربة، وهي

¹ COLOMBE: OP. CIT., P. 180

² BOYER: la vie quotidienne... P. 98

³ لمزيد من التفاصيل عن الأحوال المعيشية، أنظر ناصر الدين سعيدوني "الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي"، مجلة الثقافة، العدد 92، سنة 1986، ص 101-111.

في بعض الجهات سوداء وفي جهات أخرى حمراء، ولكنها في جميع الحالات خصبة حيث أنها مشربة بالنترات¹.

2- المنطقة الوسطى (الهضاب العليا): تتميز أراضيها بالارتفاع النسبي، وهي تقع بين سلسلتين جبليتين هما: الأطلس التلي والأطلس الصحراوي تغطيها حشائش قصيرة، وتلقى كمية متوسطة من الأمطار، كما تنتشر فيها المراعي الفسيحة، لذا تعتبر منطقة رعوية بالدرجة الأولى، إلا أنها تساهم بقسط كبير في إنتاج الحبوب.

3- المنطقة الجنوبية: وهي أكبر المناطق مساحة، أراضيها قاحلة تغطيها الرمال، إلا أنها تنتشر فيها واحات خضراء مزروعة بالنخيل، ولقد ساعد تنوع التضاريس والمناخ على وفرة كل أنواع المحاصيل الزراعية². وفي هذا الشأن قال القنصل الفرنسي في الجزائر "ديبوا تا فليل"³: "مهما كانت المرتفعات التي تتخلل أراضي الجزائر، فإنها منتجة، ومن شأنها أن تكون صالحة لزراعة المحاصيل المحلية والأجنبية، وقد جربت خصوصا زراعة القطن بضواحي مدينة الجزائر، فكانت نتيجته جيدة"⁴. وكانت الأراضي الزراعية الجيدة تقع في سهل مريحة والمناطق الشرقية والغربية من البلاد، إلا أن أراضي الغرب كانت أقل إنتاجا. بينما كانت الأراضي الفقيرة في منطقة التيطري⁴. أما عن سبب ضعف الزراعة في الناحية الغربية، فإن ذلك يرجع إلى تركز الإسبان في مدينة وهران، مما جعل الفلاحين ينصرفون عن الأراضي

¹ شالو: المصدر السابق، ص 29.

² (J.) لمزيد من التفاصيل عن المناخ والتضاريس وحياة السكان في كل هذه المناطق، أنظر DESPOIS "l'Afrique du nord"

³ THAINVILLE: OP. CIT., P. 144

⁴ DEPARADIS: OP. CIT., P. 98

الزراعية، فركزوا نشاطهم على رعي المواشي، لأن ذلك يسمح لهم بالتنقل كلما هاجمهم الإنسان¹.

ولقد كانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل. فكانت كمية كبيرة من القمح تنتجها بجاية وسهل متيجة الخصب، إلا أن أجوده كان يأتي من نواحي تلمسان². وكان القمح الجزائري ممتازا ببنافس محاصيل الدول الأخرى في الأسواق العالمية، ويؤكد ذلك شالر بقوله: "وهذا القمح مشهور في الأسواق الإيطالية ويفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى، بسبب جودته لصنع "المكارونة" وغير ذلك من أنواع العجائن"³. أما الخضار والفواكه، فكانت تزرع في البساتين الواقعة بضواحي المدن⁴. بينما اختصت المناطق الجبلية الواقعة في شمال البلاد بزراعة الأشجار المثمرة كالنخيل والزيتون وغيرها⁵. وإلى جانب الزراعة هناك ثروة غابية هائلة، لكن مع مرور الوقت، عرفت الغابات تدهورا كبيرا، وذلك لاستغلالها المتزايد لصناعة السفن وبناء المنازل واستخراج الفحم.

أما عن أنواع ملكية الأراضي الزراعية الموجودة في الجزائر، فكانت أنواعا عديدة، منها: الملكية الخاصة، وملكية الدولة أو البايك، وملكية الأوقاف، وملكية العرش⁶. ومهما كانت أنواع الملكيات الزراعية بالجزائر خلال العهد العثماني، فإن استغلالها تميز باستعمال الآلات البسيطة

¹ نوهي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب رايح سطنبولي وآخرين، ص 142.

² (S.) DESTRY: Histoire de l'Algérie, P. 132

³ شالر، المصدر السابق، ص 30.

⁴ نوهي، المرجع السابق، ص 144.

⁵ نفسه، ص 146.

⁶ صلاح المقاد، الأحوال الاجتماعية والنظم الإدارية في الجزائر، ص 159.

أنظر أيضا، ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830 ص 87.

كالمحراث الخشبي والمنجل البسيط والاتجاء إلى رماد الأعشاب المحروقة وفصلات الحيوانات لإخصاب التربة أو إلى ترك الأرض بورا لمدة سنة أو أكثر لتستعيد خصوبتها، وهذا ما جعل أغلب الملكيات تعاني الإهمال وتتشجر فيها المستنقعات، مثل سهل وهران وعنابة والجزائر¹.

لم يكن نشاط الفلاحين مقصورا على الزراعة فقط، بل يشمل تربية الحيوانات كالأبقار والأغنام والماعز والخيول والتحل. وكان عدد الأغنام يصل أحيانا إلى سبعة أو ثمانية ملايين رأس². مما يدل على أن البلاد كانت تنتج كميات كبيرة من اللحوم والأصواف والجلود، كما أن الأرقام المذكورة تعطينا صورة واضحة عن أهمية الإنتاج الحيواني، إذ كانت الجزائر تصدر سنويا من ميناء مدينة الجزائر إلى أوروبا حوالي 20 إلى 25 ألف قطعة جلدية و 7 إلى 8 آلاف قططار من الصوف الآتية كلها تقريبا من منطقة التيطري. أما ميناء عنابة، فكان يصدر 10 إلى 12 ألف قططار من الصوف، وكان هذا في سنة 1788 م³. بينما ورد في تقرير "بوتان- BOUTIN" الفرنسي عام 1808، أن الشركة الملكية الإفريقية اشترت من ميناء عنابة 16 ألف قططار من الصوف⁴. وإلى جانب الإنتاج الحيواني، كانت الجزائر تصدر كميات كبيرة من الحبوب إلى أوروبا، فقد صدرت في عام 1788 م حوالي 150 حمولة من القمح والشعير والخضر الجافة⁵، وبالإضافة إلى كل هذه المواد، كانت الجزائر تصدر مواد أخرى، كالشموع والخمور والتمور والزيت والتبغ

¹ ناصر الدين سعيدوني: "ملكيات الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالريف"، أعمال ملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب، الجزء الأول، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، 1983 ص 218.

² JULIEN: OP. CIT., P. 8

³ DEPARADIS: OP. CIT., PP. 8

⁴ IBID: P. 125

⁵ (Y.) BOUTIN: Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, pub par G. ESQUER, P. 78

والمواشي والغنم والجوز والحيوانات، كالأبقار والأغنام. ورغم تمتع الجزائريين بمساحات زراعية هامة، فإن استغلالها كان محدودا، إذ ترك أكثر من نصف الأراضي الخصبة يورا¹، أما الجزء الباقي منها، فكان يستغل بطريقة وأساليب تقليدية، لم تحاول إدخال تقنيات زراعية حديثة، وتطوير وسائل الإنتاج، كما أنها لم تعمم بناء السدود². وقد كانت لهذه الوضعية انعكاسات سلبية على المردود الفلاحي.

أسباب عرقلة نمو الزراعة وتطورها: عرفت الزراعة في الفترة الأخيرة من العهد العثماني عدة صعوبات، مما عرقل نموها وتطورها، ويمكن حصر تلك الصعوبات في النقاط الآتية:

1- السياسة الضريبية: انخفضت من وارد البلاد الواردة من القطاعات الاقتصادية الأخرى، مما أدى إلى ارتفاع قيمة الضرائب التي كانت قد قررتتها الدولة على الفلاحين، اعتقادا منها أن هذا الإجراء يعمد لها مما فقدت القطاعات الأخرى، فأصبح الفلاحون يدفعون أضعاف المبالغ، مما جعلهم يتخلون عن أراضيهم الزراعية لينسحبوا إلى الجبال والصحاري، فارين من جباة الضرائب³. وقد أدى هذا الوضع إلى انتشار الفقر في أراضي كانت من أغنى وأخصب الأراضي، وأصبحت مهجورة وجرداء⁴.

2- الثورات وحركات التمرد الداخلية: شهدت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ثورات وحركات التمرد داخلية ألحقت أضرارا بالغة

¹ JULIEN: OP. CIT., P.7

² فارس: المرجع السابق، ص 98.

³ فالو: المصدر السابق، ص 59.

⁴ بالحسيني: سياسة الضرائب بالجزائر... ص 209.

بالأراضي الزراعية. كما أزعجت الفلاحين على وقف نشاطهم لعدم توفر الأمن⁵ في المناطق الريفية.

3- الكوارث الطبيعية: أدت الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البلاد في الفترة الأخيرة من العهد العثماني إلى تدهور القطاع الزراعي. وقد أثقلت هذه الكوارث في سلسلة الزلازل التي تسببت في خسائر مادية وبشرية، نذكر منها زلزال مدينة وهران 1790م، زلزال مدينة عنابة 1815م، زلزال مدينة الجزائر 1818م، زلزال البليدة ونتيجة 1825م، وإضافة إلى هذه الزلازل، كانت البلاد تمر بفترات من الجفاف وزحف الجراد² التي كان يترقب عليها انتشار المجاعة، وقد أدى الوضع إلى ارتفاع أسعار المواد الغذائية في الأسواق، إذ بيع الصاع الواحد من القمح بثمانية وعشرين فرنكا³. ويمكن أن نضيف إلى هذه العوامل كلها، انتشار الأوبئة كالطاعون⁴، الذي تسبب في هلاك عدد كبير من السكان، مما أدى إلى نقص الأيدي العاملة. "لقد أدى وباء عامي 1817-1818م إلى هلاك ثلثي سكان مدينة عنابة، التي لم يعد يتجاوز عدد سكانها بسبب هذا الوباء خمسة آلاف نسمة، كما تضررت به أغلب الجهات الجبلية والصحراوية"⁵.

¹ محمد الصالح المنعري: مجاعات قسنطينة، تحقيق ربيع بونار، ص 31.

² نفسه، ص 28.

أنظر أيضا: الزهار: المصدر السابق، 117، وكذلك M. DEVAL au Duc DE Richelieu, C.C. Alger 1817-1818, T.43, AR. M.R.E. France.

دوقال، أن سربا من الجراد أتلغ كل أراضي الجزائر، مما أدى إلى انتشار المجاعة وارتفاع أسعار الحبوب.

³ حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 28.

⁴ الزهار: المرجع السابق، ص 142.

⁵ سعيدوتي: الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي... ص 105.

وخلص القول، إن القطاع الزراعي كان بإمكانه أن يلعب دورا مهما في الاقتصاد الجزائري، نظرا للإمكانيات الضخمة المتوفرة، لكن العوامل البشرية والطبيعية التي ذكرناها كانت سببا في عرقلة التنمية الزراعية. وذلك كان بإمكان البلاد أن تحسن الوضعية لو عرفت كيف تعالج بعض العوامل التي يتسبب فيها الإنسان، كالثورات وحركات التمرد الريفية وطريقة جمع الضرائب.

القطاع الصناعي: عرفت الجزائر في العهد العثماني صناعة تقليدية كانت تستمد خامتها الأولية في أساسها من الإنتاج الزراعي والحيواني. مما جعل إنتاجها هي الأخرى متنوعة. فكانت لكل منطقة صناعتها الخاصة. وكان جزء من الإنتاج يستهلك محليا، والجزء الآخر يصدر إلى الخارج. وقد تصدرت صناعة النسيج الطليعة، نظرا لوفرة المواد الخام كالصوف والحبر. وكانت المدن والقرى الجزائرية تنسج الزرابي والحياك والبرانس، إلا أن أجود الزرابي كانت تنسج في قلعة ابن راشد¹. كما اختصت مدينة قسنطين بنسج الحياك². وعلاوة على هذه المنسوجات، انتشرت صناعة الأخرمة الصوفية والحريزية والمتاديل والشالات، وهذه المنتجات الحريزية تباع بأسعار أغلى قليلا من مثيلاتها من المنتجات الفرنسية والإيطالية. لأن المنتجات الجزائرية أجمل وأمتن وألوانها جميلة ودائمة. وعلى العموم، لا توجد بضاعة أوروبية تفوق المنتجات الجزائرية في هذا المجال³. كما كانت الجزائر تنتج الشواشي⁴، إلا أنها كانت أقل جودة من تلك التي تنتجها

¹ DEPARADIS: OP. CIT., P 122

² IBID, P123

³ شالر المصدر السابق، ص 93.

⁴ نوع من أغطية الرأس للرجال.

تونس¹. وبالإضافة إلى صناعة النسيج، عرفت الجزائر صناعة دباغة الجلود التي تصنع منها السروج والأحذية وغيرها.

وقد اختصت مدينة الجزائر وتلمسان وقسنطين بصناعة الحلي الذهبية، إلا أن هذه الصناعة كان يحتكرها اليهود². بينما اختصت قري جرجرة بصناعة الحلي الفضية، وبالإضافة إلى هذه الصناعات، مارس المجتمع الجزائري كل الأنشطة الصناعية المعروفة. كصناعة الفخار والحداة والتجارة والأسلحة والبارود والأدوات الزراعية وبناء السفن وسك النقود³. وكانت هذه الصناعات متفاوتة من حيث الجودة من مكان إلى آخر.

والملاحظ أن الصناعة في الجزائر كانت تحتفظ بطابعها التقليدي نظرا لعدم محاولة تطويرها والنهوض بها، كما أن الصناعة تعرضت هي الأخرى إلى نفس العوامل التي عرقلت الزراعة. ولما كانت الصناعة تعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني بشكل أساسي، كما أشرنا، فقد كان للتدهور الذي أصاب القطاع الزراعي والحيواني انعكاسات مباشرة على القطاع الصناعي. فعندما قل الإنتاج الزراعي والحيواني، ارتفعت أسعار المواد الخام، مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على المواد الضرورية، فاضطروا إلى دفع مبالغ ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار المصنوعات بسبب قلة الإنتاج وارتفاع أسعار خامتها. هذا بالإضافة إلى الضرائب الباهظة التي كان يدفعها الصناع على مصنوعاتهم⁴.

¹ DEPARADIS: OP. CIT., P 121

² (R.) LESPES: Alger étude géographique et d'histoire urbaines, P162

³ يحيى بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، العدد 80، السنة 1984، ص 169.

⁴ سعيدوني: "النظام المالي..." ص 37.

ومن أهم العوامل التي أضعفت أيضا الصناعة، استيراد المصنوعات الأجنبية التي تنافس مثلثها المحلية¹.

القطاع التجاري

مهما كانت الثروة الزراعية والصناعية التي تزخر بها البلاد، فإنها لم تكن كافية للنهوض بالاقتصاد الوطني، إن لم يكن هناك نشاط تجاري مكمل وموازي لها. فلذا مارس الجزائريون في العهد العثماني نشاطا تجاريا واسدا حتى أصبح من الدعائم الرئيسية للاقتصاد الجزائري، ويتجلى ذلك في العدد الهائل من المحلات التجارية والأسواق التي كانت منتشرة عبر مختلف المدن الساحلية والداخلية.

ومهما كانت أهمية التجارة الداخلية، فإنها تبقى استهلاكية ومحدودة الزرع والنجاح إذا لم تكن هناك تجارة خارجية مكملتها. ونظرا لأهمية هذا الارتباط، فإن التجارة الجزائرية لم تكن مقصورة على المستوى الداخلي فقط بل امتدت إلى ما وراء الحدود، فلذا انقسمت التجارة الجزائرية إلى نوعين: أولهما: التجارة الداخلية التي كان يقوم بها الأهالي في غالب الأحيان. وثانيهما: التجارة الخارجية التي كان يمارسها الأجانب وبعض الأهالي².

وقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي والصناعي إلى ازدهار النشاط التجاري داخليا وخارجيا. فأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية هامة يؤمها الأهالي من مختلف القرى لشراء حاجاتهم الضرورية وبيع إنتاجهم الزراعي والصناعي. كما كانت المدن مرتبطة هي الأخرى ارتباطا وثيقا بالأرياف باعتبارها مصدر لتموينها بالمواد الغذائية. فكانت مدينة الجزائر تأتيها المواد

¹ LESPES, OP. CIT., P 162

² محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792 - 1830، ص 64 - 65.

الغذائية من المناطق المجاورة لها، كالبسنتين الساحلية ومتيجة وشرشال والبلدية وحتى من المناطق الجنوبية¹. وقد ساعدت هذه الحركة على خلق نوع من التكامل بين المدن والأرياف. فكانت كل قبيلة تأتي بالتجارية إلى أسواق المدن لتتم فيها المبادلات التجارية. فكان الفلاحون في شمال البلاد يأتون إلى أسواق المدن بالحبوب والمواشي والجنود والأمشاط ويأخذون في المقابل المواد والمصنوعات التي لا ينتجونها في مناطقهم. بينما كان سكان الصحراء يقدمون إلى الشمال محملين بالتمور والأصواف المفرولة ويأخذون الصوف الخام والحبوب والأغنام الزيدة. وكانت هذه المبادلات تتم في مواسم الحصاد حيث تكثر الحبوب في الأسواق الشمالية وتختف أسعارها². وكانت أهم المراكز التجارية تقع في مدينة الجزائر وقسنطينة وتلمسان ووهران بعد تحريرها من الإسبان عام 1792م³.

ولقد كانت للجزائر علاقات تجارية مع الدول الجنوبية، كمالى والنيجر ونيجيريا التي كانت تعرف بالسودان الغربي. وكانت القبائل الصحراوية هي التي تتولى التجارة مع هذه الأقطار. وقد أنشئت عدة محطات تجارية هامة عبر الصحراء. فكانت المواد تنقل من شمال البلاد إلى متبلي في الجنوب، ومن هناك تنقلها التعابية لتوصلها إلى أسواق المنيع، ومنها يحملها رجال الطوارق والخنافسة إلى تومبكتو في مالي. وكانت المواد المصدرة تشمل المصنوعات الأوربية والزيت والتمور والأقمشة الصوفية والخزيرية

¹ LESPES, OP. CIT., P 162

² (M.E.) CARETTE: Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques, P 14

³ (E.) EMERIT: LES LIAISONS terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord au XVIII^e, extrait des travaux de l'Institut de recherches Sahariens, T. XL P. 37

والبهارات والحبوب والشحوم وغيرها. بينما كان أهل الصحراء يستوردون التبر والعبيد وريش النعام وجلود البقر الوحشي والعاج وغيرها ¹.

أما عن العلاقات التجارية بين الجزائر وباقي دول المغرب العربي، فقد عرفت هي الأخرى نشاطا واسعا، إلا أن أكثر المبادلات كانت تتم مع تونس. فكانت القوافل ترحل يوميا من قسنطينة والواحات الجزائرية (وادي سوف وتقرت وورقلة) متجهة إلى المدن التونسية نفطة وغدا مس وتونس العاصمة ². وكانت المواد المصدرة من الجزائر إلى تونس متنوعة، منها: الأقمشة الصوفية والعادية والتمور والجمال وغيرها. أما المواد المستوردة، فهي مواد البزاة والعطرية والأقمشة الحريرية والمصنوعات الأوربية والحيات الخفيفة والأسلحة والكبريت وغيرها. بينما كانت المبادلات التجارية مع المغرب الأقصى ضعيفة نسبيا، فكان معظمها يتم بين وادي ميزاب والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان ووهران من الجانب الجزائري، وفاس ومكناس وتيطوان، من الجانب المغربي ³. أما عن المواد المصدرة والمستوردة، فتكاد تكون نفس المواد المتبادلة بين تونس والجزائر، إلا أن أكثر الجلود والأحذية كانت تأتي من المغرب الأقصى.

ومهما قيل عن العلاقات التجارية السودانية والمغربية، فإنها تكاد لا تمثل شيئا إذا قارناها بتلك العلاقات التي كانت تربط الجزائر بدول أوروبا. لقد كانت معظم المبادلات التجارية الجزائرية تتم مع الدول الأوروبية، وساعد موقعها الممتاز المطل على البحر المتوسط على أن تلعب موانئها دورا تجاريا هاما، وذلك منذ وقت مبكر. وقد ورد في الوثائق الفرنسية أن فرنسا كانت أول دولة أوروبية تربطها علاقات تجارية مع الجزائر، إذ يرجع تاريخ وجودها

¹ CARETTE: OP. CIT., PP. 26-27

² الزبيري، التجارة الخارجية...، ص 159.

³ CARETTE: OP. CIT., P. 23

في سواحل إفريقيا إلى القرن الثالث عشر. ومنذ ذلك الحين، أصبحت العلاقات الجزائرية الفرنسية تتعزز يوما بعد يوم. وقد كانت بلدية مرسيليا آنذاك، تمثل مصالح فرنسا في الجزائر، مما جعلها تبرم اتفاقية تجارية وملاحة في القرن الرابع عشر مع سلطان بجاية خالد بن زكريا ¹، الذي سمح لها بأن تعين قنصلها في مدينته. وبناء على هذه الاتفاقية أصبحت سفن مرسيليا تتوافد على الموانئ الجزائرية محملة بالقصدير والجوخ والخردوات، وترجع إلى مرسيليا محملة بالجلود والصوف والزيت والشعير ². وهكذا عرفت العلاقات التجارية الجزائرية الفرنسية تطورا ملحوظا، خاصة بعدما دخلت الجزائر تحت الحكم العثماني، إذ سمح السلطان العثماني سليمان (1520م - 1566) ³ في عام 1561 للتاجرين من مرسيليا، هما "طوماس لنش" - LENCHES و "كارلين ديدي" - C. DIDIER بتأسيس مؤسسة تجارية ومحطة لصيد المرجان شرق مدينة عنابة التي عرفت في التاريخ "بمحس فرنسا" - Bastion de France ⁴. لقد سمح هذا الامتياز الذي حصل عليه التاجران بالحصول على أرباح طائلة، إلا أنه ما لبثت مؤسستهما أن توقفت عن ممارسة نشاطها نتيجة الخلافات التي طرأت بين التاجرين وأهالي المنطقة.

وبالرغم من شدة الخلافات بين البلدين، فإن فرنسا تمكنت من استرجاع ممتلكاتها، وتم لها ذلك بمقتضى الاتفاقية التي أبرمتها مع الجزائر في 19 سبتمبر 1628 م ⁵. وبناء على هذه الاتفاقية، سمح للقائد الفرنسي "صانصون نابولون" - S. NAPOLON بإعادة تنظيم المؤسسات الفرنسية

¹ (A.) DEVOULX: Les archives du consulat général de France à Alger P. 2.

² BOYER: LA VIE QUOTIDIENNE ... , P. 13.

³ تحالف مع ملك فرنسا فرنسوا الأول ضد ملك أسبانيا شارل الخامس.

⁴ DEVOULX: OP. CIT., P. 4

⁵ BOYER: OP. CIT., P. 13.

في الجزائر¹. إلا أن العلاقات التجارية الفرنسية كانت غير مستقرة، خاصة في المهود الأولى. إذ كانت تتعرض باستمرار إلى الانقطاع، لكن فرنسا كانت دائما تحرص على إبقاء مصالحها في الجزائر. نظرا للأرباح الطائلة التي كانت تحصل عليها. وقد أبرمت فرنسا عدة اتفاقيات ومعاهدات للحفاظ على تلك الامتيازات². كما كانت تلجأ أحيانا إلى استعمال القوة العسكرية³ وقد تجلّى ذلك في الحملات العسكرية التي كانت تشنها ضد الجزائر.

ومهما كان من أمر، فإن التجارة الجزائرية الفرنسية قد وصلت إلى ذروتها في القرن الثامن عشر، وذلك لما أصدرت السلطات الفرنسية مرسوما في 22 فبراير عام 1741م، نص على تأسيس الشركة الملكية الإفريقية⁴. وكان من أهم الأهداف التي رسمت لهذه الشركة، استغلال خيرات الجزائر بشكل أوسع ومنظم، ومنع التغلغل الإنجليزي إلى سواحل شمال إفريقيا⁵.

وقد تمكنت هذه الشركة أن تحتكر معظم المواد التي كانت تنتجها الجزائر مما ساعدها على جني أرباح طائلة وتحقيق نجاح كبير. واعترافا بكمسبها الطائل، نقشت الشركة في عام 1776م على ميدالية ذهبية الجملة التالية "مرسيليا تغني بثورات إفريقيا"⁶. ويمكننا أن ندرك ذلك الدور الهام الذي قامت به

¹ GARROT: OP. CIT., P. 473.

² لمزيد من التفاصيل عن المعاهدات التي أبرمت بين الجزائر وفرنسا، أنظر د. جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830.

³ «Traité divers pays d'Europe, » précis des traités entre la France et Alger et des expéditions entreprises contre cette Régence, par Desgranges, copie N°89, Paris 10 Juin 1827», AEBIII322, A.N.P. France.

⁴ الزبيري، المرجع السابق، ص 195.

⁵ نفسه، ص 196.

⁶ جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، تعريب محمد مرالي والبشير بن سلامة، ص 362.

الشركة الملكية فيما ورد في التقرير الذي أعده "جيل جوتي - JULES GOUTIER" صيرفي مرسيليا حيث قال: "إن الشركة الملكية الإفريقية كانت تمتلك ممتلكات هامة في الأراضي الجزائرية والتونسية، وقد تمكنت بفضل المعاهدات التي كانت تبرمها مع حكام تلك الدول من الحصول على كميات كبيرة من الحبوب والأصواف والجلود والمرجان الخام الذي كان يصدر إلى فرنسا فقط. وقد وفرت هذه التجارة لفرنسا المواد الضرورية التي أتت من المنطقة الجنوبية منها أكثر من مرة من المجاعات. كما شجعتها هذه التجارة على الرفع من عدد قطع أسطولها، وتكوين أجيال من الملاحين، الذين كسبوا حرفة صيد المرجان الواقع في تلك السواحل. وكلما قامت الشركة بتجديد معاهداتها مع الجزائر وتونس، تتدخل إنجلترا وإسبانيا لمرقلة سير المعاهدات، وذلك قصد الاستيلاء على ممتلكات فرنسا في شمال إفريقيا، إلا أن الشركة استطاعت الاحتفاظ بها حتى عام 1790م بفضل صداقة حكام الجزائر وتونس"¹. وتجدر الإشارة هنا إلى ذلك الدور الهام الذي قامت به غرفة مرسيليا التجارية التي سمحت لها صلاحياتها العديدة بأن تتدخل مباشرة في العلاقات الجزائرية الفرنسية، فكانت تتولى مهمة دفع رواتب القناصل ورعاية شؤون المواطنين الفرنسيين في الجزائر. كما كانت تدفع الهدايا إلى الحكومة الجزائرية قصد الحصول على تسهيلات تجارية².

نلاحظ أن معظم المبادلات التجارية كانت تقوم بها الشركة الملكية الإفريقية وغرفة مرسيليا التجارية، بينما كان دور باقي المواطنين الفرنسيين

¹ Traité divers pays d'Europe, «Mémoire sur la Cie d'Afrique, par JULES GOUTIER, Banquier de Marseille», AEBIII 322, A.N.P. France.

² BOYER: La vie quotidienne..., P14

ضيقا، خاصة إذا علمنا أن المقيمين في الجزائر لم يكن عددهم يتجاوز في يوم من الأيام 22 مواطنا¹.

وقد عرفت الشركة الملكية بعض الصعوبات في أواخر القرن الثامن عشر، نتيجة القرار الذي أصدره المجلس الوطني الفرنسي، الذي خول لكل الفرنسيين حرية التجارة وحيد المرجان في سواحل شمال إفريقيا. وقد أضر هذا القرار بمصالح الشركة الملكية، إذ لم تعد تمارس التجارة بمفردها، مما أدى إلى وقف نشاطها نهائيا في عام 1793 م². ومن ثم إنشاء الوكالة الوطنية الفرنسية على غرار الشركة الملكية المتلفة لمواصلة المبادلات التجارية. إلا أن هذه الوكالة لم تدمر كثيرا لظهور خلافات بين الجزائر وفرنسا، نتيجة حملة نابليون على مصر عام 1798 م. وقد توترب على هذا الخلاف الغاؤه نهائيا في عام 1801 م³. وفي عام 1807 م، قرر الداي أحمد منح ممتلكات فرنسا في غنابة والقاللة للإنجليز، والقل وجيل لبيكري اليهودي⁴. ولم تتمكن فرنسا من استرجاع ممتلكاتها إلا في عام 817 م⁵. بسبب توتر العلاقات بين الجزائر وإنجلترا. ولكن ما لبث أن ضاعت منها مرة أخرى، نتيجة خلافاتها مع الجزائر عام 827 م.

ففي الواقع، لا يرجع ضعف نشاط الفرنسيين في شمال إفريقيا إلى هذه الأسباب فقط، بل هناك سبب آخر تمثل في ظهور اليهود كقوة تجارية على مسرح الأحداث، إذ عرفوا كيف يحتكرون معظم المبادلات التجارية في

¹ «Etat des Français et protégés résident en Levant et Barbane 1756-1830». AEBIII, A.N.P. France.

² الزبيدي المرجع السابق، ص 204.

³ نفسه، ص 225.

⁴ THAINVILLE: OP. CIT., P. 125

⁵ «Le Moniteur universel, Mardi 20 AVRIL 1830», M. et D. Algérie 1825-1830, T. II. AR. M.R.E. France.

مختلف موانئ البحر المتوسط، وقد اتخذوا مدينة ليفورنة الإيطالية مركزا لتجارتهم، مما جعل هذه المدينة في فترة قصيرة تنافس مرسيليا. لم تكن العلاقات التجارية الجزائرية مقصورة على فرنسا فحسب، بل شملت معظم الدول الأوربية والشرقية، فكانت الجزائر تصدر منتجاتها إلى هذه الدول، وتستورد الأسلحة والذخيرة والمواد الضرورية لصناعة السفن¹. ويشير الجدول التالي إلى صورة جزئية لحجم المبادلات التجارية في مطلع القرن التاسع عشر.

السفن المتجهة من الجزائر إلى مرسيليا وليفورنة².

اسم السفينة	تاريخ خروجها من الجزائر	مكان وصولها	نوعية بضاعتها
لومواز	1 يونيو 1812	مرسيليا	ريش النعام
لومواز	10 فبراير 1813	مرسيليا	الشموع، العاج
موساوي	3 مارس 1814	ليفورنة	لقطن، الملح
لامادلين	25 يونيو 1814	مرسيليا	
سيون لانتور	27 يونيو 1814	مرسيليا	
عزيزة	19 يونيو 1814	مرسيليا	

والجدير بالذكر أن القناصل الفرنسيين كانوا يتبعون ويراقبون عن كثب كل النشاطات التجارية التي كانت تتم في مختلف الموانئ الجزائرية. كما كانوا يرسلون تقارير مفصلة إلى مختلف الهيئات الفرنسية.

¹ LESPES: OP. CIT., P. 158

² «copie du manifeste des marchandises envoyé par M. D. Thainville, chargé d'aff. à Alger à M. le Ministre du commerce», Rapports des Consuls, dossier Alger, F. 12, A.N.P. France

حجم الصادرات بين الجزائر وموانئ أوروبا خلال ثلاثة أشهر من عامي 1816-1817 م¹

السنة	عدد السفن	وزن البضائع	القيمة المالية	جنسية السفن
الصادرات 3 أشهر عام 1816	20	2985	680000 فرنك	مغربية
الواردات //	27	4101	1762500 ف	جنوبية
الصادرات 3 أشهر عام 1817	15	2055	849000 ف	فرنسية
الواردات //	14	1887	905000 ف	يونانية
				عثمانية

نلاحظ أن الضعف العام الذي تعرضت له الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، لم يكن مقصورا على القطاع الزراعي والصناعي فقط، بل شمل أيضا القطاع التجاري بفرعيه الداخلي والخارجي. ويمكن أن نعتبر هذه النتيجة منطقية نظرا للترابط والتكامل الذي كان موجودا بين مختلف القطاعات الزراعة والصناعة. أما العوامل التي أثرت في التجارة الداخلية والخارجية، فهي تتلخص فيما يلي:

1- أن الضعف الذي أصاب الدولة في أواخر القرن الثامن عشر جعلها غير قادرة على مراقبة المبادلات التجارية التي كانت تتم في المناطق الداخلية البعيدة أو الواقعة على الحدود الشرقية والغربية، وعلى سبيل المثال، كانت معظم أرباح تجارة الحدود الغربية يستفيد منها تجار مدينة فاس

¹ Rapport de M. DEVAL, C.C. Alger, 1817-1818, T.43, AR. M.R.E. France.

المغربية، كما أن عدد القوافل القادمة من الجنوب الجزائري إلى المدن الساحلية قد انخفض بسبب الضرائب التي فرضتها الدولة على أصحابها، إذ لا يسمح للقوافل بالدخول إلى مدينة وهران، إلا إذا دفع أصحابها للاثين ألف بوجو¹، على شكل هدايا. كما كان الباي يتمتع وحده بحق شراء بضائعهم، وذلك طبقا لنظام الاحتكار الذي أقرته الدولة.

2- كانت الضرائب والمكوس والرسوم التي فرضتها الدولة على المجلات التجارية والأسواق والقوافل بمثابة عقبات عرقلت مسار الحركة التجارية.

3- كان لنفوذ اليهود المتزايد في أواخر القرن الثامن عشر أثره السلبي على التجارة الداخلية والخارجية، إذ سمحت لهم مكانتهم بالسيطرة على جانب كبير من النشاط التجاري، فكانوا يرسلون قوافل محملة بالحرير والأقمشة والمصنوعات الأوربية إلى مختلف المدن الجزائرية². وقد ترقب على هذا الوضع، أن فقدت الجزائر جزءا كبيرا من عائدات التجارة.

4- كان للنظام الاحتكاري الذي أقرته الدولة على بعض المواد الأولية أثر سلبي على التجارة الداخلية والخارجية، أو بالأحرى على مختلف القطاعات الاقتصادية، وهذا ما جعل "شالو" يقول: "إن نظام الاحتكار الذي اعتمدته (الحكومة) في جميع المرافق وحضرها تصدير المنتجات المحلية إلى الخارج قد أدى إلى خراب التجارة الجزائرية وقضى على الزراعة قضاء

¹ EMERIT: OP. CIT., P.38

² LESPE: OP. CIT., P.162.

³ الميلي، المرجع السابق، ص 310.

ميرما¹. ولأنك أن الجزائر كانت تهدف من وراء هذا النظام الاحتكاري إلى ضمان معيشة المواطنين، وحماية اقتصادها من الاستغلال الأجنبي، ولكن يبدو أنها لم تحقق هذا الهدف. إذ معظم الفوائد التي كان يوفرها هذا النظام كانت تذهب إلى تجار اليهود والشركات الأجنبية.

ويرجع سبب فشل الحكومة الجزائرية في سياساتها الاحتكارية إلى اقتصاد دورها على الإجراءات الإدارية والتنظيمات الجمركية².

5- كانت السفن التجارية الجزائرية تتعرض للتفتيش من قبل الدول الأوربية قصد إلقاء القبض على ربابها باعتبارهم مسيحين مرتدين. لذا فضل الملاحون الجزائريون التنقل بأساطيل حربية لحماية أنفسهم من الأخطار التي كانوا يتعرضون لها. وبالتالي تركوا التجارة لبعض الأهالي يتولون أمرها. إلا أن الأهالي أيضا، كانوا يتعرضون لمضايقات من قبل الدول الأوربية، إذ لم تكن تسمح لهم بممارسة التجارة في مدنها والرسو في موانئها³. وكانت الدول الأوربية تبرر عملها بحجة أن الجزائريين قراصنة متكررين في هيئة تجار. فرغم أن الجزائريين كانوا يتمتعون في معاملتهم التجارية بالصدق والأمانة. إلا أن الأوربيين لم يتوقفوا عن مضايقتهم وطردهم حيثما حلوا⁴. ولم يكن طرد الجزائريين من الدول الأوربية بسبب أنهم كانوا قراصنة، كما زعم الأوربيون، بل لأنهم كانوا ينافسونهم في التجارة، إذ عرفوا كيف يكسبون لفة وود الزبائن الأوربيين، الذين كانوا يتعاملون معهم، وبما يؤكد ذلك ما ذكرته الوثائق أن تاجرا جزائريا ذهب إلى إحدى المستعمرات الفرنسية "لا مارتينيك -LAMRTINIQUE"

¹ قالو المصدر السابق، ص 98.

² ميمودي، النظام المالي للجزائر، ص 240.

³ (M.) EMERIT: " l'essai d'une marine marchande Barbaresque au XVIII^e s.", les C. T. N°11, 1955 P.363

⁴ EMERIT: l'essai d'une marine ... P.368

ليمارس التجارة، فتمكن من كسب ود سكانها، مما أزعج حاكم تلك المستعمرة، فأمر بالقبض على التاجر، وطرده من هناك¹.

ويمكن أن نستخلص من تلك الوثيقة نتيجتين هامتين أولهما، أن نشاط التجار الجزائريين لم يتحصر في البحر المتوسط، بل امتد إلى المستعمرات الأوربية في المحيط الأطلسي.

ثانيهما: أن مضايقة التجار الجزائريين لم تكن مقصورة على الدول الأوربية فانيهما: بل امتدت إلى المستعمرات، ولهذا الأسباب كلها، أصبح الجزائريون فقط، بل امتدت إلى ممارسة نشاطهم التجاري بكل حرية، خاصة أن أسطولهم غير قادرين على يتولى حمايتهم قد فقد فعاليته في أواخر القرن الثامن الحربي الذي كان يتولى حمايتهم قد فقد فعاليته في أواخر القرن الثامن عشر، وقد سمح هذا الخلل الذي وقع في التوازن الدولي بأن ينتقل النشاط التجاري إلى الأوربيين، الذين عرفوا كيف يطورون وسائل ملاحتهم².

وبعد هذا العرض لأهم الجوانب الاقتصادية والعوامل المؤثرة فيها، لم يبق لنا، إلا أن نعطي فكرة مختصرة عن موارد الجزائر المالية حتى تكون لدينا نظرة شاملة عن الأوضاع الاقتصادية.

الموارد المالية:

لقد أدى نشاط الجزائر الاقتصادي إلى تنوع مصادر ماله التي

يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين هما:

1- الموارد الثابتة: كانت هذه الموارد تأتي من مصادر متنوعة، منها الضرائب التي كانت مقررة على القطاع الزراعي، وهي أيضا متنوعة

¹ Rapport, lettre du citoyen Algérien Ibrahim au ministre de la marine Fr: 28.01/1791, C.C. AEBI 38, A.N.P. France

² المقادير، الأحوال الاجتماعية ... ص 143

حسب تنوع الأراضي الزراعية من حيث ملكيتها ومحاصيلها ومساحتها. فكان أصحاب الملكية الخاصة، يدفعون ضريبة العشور والزكاة، بينما قررت رسوم الحكور على الفلاحين الذين كانوا يستغلون أراضي البايليك. أما أصحاب أراضي العرش، فكانوا يدفعون ضريبة الغرامة واللزومة والمعمونة¹. وهناك عائدات البايليك التي تعرف بالذنيوش²، التي كان يدفعها البايات، وهي نوعان منها تلك التي يدفعها الباي كل ثلاث سنوات أثناء قدومه إلى الجزائر³، ومنها تلك التي يدفعها خليفة الباي مرة كل ستة أشهر. ويمكن إدراج ضمن هذه الموارد، عائدات القيادات التي كانت تابعة مباشرة لدار السلطان، مقر الحكم. أما الضرائب الأخرى، فكانت تأتي من جزية اليهود، وجقوق كراء الشموع والجلود والأصواف والزيت، ورسوم المحلات التجارية والتقايات المهنية، ومكوس الأسواق، والضرائب المقررة على الشركات الأجنبية، ورسوم الجمركية ورسوم السفن في الموانئ الجزائرية⁴. كان الأوروبيون يدفعون 5% عن قيمة البضائع الواردة إلى البلاد، ويدفع المواطنون الجزائريون واليهود 10%، بينما كانت الدولة تأخذ 2% على البضائع المصدرة. وإضافة إلى هذه الموارد، كانت الدولة تفرض ضرائب إضافية متنوعة⁵.

¹ JULIEN: OP. CIT., P.14.

أنظر أيضا: سيدوني، النظام المالي...، ص 88.

² الزمار، المصدر السابق، ص 97.

³ كان البايات يقدمون إلى الجزائر مرة كل ثلاث سنوات لدفع عائدات بياليكهم وفي نفس الوقت يتم تجديد تعيينهم أو عزلهم نهائيا.

⁴ DETASSY: OP. CIT., P.300.

أنظر أيضا: DESTRY: OP. CIT., P.143.

⁵ العقاد، الأحوال الاجتماعية...، ص 151.

أنظر أيضا: BOUTIN: OP. CIT., P.80.

2- الموارد غير ثابتة، يرجع مصدر هذه الموارد إلى عائدات بيت المال التي كانت تحصل عليها من الأملاك العقارية التابعة للدولة، وكذلك من ممتلكات الأموات الذين ليس لهم ورثة شرعيين¹. أما بقية الموارد فكانت تأتي من الغنائم البحرية²، والإتاوات المقررة على الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية لضمان حرية الملاحة في البحر المتوسط، والهدايا التي كان يدفعها القناصل أثناء تعيينهم³، ثم قدية الأسرى المسيحيين والتغريبات المختلفة، ومبالغ الوظائف التي كانت تباع من حين لآخر.

أما عن المبلغ الإجمالي السنوي لعائدات الجزائر، فإنه من المميز علينا أن نعطي رقما معينا، ويرجع ذلك إلى تنوع العملة المتداولة في البلاد، حيث كانت الجزائر تتعامل بكل العملات الأجنبية، بالإضافة إلى عملتها المحلية، وإلى عدم حصول الدولة على كل العائدات، وإلى اختلافها من مصدر إلى آخر. إلا أن "دوطاسي-DETASSY" قد قدره في عام 1825م بـ 641400 بياستر⁴، بينما حدده "شالر-SHALER" في عام 1822م بـ 434800 دولار إسباني⁵.

والمؤكد، هو أن عائدات الجزائر قد بدأت تقل في أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، ويرجع ذلك إلى نفس الأسباب التي أدت إلى انهيار القطاعات الاقتصادية الأخرى. ويمكن أن نضيف إلى تلك الأسباب

¹ DEPARADIS: OP. CIT., P.183.

² DEVOLUX: Les registres des prises maritimes P.9 et suite.

³ محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، شرح وتعليق مدوح حتي، ص 114-166.

أنظر أيضا: DEPARADIS: OP. CIT., PP.237-241.

وكذلك: (J.I.E.) ROY: Histoire de l'Algérie, P.185.

⁴ (J.) DUVAL: l'Algérie tableau historique descriptif et statistique, PP.31-32.

⁵ شالر: المصدر السابق، ص 60، كذلك سيدوني، المرجع السابق، ص 126.

الأوضاع الاجتماعية:

صنف الأوربيون في دراستهم سكان الجزائر في العهد العثماني إلى عدة مجموعات. معتمدين في ذلك على عنصر العرق. فمنهم من قسمهم إلى سبع مجموعات هي: الأتراك، الكراغنة، العرب، البربر، الأندلسيون، اليهود، السودانيون¹. ومنهم من حاول تقسيم هذه المجموعات إلى مجموعات فرعية. كما فعل "روي-روي" ROY-ROY حيث قسم الأتراك إلى عناصر تركية وإفريقية وصقلية وإبانية وغيرها².

وبناء على هذا التقسيم، حاول الأوربيون إبراز علاقات الصراع بين مختلف هذه المجموعات، وكانوا يرجعون أسباب الصراع إلى طبيعة الحكم العثماني الذي وصلوه بالاستبداد. وقبل الشروع في تحليل العوامل المؤثرة في الأوضاع الاجتماعية، يجب التوقف عند هذه الآراء، لمناقشتها. فكل هذه التقسيمات التي وردت في الدراسات الأوربية، تجعل الباحث يتساءل عما إذا كانت هناك دولة تضم شعباً من عرق واحد؟ فإذا حاولنا دراسة التركيبة السكانية لكل دولة قديمة أو حديثة، فإننا نجد أنها تحتوي على خليط من الأعراق، ويري الاختلاف الوحيد الموجود بين الدول يتمثل في مدى ارتباط سكانها وتجانسهم. فالمجتمع الجزائري لا يختلف عن بقية المجتمعات الأخرى، لكن رغم تعدد مجموعات السكانية، فإنها كانت تتميز بالانسجام والترابط³. لأنه لو كان هناك تفكك بين مختلف تلك المجموعات، كما يزعم الأوربيون، لما وصلت الجزائر إلى أوج عظمتها في القرن السابع عشر وجزء

الداخلية والخارجية سبباً آخر، وهو أن الدولة لم تكن تحصل على قدر العائدات يكفلها، إذ كان جباة الضرائب والموظفون والبايات يحتسبون جزء كبير من تلك الأموال أثناء جمعها¹. وقد قيل إن ميزانية باي وهران، وهي قسطنطين كانت تفوق ميزانية الباي². ورغم كل ذلك، فإن الدولة قد اتبعت سياسة التشف الموحدة، إذ لم تكن تنفق من عائداتها، إلا لأرواتب الجيود والموظفين والعمال والهدايا التي كانت ترسل إلى الباب العالي، كلما تم تعيين باي جديد، أما فيما عدا ذلك، فمآثر الأعمال كانت تنجز مجاناً من قبل الأهالي³. وقد اقتصر سياسة الحكام المالية على تكديس الأموال، ولم يحاولوا استثمارها وتوظيفها في مشاريع اقتصادية، ويعود ذلك إلى اعتقادهم أنهم بذلك الطريقة سوف يتقبلون على الأزمات الاقتصادية. وسواجه التطورات الخطيرة التي كانت تمر بها البلاد. ولكن كانت كل توقعاتهم خاطئة، لأن تلك الأموال التي جمعوها وكادسوها استولت عليها فرنسا أثناء حملتها ضد الجزائر وتعني بذلك "كنز القصة". وحسب بعض الدراسات التي اعتمد أصحابها على الأرشيف الفرنسي، فإن قيمة المبلغ الذي استولى عليه الجيش الفرنسي، قدر بخمسمائة مليون فرنك، وتم استثمار تلك الأموال في بناء مصانع في فرنسا، وتشيد مؤسسات اقتصادية⁴.

¹ DESTRY: OP. CIT., P. 141.

أنظر أيضاً: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 146.

² توشي، المرجع السابق، ص 138.

³ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باقا داي الجزائر 1766 - 1771 م، ص 198.

⁴ (P.) PEAN: Main basse sur Alger. Enquête sur un pillage, Juillet 1830, P. 139.

¹ BOUTIN: OP. CIT., PP. 72-73.

² ROY: OP. CIT., P. 202.

³ سينر، المرجع السابق، ص 81.

من القرن الثامن عشر، أما مسألة الثورات وحركات التمرد، فقد تجددها هذه المجتمعات التي ترفض الظلم والاستغلال

وقد تجلّى تماسك وترايب سكان الجزائر في الأعمال العمومية التي كانوا ينجزونها مجانا لصالح العام، ولحي استعدادهم الدائم للدفاع عن بلادهم ضد الاعتداءات الخارجية. ولقد كانت الدول الأوربية تعتقد أنه إذا شنت حملة عسكرية ضد الجزائر، فإن سكانها ينضمون إليها ضد الغاصبين، ولكن هذا لم يحدث إطلاقا. وهناك عدة أدلة تؤكد هذه الحقيقة فلما حاولت فرنسا احتلال مدينة جيجل في عام 1664 م، كان قائد الحملة الفرنسية "بوفور - BEAUFORT" يظن أن سكان جيجل سيتحالفون معه لمحاربة الغاصبين¹، إلا أن السكان ما لبثوا أن تحالفوا مع القوات التي أرسلها الداي ضد الفرنسيين، وتمكنوا من رد الحملة على أعقابها بعد أن أخفقوا بها خاسرا فادحة². وقد ساد هذا الاعتقاد طوال العهد العثماني، فكانت كل المشاريع الأوربية، خاصة الفرنسية المعدة لاحتلال الجزائر، تنص على أن سكان الجزائر سيتحالفون مع القوات الأوربية، نظرا للحقد العميق الموجود بين الغاصبين والأهالي³، ولكن الجزائريين احتفظوا بتماسكهم ووجدتهم، وازدادوا ارتباطا كلما دهمهم خطر خارجي.

وعلى العموم، فمهما بلغت درجة علاقات الأفراد من التماسك والترابط في دولة من الدول إلا أننا نجد أن ثمة صراعا بينهم، قد تختلف درجة حدته من دولة لأخرى. وقد يظهر هذا الصراع أحيانا بين الأفراد والسلطة أو

¹ ROY : OP. CIT., P. 142.

² GAFFAREL : OP. CIT., P. 33.

³ « Mémoire de M^{te} THEDENAT », M. et D. Algérie 1790-1827, T 14, AR. M.R.E. France.

أنظر أيضا : « Mémoire militaire sur ALGER, plan des environ de cette ville », IBID.

أيضا بينهم، فالصراع الذي عرفه المجتمع الجزائري، والذي كان يؤدي أحيانا إلى التمرد والثورات، كما حدث ذلك في مطلع القرن التاسع عشر، لم يكن محركة الأساسي عاملا سياسيا أو عرقيا أو دينيا، وإنما كان اقتصاديا والدليل على ذلك أن السكان لم يتمردوا على السلطة الحاكمة، إلا بعد أن فرضت عليهم ضرائب باهظة. وقد استغل الطوابعون هذا العامل لتعنت سكان الأرياف ضد السلطة الحاكمة¹. أما إذا نظرنا إلى الصراع الذي نشب بين الأهالي واليهود، فإننا نجد أنه لم يكن بسبب تعصب ديني أو عرقي، بل كان نتيجة تضارب المصالح الاقتصادية، مما أدى إلى تدهور شديد بين الطرفين، لكنه لم يتعد المجال التجاري والمهني².

لكنه لم يتعد المجال التجاري والمهني :

1- سكان المدن الذين كانوا يمارسون المهن المختلفة والتجارة وبعض الوظائف الإدارية. وقد عرفت بعض المدن الجزائرية، كقسنطينة والجزائر وتلمسان ومستغانم وندرومة وشرشال في العهد العثماني تطورا ملحوظا شمل مختلف القطاعات الاقتصادية، خاصة بعد أن هاجر إليها المسلمون واليهود من الأندلس، إذ أدخلوا معهم صناعات جديدة ساعدت على تطوير الصناعات المحلية التقليدية. كما عرف القطاع الزراعي اتساعا كبيرا³. فتمكن الأندلسيون بعد انصهارهم في المجتمع الجزائري من إحياء عدة موانئ جزائرية⁴. وقد أدى هذا النشاط إلى تحويل المدن الجزائرية إلى مراكز استقطاب للسكان، يؤمها الأهالي من الأرياف، باحثين عن العمل⁵.

¹ أنظر الثورات الريقية في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

² ROY : OP. CIT., P. 204.

³ سيدوني : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص 139.

⁴ نوفي، المرجع السابق، ص 150.

⁵ DEPARADIS : OP. CIT., PP 118-119.

وبناء على ما تقدم، يمكن تقسيم سكان المدن إلى أربع فئات، هي:
فئة الجيش والإداريين، فئة التجار وأصحاب الحرف، فئة المستأجرين من
الأرياف والبوادي، وأخيرا فئة الأسرى المسيحيين الذين كان عددهم يصل
أحيانا إلى 25 ألف أسير¹.

2- أما سكان الأرياف، فكانوا يشكلون الأغلبية، إذ تتراوح
نسبتهم بين 90 و 95% من مجموع السكان²، وهم يتوزعون في المناطق
الجبلية والسهلية والصحراوية. وقد كان سكان الجبال يعتمدون في حياتهم
على زراعة الأشجار المثمرة، بينما كان سكان السهول يمارسون زراعة
الحبوب وتربية الحيوانات. أما سكان الصحراء، فمنهم من كان يمارس زراعة
النخيل في الواحات، ومنهم من كان يتولى تربية المواشي. وبالإضافة إلى
النشاط الزراعي والرعوي، كان الريفيون يمارسون التجارة والصناعة
التقليدية، خاصة صناعة النسيج.

أما إذا حاولنا تقسيم سكان الأرياف حسب معيار المكانة الاجتماعية
وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، فإننا نجد أن هناك أربع فئات، هي فئة قبائل
المخزن الموالية للسلطة الحاكمة، وهي نوعان الفلاحية والمحاربة، وكان دورها
يتمثل في جمع الضرائب المقررة على الأهالي، ومساعدة الجيش في إخماد
حركات التمرد والعصيان التي كانت تقوم بها بعض القبائل، وفي المقابل،
كانت قبائل المخزن تتمتع ببعض الامتيازات، كإعفاءها من دفع الضرائب
ماعدا الضرائب التي أقرها الإسلام، كالزكاة والأعشار³.

¹ GRAMMONT: OP. CIT., P. 240.

² JULIEN: OP. CIT., P. 7.

³ (L.) RIN: « Le royaume d'Alger sous les derniers deys » R. A. 41 année, 1897, P. 126.

(R.) GALLISOT: l'Algérie précoloniale, PP. 17-18. انظر أيضا:

أما الفئة الثانية تتكون من القبائل المتحالفة أو المتعاونة، فكانت تمثلها
الأسر الإقطاعية الكبيرة، كأسرة المقراني بمجاعة وبين حيلس وبين فانة
وبوعكاز بالزيبان وغيرها. وقد كانت هذه الأسر تتمتع بنوع من الاستقلال.
ويمكن إدراج ضمن هذه الفئة الأسر الدينية التي كانت تقوم بدور الوساطة
بين القبائل المتصاعدة والسلطة الحاكمة، وكانت هذه الأسر تحظى باحترام كبير
لدى الأهالي.

أما الفئة الثالثة، فكانت تتكون من القبائل الفاتحة في المناطق الجبلية
والصحراوية. وقد سمح لها موقعها الجغرافي بأن تعيش شبه مستقلة عن
السلطة الحاكمة. وأخيرا، فئة القبائل المقيمة في أراضي الدولة التي تعرف
«قبائل الرعية»، فهي خاضعة خضوعا تاما للسلطة¹.

أما عن العدد الإجمالي للسكان في أواخر العهد العثماني، فقد
أجمعت المصادر على أنه كان يقدر بحوالي ثلاثة ملايين نسمة²، وإن كانت
بعض التقارير الفرنسية قد حددته بمليون نسمة³ أو مليون ونصف
نسمة⁴. والمعتقد أن الإحصاءات التي وردت في هذه التقارير تعوزها الدقة،
وذلك لعدة أسباب منها: أن أصحاب هذه الإحصاءات اكتفوا فقط بإحصاء
السكان المقيمين بالمدن دون أن يأخذوا بعين الاعتبار سكان المناطق الريفية
والصحراوية، وذلك لعدم وجود بيانات إحصائية حكومية يعتمدون عليها،
وعلى العموم، فإن الظاهرة البارزة التي تلفت انتباه الباحث عند
إقدامه على دراسة الأوضاع الاجتماعية في الجزائر، هي تناقص عدد السكان
ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر. ويرجع ذلك إلى عدة عوامل يمكن

¹ JULIEN: OP. CIT., P. 4.

² BOUTIN: OP. CIT., P. 72.

³ «Mémoire de MthEDENAT», M. et D. Algérie 1790-1827, T. 14, AR. M.R.E. France.

⁴ M. et D. IBID. «mémoire de GL. HULIN»

حصرها في انتشار الأوبئة والاضطرابات التي وقعت بين الإنكشارية واليهود. وانخفاض عدد المجندين من المشرق، والثورات الداخلية والحملات الأوروبية.

1- الأوبئة: من أهم وأخطر الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر، وباء الطاعون، وقد يرجع تاريخ ظهوره إلى عام 1552 م¹، إلا أنه كان في اليهود الأولى أقل خطورة. فقد قدر عدد ضحايا الطاعون في عام 1788 م بـ 15793 ضحية، منهم 13482 مسلم و1771 يهودي و540 مسيحي². وكان عدد ضحايا المسلمين يصل يوميا إلى 200 أو 240 ضحية³، بينما قدر عدد ضحايا بين سنتي 1792 م - 1793 م بـ 12 ألف ضحية⁴. وقد اشتد وباء الطاعون بين سنتي 1817 - 1822 م، مما أدى إلى هلاك عدد كبير من الأهالي، إذ قدر عدد الضحايا بـ 20 ألف ضحية⁵.

وقد كانت هذه الأوبئة تنقل إلى الجزائر من طرف الحجاج والمجندين والتجار القادمين من المشرق⁶، وهذا ما يؤكد الزهاري حيث قال: "عندما بلغت المراكب المهدة من استانبول جاء معها الوباء إلى الجزائر واشتعلت ناره سنة 1817⁷، وكان الوباء يتسرب إلى الجزائر في غالب الأحيان عن طريق البحر، لذا نجد أول من كان يصاب به هم عمال الموانئ⁸،

¹(A.) BERBRUGGER: « mémoire sur la peste » in exploration scientifique en Algérie, T.2, P. 206.

²(E.) MERSIOL: la Régence d'Alger vue par un Allemand à la fin du XVIII^e s.; P.310.

³DEPARADIS: OP. CIT., P.154.

⁴(J.) MARCHIKA: la peste en Afrique septentrionale, 1363-à 1830 P.141.

⁵IBID. PP.173-179 ;

⁶IBID. P.154.

أنظر أيضا، سعيدوني: "الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر..."، ص 99-114.

⁷الزهاري: المصدر السابق، ص 127.

⁸BERBRUGGER: OP. CIT., P.225.

وبعد ذلك ينتشر في بقية أنحاء البلاد. ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن وباء الطاعون لم يكن مقصورا على الجزائر فقط، بل شمل معظم الدول المطلة على البحر المتوسط، وذلك لكثرة الاتصالات بين هذه الدول. إلا أن مصدره الأصلي، كان يرجع إلى المدن التركية باعتبارها مراكز استقطاب للأجناس المختلفة. وقد كان الوباء ينتقل من المدن التركية الساحلية إلى بيروت والإسكندرية، ثم دول المغرب العربي. وقد جاء في إحدى التقارير التي أعدها القنصل الفرنسي دبالإسكندرية السيد "دروفيتي - DROVETTI" مايلي: "لقد طلب قناصل الدول المقيمين بمصر من محمد علي أن يمنع الجنود العثمانيين المصابين بالطاعون من النزول من سفنهم خشية انتشار الوباء في البلاد، ولكن رغم الإجراءات التي اتخذها باشا مصر، نزل الجنود إلى البر، وحينئذ بدأ الوباء ينتشر في مدينتي رشيد ودimita، وبعد فترة قصيرة شمل الوباء معظم المناطق الداخلية. وكان عدد الضحايا يصل يوميا إلى 60 أو 80 ضحية¹. وهذا دليل على أن وباء الطاعون كان مصدره المشرق".

2- الاضطرابات الداخلية: ساهمت الاضطرابات الداخلية التي نشبت في مطلع القرن التاسع عشر إلى حد كبير في تناقص عدد السكان، ونفني بذلك، اضطرابات عام 1805 م التي نشبت بين اليهود والإنكشارية، والتي أودت بحياة الداي مصطفى، هاجرت على إثرها 100 أسرة يهودية إلى تونس و200 أسرة إلى مدينة ليفورنة الإيطالية²، والثورات التي عصت الأرياف الجزائرية التي راح ضحيتها عدد كبير من المدنيين والمكركيين.

3- انخفاض عدد المجندين: عرف عدد المجندين من المشرق تناقصا ملحوظا، فبعدما كان عددهم يصل في اليهود الأولى إلى 22 ألف

¹ Rapports des consuls: "Notice sur l'état de la santé en Egypte depuis le mois de novembre 1812 jusqu'au 26 Juin 1813", Rapport du vice Consul GL. DROVETTI », A.N.P. F12 1848.

² EISENBETH: les Juifs en Algérie... P.17.

جندى، انخفض في أواخر القرن الثامن عشر إلى أربعة آلاف جندي، وكان لهذا التناقص انعكاس مباشر على العدد الإجمالي لسكان الجزائر.

4- الحملات الأوربية: كانت الحملات التي تشنها الدول الأوربية ضد الجزائر من حين لآخر، من أحد العوامل الخارجية التي أدت إلى تناقص عدد سكان. ونذكر من هذه الحملات، الحملة الإنجليزية الهولندية في عام 1816م، التي راح ضحيتها عدد كبير من الأهالي.¹

ولقد كان لتناقص السكان آثار سلبية على الأوضاع الاقتصادية، إذ أصبحت مختلف القطاعات تعاني من قلة الأيدي العاملة. وقد أدى هذا الوضع إلى انخفاض الإنتاج الزراعي والصناعي، مما تسبب في ارتفاع أسعار السلع. وكان ذلك على حساب مستوى معيشة السكان. وعلى سبيل المثال، وصل سعر الصاع الواحد من القمح 25 فرنكا فرنسيا، بينما كان في مطلع القرن الثامن عشر لا يزيد عن فرنك ونصف فرنك.²

تلك كانت أوضاع الجزائر في العقود الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني. فلم يكن انهيار الحكم العثماني في الجزائر بسبب تدهور الأسطول فقط، بل كانت هناك مجموعة من العوامل الأخرى التي جم بحوثها وتحليلها. ولعدم الإخلال بالناحية المنهجية للدراسة، خصص الفصل الثاني لدراسة بقية العوامل الداخلية التي أسهمت في تدهور الأوضاع العامة في الجزائر في جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية. ولا شك أن هذه الأوضاع قد مهدت السبيل إلى دخول الجزائر تحت السيطرة الفرنسية، عقب الدور العسكري الذي شنته فرنسا، والذي سينتهي بالاحتلال الفعلي في عام 1830م.

¹ لمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة، أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

² SHAW, OP. CIT., P. 121.

الفصل الثاني

الثورات الريفية والصراعات الداخلية

1. الثورات الريفية
2. الصراع بين الكراغلة والسلطة الحاكمة
3. نفوذ اليهود واحتكارهم للتجارة

الثورات الدينية والصراعات الداخلية:

عالج الفصل السابق الأوضاع العامة في الجزائر في أواخر العهد العثماني، والعوامل الداخلية التي كانت وراء تدهور تلك الأوضاع. أما العوامل التي أسهمت بشكل مباشر في الإسراع بنهاية الحكم العثماني في الجزائر، فتتمثلت في تلك الثورات التي قادها بعض الطريقين في الأرياف ضد السلطة الحاكمة في مطلع القرن التاسع عشر، وذلك الصراع الذي اشتد بين الكراغلة وبقية العناصر العثمانية الأخرى، وسيطرة بعض التجار اليهود على النشاط التجاري داخليا وخارجيا، مما مكّنهم من مد نفوذهم إلى المجال السياسي في فترة من الفترات.

الثورات الدينية:

عرفت الجزائر في القرن التاسع عشر عدة ثورات، خاض غمارها بعض الطريقين، وكان أهمها الثورة الدراوازية التي قادها كل من ابن الأحرش وابن الشريف في شرق وغرب البلاد، والثورة التيجانية التي قادها سيدي محمد التيجاني في الجنوب الغربي من البلاد. وقبل الشروع في ذكر تفاصيل هذه الثورات، نشير إلى أن معظم الدراسات التي تناولتها اكتفت فقط بوصف المعارك التي نشبت بين الثائرين والسلطة الحاكمة، كما أنها غالبا ما ترجع أسبابها إلى السياسة الجبائية التي اتبعتها البايات أثناء جمعهم للضرائب من الأهالي¹. ولم تحاول الدراسات أن تبرز الأبعاد الحقيقية لتلك الثورات، وقد يرجع ذلك إلى قلة المصادر التي تناولت الثورات من جهة، وإلى تحيز تلك المصادر للسلطة الحاكمة من جهة أخرى، إذ كانت تصف زعماء الثورات

¹ (P.) BOYER: « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger XVI - XIX S. », R. O. M. M. N°1, p.48.

بالمفاهيمين وبأصحاب الشعوذة¹. سنحاول تحليل كل ثورة من هذه الثورات، مبرزين الأسباب التي كانت وراءها.

ثورة ابن الأحرش:

اسمه الكامل هو محمد بن عبد الله الشريف². ويعرف لدى العامة بابن الأحرش أو بالبودالي³. أما عن أصله، فقد أجمعت معظم المصادر على أنه من المغرب الأقصى إذ وصفه الزياتي مثلاً بأنه "قتي مغربي مالكي مذهبا درقاويا طريقة درعي نسباً"⁴. وقال عنه محمد بن الأمير عبد القادر أن "من عرب المغرب الأقصى"⁵. أما عن تاريخ ظهوره على مسرح الأحداث، فإن ذلك يعود إلى عام 1800م، وهو العام الذي قاد فيه فوجاً من الخجاج المغاربة إلى المشرق لأداء فريضة الحج⁶. ولما عاد من الحجاز، توقف بصر التي كان سكانها يخوضون غمار المجاهبة آنذاك ضد الجيوش الفرنسية بقيادة نابليون (1798م-1801م). وقد قيل إن ابن الأحرش جمع جيشاً من المغاربة والجزائريين وانضم إلى الجنود المصريين لمحاربة الفرنسيين، وأظهر أثناء المعارك التي خاضها ضدهم شجاعة كبيرة، مما جعله يكتسب شهرة وصيتاً. ثم عاد إلى المغرب وتوقف في تونس حيث رحب بـ

¹ محمد بن يوسف الزياتي: دليل الحيران وأليس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ص 207.

² محمد الصالح المنري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ص 29.

³ (C) FERAUD: « Zebouchi et Osman Bey », R. A. N°6, 1862, P. 121.

⁴ الزياتي: المصدر السابق، ص 207.

أنظر أيضاً: (E) DOUTTE: « Notes sur L'Islam », PP 4-5, P. 422.

DEPONT et COPPOLANI: les confréries religieuses, P. 422.

⁵ محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ص 117.

وتعليق مدوح حقي، ص 117.

⁶ (H) GARROT: Histoire général de l'Algérie, P. 620.

ما كتبها حمودة باي¹. وذكر الزهار أن حمودة باشا استدعى في أحد الأيام ابن الأحرش ووسوس له قائلاً: "إن رجلاً مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك (بالجزائر) وينزعه من أيديهم ونحن نمدك بما يقصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك. وكان مقصد حمودة باشا أن يشغلهم عنه لا غير. وأما أخذ الملك من الأتراك، فما كان يظنه واقعاً... لم أن ابن الأحرش اتسع في عقله مثل هذا الكلام وتعلق به قلبه فوافق على ذلك"². ويعد أن مكث ابن الأحرش بعض الوقت في تونس، التقل إلى مدينة غنابة على ظهر إحدى السفن الإنجليزية³. وأخيراً، استقر به المطاف في مدينة جيجل. وقد ساعده على الاستقرار في تلك المدينة، قصف نفوذ خلفاء المرابط سيدي محمد أمقران لصغر سنهم⁴. وهناك بدأ ابن الأحرش بنشر دعوته، ويعد العدة لإعلان الحرب على السلطة الحاكمة في الشرق الجزائري. وقد تمكن من جمع عدد كبير من الأنصار من قبائل المنطقة، كأولاد عيدون وبني مسلم وبني خطاب وغيرهم⁵. كذلك يذكر الزياتي أنه: "ادعى أنه الإمام المهدي المنتظر... وكان صاحب شعوة وحيل وخبر، فرأت منه الناس العجائب وأظهر لهم الغرائب... فنصروه وعمدوا له البيعة حزبا حزبا"⁶. وقال عنه المنري "رغم أنه صاحب الوقت، وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه وبارود عدوه ولا يضره ولا يصيب أتباعه، بل يرجع لديهم ماء"⁷. بينما قال عنه الحاج المبارك: "يزعم أنه من

¹ محمد بن الأمير: المصدر السابق، ص 117.

² الزهار: المصدر السابق، ص 185.

³ GARROT OP CIT., P. 621.

⁴ BOYER: « contribution à la politique... », P. 41.

⁵ المنري: المصدر السابق، ص 29.

⁶ الزياتي: المصدر السابق، ص 207.

⁷ المنري: المصدر السابق، ص 29.

حرفاء ملوك فاس. دخل وسط القبائل ووعدهم بأخذ قسنطينة وأظهر لهم أمورا يزعم أن بارودهم يتكلم وبارود أهل قسنطينة يرجع ماء في مكابحهم، وغرهم بأمثال هذا الكلام واستمالهم ووعدهم بأموال قسنطينة وحرمتها¹ وقد يرجع نجاح ابن الأحرش في استقطاب سكان الأرياف إلى دعوته إلى عدة أسباب منها: استعداد الريفيين للقيام بالثورة ضد السلطة الحاكمة التي أثقلت كاهلهم بالضرائب. ويعزى عدم تحركهم من قبل إلى عدم وجود قائد يقودهم ويوحد صفوفهم، والدليل على ذلك أنه بمجرد أن ظهر ابن الأحرش على مسرح الأحداث تمسكوا به والتفوا حوله. كذلك كان الريفيون يطعمون ويحترمون كل من ينتمي إلى أية طريقة سلفية. وقد سبق الذكر² أنه في وقت من الأوقات كان الطريقيون يقومون بدور الوساطة بين القبائل المتصاعدة والسلطة الحاكمة، لذا فإنه ليس من الغريب أن نجد الريفيين يستجيبون لدعوة ابن الأحرش. فضلا على ذلك، فقد كسب ثقة القبائل عندما استقر بزاية سيدي الزيتوني بناحية جيجل لتفقيه الناس، وتأسيس معهدا يبني فوقان لتلقين الصبية القرآن، وتعليم الطلبة مبادئ الفقه، ومحاربة النصارى³.

ومهما كانت الأسباب التي أدت بابن الأحرش إلى القيام بالثورة، فهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ قال إن ابن الأحرش تعرف على بعض قادة الإنجليز بمصر، وهم الذين حرضوه على الثورة في الجزائر. وكان هدفهم من وراء ذلك، هو ضرب المصالح الفرنسية بالجزائر⁴. وهناك من قال إن ابن

¹ الشيخ الحاج أحمد المبارك، تاريخ حضارة قسنطينة، تعليق نور الدين عبد القادر، ص 13.

² أنظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

³ ناصر الدين سيدوني، "نور ابن الأحرش بين التمرد المحلي والانتفاضة الشعبية" مجلة الثقافة، العدد 78 سنة 1983، ص 203.

⁴ GARROT: OP. CIT., P.621.

الأحرش قد تأثر بالطريقة الدرقاوية، ولا شك أنه تلقى تعليمات من شيوخه بالمغرب الأقصى، وحرضوه على إعلان الحرب ضد العثمانيين¹. بينما هناك من قال إن ابن الأحرش قد تأثر بالفكر الوهابي الذي كان سائدا بالجزائر، والمتأخر للوجود العثماني هناك. وتجدر الملاحظة أن تونس قد استلمت مذكرة الوهابيين التي ضمنوها تعاليم دعوتهم، كما أن تلك المذكرة انتقلت إلى المغرب الأقصى. ولا شك أن ابن الأحرش قد اطلع عليها في الجزائر أو في تونس عندما استقبله حمودة باشا².

مراحل الثورة:

كان أول نشاط قام به ابن الأحرش، هو تسليح إحدى السفن، وأمر بحارتها بالانغارة على السفن الفرنسية التي كانت تصطاد المرجان في السواحل الجزائرية الشرقية. وقد تمكنوا فعلا من الاستيلاء على إحدى السفن الفرنسية وقتل عدد من بحارتها وأسر أربعة وخمسين منهم³. بينما ورد في كتاب "غارو - GARROT" أن ابن الأحرش وأتباعه استولوا في سواحل القالة على ثمان سفن لصيد المرجان، تابعة لجزيرة ألبا الإيطالية، وأسروا ثمانين من بحارتها⁴.

وبعد هذه الغزوة الناجحة، قرر ابن الأحرش أن يعلن الحرب على السلطة الحاكمة. وقد قيل إنه "انتظر وقت الصلاة الذي اجتمع فيه عدد كبير

¹ غير المغرب الأقصى أسلوبه في محاربة الجزائر، فعندما كان في القرن السابع عشر والثامن عشر يشن حملات عسكرية، أصبح في القرن التاسع عشر يحرض الطريقين ضد السلطات العثمانين.

² إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، ص 82.

³ (A.) BERBRUGGER: « Un Cherif Kabyle en 1804 », R. A. N° 1858 - 1859, P.211.

⁴ GARROT: OP. CIT., P.621.

من أنصاره ليأمر أحد أتباعه المقربين بأن يختبئ في أحد القبور ليخاطب الحاضرين بقوله: أنه قد حان الوقت الذي سيخلصهم الله من الأتراك المستبدين، وأن ابن الأحرش صاحب الوقت يحرككم منهم، قوموا كلكم لأن الله سيسلم لكم مدينة عنابة وقسنطينة وحتى الجزائر¹. ولما أخبر الداوي مصطفى بتحركات ابن الأحرش، أرسل سفنا إلى مرسى الزيتون بالقرب من مصب وادي زهور للقبض على ابن الأحرش. ولكن قوات الداوي لم تحقق نجاحا، إذ رفض سكان القبائل تسليم ابن الأحرش، فعادت السفن إلى مدينة الجزائر². وفي تلك الفترة، انضم إلى ابن الأحرش أحد الناقمين على الباي عثمان، حاكم قسنطينة، وهو المرابط سيدي محمد بن عبد الله الزيوشي الذي ينتمي إلى الطريقة الرحمانية. أما عن أسباب انضمامه إلى ابن الأحرش، فإن الباي عثمان عندما تولى حكم قسنطينة أخبر بأن أحد مرابطي مدينة ميلة، وهو الزيوشي قد استغل نفوذه الديني ليحرض سكان قبائل المنطقة ضد الأتراك. وبدلا من أن يتخلص منه الباي عثمان، اكتفى فقط بتجريدته من كل الامتيازات التي كان يتمتع بها، كإعفائه من دفع الضرائب. وقد حاول الزيوشي أن يسترجع امتيازاته، لكن دون جدوى، فاضطر إثر ذلك إلى الانسحاب إلى قبائل جبال أريس الواقعة على الضفة اليسرى من الوادي الكبير. ولما ظهر ابن الأحرش، قرر أن ينضم إليه ويساندته في حركته ضد الباي عثمان³.

بعد أن قام ابن الأحرش بإعداد العدة وجمع الأنصار، زحف على مدينة القل التي تمكن من إخضاعها. ثم قرر أن يستولي على مدينة عنابة، ولما سمعت بذلك الحامية العثمانية المرابطة بها، انسحبت منها، إلا أن ابن

¹BERBRUGGER: OP. CIT., P.210.

²IBID. P.211.

³FERAUD: Zebouchi et Osman Bey ... P.21.

الأحرش تراجع عن قراره هذا، واستغل فرصة خروج الباي عثمان من قسنطينة في محلة إلى نواحي سطيف لجمع الضرائب ليأمر أنصاره بالهجوم على مدينة قسنطينة¹. وقد قدر العنتري عدد الثائرين بمئتين ألف رجل². أما "دوغرامون وغارو" فقد ورد في كتابيهما أن عدد الثائرين بلغ ستين ألف محارب³. وعندما وصل ابن الأحرش وأتباعه إلى ضواحي مدينة قسنطينة، اعترض طريقهم قائد الديار سي الحاج أحمد بن الأبيض ومعه سكان ضواحي قسنطينة. فالتقى الجمعان واشتد القتال بينهما، ولكن في النهاية انتصر الحاج أحمد وأتباعه إلى الانسحاب إلى مدينة قسنطينة. وعلى إثر ذلك، تقدم الثائرون إلى المدينة، فحاصروها، إلا أن الحاج أحمد والشيخ سيدي محمد الفقون تمكنوا بمساعدة سكان قسنطينة من فك الحصار عن مدينتهم، وتشتيت صفوف الثائرين بالمداغ والقنابل، التي كانوا يلقونها من فوق أسوار المدينة. فلما أصيب ابن الأحرش بجروح، انسحب الثائرون من قسنطينة⁴. وعندما سمع الباي عثمان بالهجوم الذي قام به ابن الأحرش، عاد إلى قسنطينة، وفي طريقه التقى بالثائرين، وقتل عددا كبيرا منهم بوادي القطن شمال شرقي ميلة. وإثر هذه الهزيمة، انسحب ابن الأحرش وأتباعه إلى جبال بني فرقان⁵. أما الباي عثمان، فواصل طريقه إلى قسنطينة، ليخبر الداوي مصطفى بالحصار الذي ضربه ابن الأحرش على مدينة قسنطينة، كما

¹BERBRUGGER: OP. CIT., P.211.

²العنتري: المصدر السابق، ص 30.

³(H. DE.) GRAMMONT: histoire d'Alger sous la domination turque, P.364.

أنظر أيضا: GARROT: OP. CIT., P.621.

⁴العنتري: المصدر السابق، ص 31.

أنظر أيضا: الزهار: المصدر السابق، ص 86.

وكذلك: الشيخ الحاج المبارك: المصدر السابق، ص 13.

⁵GARROT: OP. CIT., P.621.

طلب منه أن يرسل له الإمدادات. فاستجاب الداوي مصطفى لطيفه. وأمر بقتل ابن الأحرش وأتباعه أو تقيهم من قسطنطينة وضواحيها. وتلبية لهذا الأوامر، أعد الباي عثمان جيشا من الجنود العثمانيين والقبائل الخاضعة له. وخرج لملاحقة الثائرين¹. وعندما وصل إلى جبال بني فرقان الواقعة المسالك، اعتزلت قبائل تلك المنطقة سبيله، وأحاطت به وتجيسته من كل الجهات². فاضطر الباي عثمان وأتباعه أن يعسكروا في سهل وادي زهر. وعندما قام الليل، استغللت القبائل فرصة نزول الأمطار لتحويل مجرى السيل إلى السهل الذي عسكر فيه الباي وأتباعه، مما جعل السهل يتحول إلى مستنقع. ويتحدث الشريف الزهار عن هذه الحكيمة بقوله "فأطلق هؤلاء (الثائرون) الماء على تلك الأرض التي بها المحلة، فصارت مثل السبخة حتى ابتلعت أرجل الخيل إلى البوادر والرجال إلى الركبة ثم حملوا على المحلة وقتلوا الباي ومن معه، فلم ينج منهم إلا القليل"³. وقد قتل أثناء هذه المعركة الباي عثمان. ولما سمع الداوي مصطفى بمقتل الباي عثمان، قرر أن يخرج بنفسه لمحاربة ابن الأحرش، ولكنه عدل عن رأيه، فأرسل الأغا الحاج علي وفرقة من الجنود، وكلّفهم بتهدئة الأوضاع في الشرق الجزائري. كما عين عبد الله بن إسماعيل، قائد الحنشة، بابا على قسطنطينة. ولما وصل هذا الأخير إلى مقر تعيينه، نظم جيشا من الجنود العثمانيين والقبائل الخاضعة له، كما طلب المساعدة من أصحابه العرب، وخرج لملاحقة ابن الأحرش⁴.

¹ الحاج أحمد المبارك «المصدر السابق» ص 13.

² BERBRUGGER: OP. CIT., P. 213.

³ الزهار «المصدر السابق» ص 86.

أنظر أيضا «المتري، المصدر السابق» ص 32.

وكذلك محمد بن الأمير عبد القادر «المصدر السابق» ص 117.

⁴ الزهار «المصدر السابق» ص 86.

والتقى بالثائرين بالقرب من ميله. وتمكن من قتل خمسة وسبعين منهم، وبلافة نصاري¹. فمن المحتمل أنهم كانوا من الأسرى الذين أسره ابن الأحرش أثناء هجومه على السفن الفرنسية. وفي هذه الفترة أيضا أرسل الداوي بعض السفن بقيادة الرايس حميدو إلى سواحل جبل لمعانة قبائل تلك المنطقة.

وبعد هذه الهزيمة التي تلقاها ابن الأحرش، اختفى من ضواحي قسطنطينة، ولم يظهر إلا في شهر فبراير عام 1806 م في جبال بجاية. وقد تمكن من كسب عدة أنصار من سكان قبائل تلك المنطقة. كما وجد سندا لدى المراتب الرحماني ابن بركات. وحاول ابن الأحرش هذه المرة محاصرة مدينة بجاية. ولكن أتباع المقراني والفرق العثمانية أحبطوا محاولته².

أما عن نهاية ابن الأحرش، فهي غامضة، إذ اختلفت من مصدر إلى آخر. فبناك من قال إن ابن الأحرش عندما ضاق عليه الخناق في الشرق انتقل إلى غرب البلاد وانضم إلى ابن الشريف الدرقاوي الذي أعلن الحرب على السلطة الحاكمة. وبعد أن مكث ابن الأحرش هناك بعض الوقت، قتله ابن الشريف³. إلا أن أصحاب هذا القول لم يفسروا أسباب اغتيال ابن الأحرش، وربما يكون ذلك بسبب التنافس على الزعامة. لأن ابن الأحرش وابن الشريف ينتميان إلى طريقة واحدة، وهي الطريقة الدرقاوية. أما البعض الآخر، فقد قال إن ابن الأحرش لم يلتحق بالغرب الجزائري. إذ قتل في إحدى المعارك التي جمعته مع أتباع المقراني والفرق العثمانية في منطقة

¹ BERBRUGGER: OP. CIT., P. 213.

² GRAMMONT: OP. CIT., P. 365.

أنظر أيضا «Histoire des derniers Beys de Constantinople» (E.) VAYSSSETTES: R.A.P. 264.

³ الزهار «المصدر السابق» ص 57.

أنظر أيضا «محمد بن الأمير» المصدر السابق، ص 118.

الرابطة بضواحي سطيف عام 1807 م، ثم ظهر شخص آخر يعرف بابن ميم الله، وادعى أنه من أقارب ابن الأحرش، فحاول أن يقود الثورة من جديد ولكنه قتل في إحدى المعارك¹.

وهكذا تنتهي ثورة ابن الأحرش بالفشل، ويرجع هذا الفشل إلى عدة أسباب، منها: عدم انتشار الطريقة الدرقاوية في شرق البلاد، إذ كان معظم سكن تلك المنطقة تابعين للطريقة الرحمانية²، فإذا نجح ابن الأحرش في كسب بعض الأنصار من أهالي شرق البلاد، فذلك يرجع إلى شخصيته القوية والمؤثرة، وإلى ذكائه الخارق، كما أن حالتهم المتردية ساعدته على تعبئتهم ضد السلطة الحاكمة التي اعتبروها سبب معاناتهم. كذلك لم يتمكن ابن الأحرش من جلب سكان المدن وشيوخ القبائل والأسر الكبيرة إلى دعوته³. وقد رأينا أن هذه الفئة تحالفت مع السلطة الحاكمة ضد الثائرين وذلك حفاظاً على الامتيازات التي كانت تتمتع بها. ومن هنا يتضح سبب اقتضار إشراك سكان الريف دون سكان المدن في تلك الثورة. فضلاً على ذلك، فقد أعلن ابن الأحرش الثورة على السلطة الحاكمة قبل أن تنتشر دعوته انتشاراً واسعاً بين أوساط الجماهير. وربما يرجع تسرع ابن الأحرش في اتخاذ قرار إعلان الحرب إلى اعتقاده أن الظروف كانت مواتية، إذ كانت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر تعاني من ضغوط الدول الأوروبية. كما يمكن إرجاع فشل هذه الثورة إلى عدم تلقي ابن الأحرش مساعدات مادية وبشرية من الأطراف

¹ GRAMMONT: OP. CIT., P.365.

أنظر أيضاً: VAYSETTES: OP. CIT., P.264.

² قام أصحاب الطريقة الرحمانية بدور بارز في عهد الاستعمار الفرنسي، إذ قادوا معظم الثورات التي اندلعت في وسط وشرق البلاد، نذكر ثورة لالة فاطمة أنسووم عام 1857 وثورة المقراني عام 1871 م.

³ BOYER: « CONTRIBUTION À L'ÉTUDE ... », P.42.

مدرجة التي وعدته بذلك قبل قيام الثورة، ونعني بذلك الإنجليز وبني تونس، ومشايخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب الأقصى.

ويتضح من تفاصيل تلك الثورة أنها كانت نابعة من الواقع الجزائري، ويمكن هنا أن نغير الأوضاع السائدة في البلاد والقضاء على سلطة وكان هدفها هو تغيير الأوضاع السائدة في البلاد والقضاء على سلطة البايك. إلا أن البعض يرى أن هناك تأثيرات خارجية، كما سبق أن ذكرنا، دفعت ابن الأحرش إلى القيام بالثورة¹.

ويمكن إجمال أهم النتائج التي تترتب على تلك الثورة في أنها أثرت بشكل سلبي في الأوضاع الاقتصادية في شرق البلاد، إذ غادر المزارعون أراضيهم، وتوقف النشاط الزراعي، نتيجة الاضطرابات التي عصت الأرياف. وقد أدى هذا الوضع إلى قلة الحبوب. كما هاجر الفلاحون والتجار الأسواق، إذ لم يعودوا يأتون بإنتاجهم إليها لانعدام الأمن في الطرق². ومما زاد الوضع تفاقمًا، تلغز الشرق الجزائري إلى الجفاف في فترة الثورة، فانتشرت المجاعة وارتفع عدد الوفيات، ثم أن الكمية القليلة من الحبوب المتوفرة في البلاد قام التجار اليهود بكري وبوشناق بتصديرها إلى الخارج بموافقة الداي بمطنى³، فأصبح الصاع الواحد من القمح يباع بستين فرنكاً⁴. وبالإضافة إلى كل هذه النتائج، سخرت الدولة إمكانيات بشرية ومادية هائلة لإخماد الثورة. ومن ثمة يمكن القول أن ثورة ابن الأحرش كانت أحد العوامل التي أضمت الدولة.

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة تحاول إخماد لهيب الثورة في شرق البلاد، ثار ضدها أحد الطرفين في الغرب.

¹ الزمار: المصدر السابق، ص 85.

² العنزي: المصدر السابق، ص 33.

³ VAYSETTES: OP. CIT., P.265.

⁴ BERBRUGGER: OP. CIT., P.213.

ثورة ابن الشريف :

اسمه الكامل هو عبد القادر بن الشريف، والذي يعرف لدى العامة بابن الشريف الدرقاوي. نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي كان ينتمي إليها. أما عن أصله فقد أجمعت المصادر على أنه من قبيلة وادي العبد بالمغرب الجزائري. قال عنه الزباني "عبد القادر بن الشريف من أولاد سيدي الليل الكاسني قاطن وادي العبد"¹. وقال عنه صاحب تحفة الزائر "أصله من الكاسنة قبيلة من البربر بوادي العبد، أخذ العلم في صغره عن سيد الجد السيد محي الدين في مدرسته بالقيطنة ثم رحل إلى المغرب الأقصى. فأخذ من علماء فاس ولقي الشيخ العربي الدرقاوي² وسلك طريقته"³. وقد بدأ ابن الشريف نشاطه بتأسيس معهد أو زاوية بقرية أولاد بليل بنواحي فوند لتفقيه الناس وتعليم الصبية⁴. مما مكّنه من نشر دعوته بين قبائل الغرب الجزائري. وقد قال الزهار في هذا الصدد: "ظهر ابن الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك، وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات"⁵.

¹ الزباني: المصدر السابق، ص 208.

² هو أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد البوبريجي الدرقاوي، ولد ببني زروال، وسمي بالدرقاوي نسبة إلى قبيلة درقة التي ينحدر منها جده يوسف أبو درقة، توفي في 8 ديسمبر عام 1823 م، ودفن في بوبريج، وتعدّ طريقته إلى تطهير الإسلام والمودة به إلى أصله الأول.

أنظر: DOUTTE: OP. CIT., P.4-5.

وكذلك: DEPONT et COPPOLANI: OP. CIT., P.422.

³ محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص 115.

⁴ سعيدوني: "ثورة ابن الأحرش..." ص 212.

⁵ الزهار: المصدر السابق، ص 84.

وهكذا بدأ ابن الشريف بعد العدة ليعتصم الخوارج على سلطة البايك في المغرب الجزائري. أما عن أسباب إعلانه للحرب، فقد قيل إنه عندما كان بالمغرب الأقصى عند شيخه محمد العربي الدرقاوي قال له: "يا سيدي إن بولطنا قوما يقال لهم الترك لاشي، لهم من دعائم الإسلام ويظلمون الناس ولا يميزون بالطماء والأولياء، نسأل منك أن يكون هلاكهم على يدي ليخرج منهم العباد وتطهر منهم البلاد. فقال له عليك بجهادهم وقتالهم وأن لا يترك عليهم"¹.

ونلاحظ من خلال هذا القول أن الأسباب التي دفعت ابن الشريف إلى القيام بالثورة لا تختلف عن تلك الأسباب التي أدت إلى نشوب ثورة ابن الأحرش في الشرق الجزائري. كما أن ابن الشريف قد اتبع نفس الطريقة والأسلوب الذي اتبعه ابن الأحرش في جمع الأنصار ونشر دعوته. ويمكن أن نستخلص سببا ثانيا من قول ابن الشريف نفسه، عندما حقق أول انتصار على قوات الباي، وهو مخاطبة الأهالي، إذ قال لهم: "قد نزعنا عنكم ظلم الترك والذل والمسكنة والمغارم والمكوس، فالواجب عليكم مبايعتنا"². تلك هي أهم الأسباب التي أدت بابن الشريف إلى إعلان الثورة ضد الأتراك، إلا أننا لم نفتح بها، لأن الأسباب الحقيقية تبقى مجهولة في نظرنا، لعدم وجود مصادر تاريخية محايدة، إذ كل من كتب عن هذه الثورة، إما أنه كان متحيزا للسلطة، أو كان يجهل نوايا ابن الشريف الحقيقية. فنعتقد أن المغرب الأقصى كان لها ضلع في هذه الثورة، لأن كما سبق أن ذكرنا، أن ابن الشريف نزع وتعلم في مدارسها. كما أن في مطلع القرن التاسع عشر، أخذت

¹ الزباني: المصدر السابق، ص 208.

² نفسه، ص 209.

الاعتداءات المغربية على الجزائر شكلا آخر، تمثل في تدعيم المغرب للطرقين الدرقاويين، ومنهم ابن الأحرش وابن الشريف.¹

ولما سمع الباي مصطفى، حاكم وهران، بتحركات ابن الشريف، جه جيشا عظيما وخرج لمحاربه وقمع حركته. وقد التقى الجمعان بفوطاسة بين وادي مينا ووادي العبد في عام 1805م، ووقعت بينهما معركة كبيرة، انهزم فيها الباي مصطفى وقواته، فاضطروا إثر ذلك إلى مغادرة ميدان القتال والرجوع إلى مدينة وهران، بعد أن تركوا عتادهم للثائرين². وقال صاحب در الأعيان عن هذه المعركة: "وقد مات يوم فوطاسة من المخزن خلق كثير ومات كاتب الباي العلامة السيد الحاج أحمد بن هظال التلمساني والعالم الأديب السيد أبو عبد الله الغزلاوي"³.

وبعد هذا الانتصار الذي حققه ابن الشريف، استقر بمدينة مسكن وانضمت إليه القبائل الداخلية، وقام بطرد الحاميات العثمانية المراقبة في مدن تلك المنطقة، فأصبح سلطانية تمتد من مليانة شرقا إلى وجدة غربا⁴. وقال صاحب در الأعيان "ثم إن الدرقاوي (ابن الشريف) لما استولى على المحلة عز جانبه، كتب للرعايا بالبشائر يقول لهم: تزغنا عنكم ظلم الترك والذل... فوافقه جم غفير وخلق كبير"⁵.

¹ (PH.) DÉCOSSE BRISSAC: les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête d'Alger, PP. 1-3.

² الزباني، المصدر السابق، ص 208-209.

أنظر أيضا، الزهار، المصدر السابق، ص 84.

وكذلك محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص 115.

³ حسن خوجة، در الأعيان، نقلا عن الزباني، المصدر السابق، ص 210.

⁴ GRAMMONT: OP. CIT., P. 365.

⁵ حسن خوجة، المصدر السابق، ص 209.

وبعد أن أنهى ابن الشريف تحضيراته، أمر أتباعه بهاجمة مدينة وهران. وفي طريقه إليها انضمت إليه عدة قبائل. وقد كتب الزباني عندما التقى ابن الشريف من وهران يقول: "وكان قدومه لوهران إبان الحصار لشارت إليه وأطاعته جميع العباد.. مخالفة على زرعهم وضرعهم"¹. ولما وصل ابن الشريف وأتباعه إلى مدينة وهران، حاولوا فتحها عنوة، ولكن سكانها صدوهم عنها، فاضطروا للثائرون عندئذ إلى محاصرتها، قضيقوا على أهلها حتى نفذت أkuatهم². وبعد أن عجز سكان وهران عن فك الحصار عن مدينتهم، استقدمت السلطة الحاكمة الشيخ محمد العربي الدرقاوي من المغرب الأقصى قصد إقناع تلميذه ابن الشريف بفك الحصار عن مدينة وهران³. وقد قال الزباني عن حضور الشيخ محمد العربي الدرقاوي إلى وهران مبني "ثم إن الدرقاوي (ابن الشريف) صار يعد جنوده كل يوم بفتح وهران... إلى أن جاءه شيخه من المغرب وحضر للمقاتلة وشدة الحرب مع جيش تلميذه... قال له يا سيدي عبد القادر بن الشريف إنك قلت لي إن ترك ومن تبعهم نصارى ولا يصومون ولا يصلون وليس لهم من الدعائم الشرعية شيئا، وسألت مني الإذن في جهادهم فأذنت لك، وإني لما رأيتهم وجدتهم أعد إيمانا وعبادة مني ومنك، إن الجهاد فيك وفي قومك جائز لا في أهل وهران، إن الدائرة عليك لا لك، إن القتال في هذا اليوم وهو الفراق بيني وبينك وإني برئ مما أنت مرتكبه"⁴. إن مخاطبة الشيخ محمد العربي لتلميذه ابن الشريف بهذه اللهجة، يدعونا إلى الاعتقاد أن الشيخ كان تحت ضغط السلطات الحاكمة؟

¹ الزباني، المصدر السابق، ص 210.

² محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص 115.

³ GARROT: OP. CIT., P. 622.

⁴ الزباني، المصدر السابق، ص 213.

دمر وخرب قرية بوترفاس ومزارعها. وفي نفس السنة المذكورة، قام الدرقاويون بمحاولة أخيرة، إلا أن الباي الجديد على قارة أجهضها¹.

ويرجع فشل ثورة ابن الشرف إلى عدم تمكنه من ضم سكان وهران وقبائل المخزن إلى حركته. فقد تحالفت هذه الفئة مع جيش الباي للدفاع على مدينة وهران، كما أنها شاركت في المعارك التي خاضها البايات ضد الثائرين. وكان هدف هذه الفئة هو الحفاظ على امتيازاتها الاقتصادية. فضلاً على ذلك، يبدو أن شخصية ابن الشرف لم تكن محبوبة لدى الناس. ويوضح محمد بن الأمير هذه النقطة بقوله: "إنما لم ينتج ابن الشرف لي أمره لكونه كان ممقوتاً عند سيدي الجد، فصقته الناس لذلك"².

ولقد كان لثورة ابن الشرف عدة نتائج. فقد أثر نشاطها الحربي في القطاع الاقتصادي، إذ توقف النشاط الزراعي طوال فترة الحرب، مما أدى إلى قلة الحبوب. وقد ترتب على هذا الوضع ارتفاع أسعار الحبوب³. وبالإضافة لكل ما ذكر، فإن الحروب قد خلفت عدة خسائر مادية وبشرية. فقد قام الباي حسن، حاكم وهران (1817-1830م) باغتيال جميع العناصر المشتبه فيها والمنتمية إلى الطرق الدينية. فقتل في عام 1822م سيدي محمد الصادمي مرابط أولاد سيدي بن حليمة، وسيدي بن عبد الله بن حواء، وسيدي فرقان الغليتي. ولم ينج من هؤلاء كلهم إلا سيدي محمد بن عبد الله المعروف بابن سحنون، لكونه كان تحت حماية كبار شيوخ المخزن.

¹ (A.) DELPECHE: «Résumé historique sur le soulèvement des D'Arkaoua, d'après la chronique D'EL Mosselem ben Bach- Deffer du Dey Hassan 1800 à 1813» R. A. N° 18. 1874, P.58.

² محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص 116.

³ وصل سعر الصاع الواحد من القمح إلى خمسة دروهم، الزهار، المصدر السابق، ص 87.

وأدت هذه الاغتيالات أن تؤدي بحياة الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، الذي قاد المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي¹. وبملاحظة مما تقدم أن ثورة ابن الشرف لا تختلف عن ثورة ابن باي من حيث الأسباب والظروف والنتائج وعوامل فشلها. ورغم فشل هذه الثورات كلها، فإن ذلك لم يمنع أحد أتباع الطريقة التيجانية من إعلان حروب على السلطة الحاكمة في منطقة عين ماضي.

ثورة محمد التيجاني:

اسمه الكامل هو محمد بن أحمد ابن المختار التيجاني المعروف بمحمد الكبير التيجاني أو التجيني، كما ورد في بعض المصادر. وهو من قرية عين ماضي قرب الأغواط². وقيل إن أجداده من الأشراف ينتهي نسبهم إلى حسن بن علي ابن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم³. وكان والده سيدي أحمد التيجاني رجلاً صالحاً، زاهداً، عابداً، صاحب طريقة لجأ إلى المغرب الأقصى بأهله وأولاده هارباً من تهديدات البايات، ومكث بفاس حتى توفي عام 1815م، ثم تولى ابنه محمد الكبير أمر طريقته بعد أن رجع مع ابنه محمد الصغير إلى عين ماضي⁴. إلا أن عودة أبناء سيدي أحمد التيجاني إلى البلاد، أثار مخاوف السلطة الحاكمة، لذا أصدرت أوامرها للباي حسن حاكم وهران بأن يراقب تحركات التيجانيين. وتنفيذا لهذه الأوامر، خرج الباي حسن في محلة إلى نواحي الجنوب الوهراني لجمع الضرائب، فاستغل أهل عين ماضي عن دفع الضرائب المقررة عليهم. وعندئذ قام الباي

¹ BOYER: "Contribution à l'étude...", PP.44-45.

² الزهار، المصدر السابق، ص 159.

³ (L.) ARANAUD: "Histoire de L'Ouali Sidi Ahmed Tedjani", R. A. N° 18, 1861, P.468.

⁴ محمد بن الأمير، المصدر السابق، ص 125.

حسن محاصرة قريتهم. وفي النهاية، تصالح الطرفان، ودفع أهل عين ماضي الضرائب، ورفع الباي حسن الحصار عن قريتهم، وعاد بجيشه إلى وهران. ولكن حملات الباي حسن على التيجانيين لم تتوقف حتى عام 1826م. وتعتبر هذه الحملات المتتالية أحد الأسباب المباشرة التي دفعت محمد الكبير التيجاني إلى تحريض قبائل الجنوب الوهراني ضد سلطة بايلك القرب.

ولقد شرع محمد الكبير التيجاني في نشر دعوته بتواحي عين ماضي، وتمكن من جمع عدد كبير من الأنصار. وفي هذا الصدد قال الزياتي: لم يكن التيجاني لما رأى ما حل به بغير موجب، ظهر له مقاتلة الأتراك والفرز على الباي حسن في محله، كما جاءه لمحله، ودس ذلك في قلبه، وصار يجمع الجنود ويحشد الحشود ويكاتب من يظن به الأذعان له، ومن جملة ذلك الحشم، وأخبرهم بما يريد فوافقوا على ذلك². ولما انتهى محمد الكبير استعداداته، أمر أتباعه بمهاجمة مدينة معسكر. وفي طريقه إليها، انضم إليه بعض القبائل كالحشم، ويقول الزهار في هذا الشأن: "وجعل يدايع حشم غريس لأنهم أصخاب قتي"³. أما قبائل المخزن البرجية والقرابة والزماله والدواثر وبعض قبائل العرب، كبنّي شقران وبني عامر. رفضت الانضمام إلى الحركة التيجانية⁴. ولما اقترب محمد الكبير وأتباعه من معسكر، التقى بأهلها المتحالفين مع بني شقران، ووقعت معركة كبيرة، قتل فيها عدد كبير من المحاربين من كلا الطرفين، وكان ذلك في عام 1826م⁵.

¹ الزياتي، المصدر السابق، ص 125.

أنظر أيضا: BOYER: « Contribution ... », pp. 45-46.

² الزياتي، المصدر السابق، ص 244.

³ الزهار، المصدر السابق، ص 159.

⁴ الزياتي، المصدر السابق، ص 244.

⁵ نفسه، ص 245.

بعدما سمع الباي حسن بهذه المعركة، قام بإغواء أعيان الحشم بالمال، فتركوا من محمد التيجاني. وقد نجح الباي في خطته هذه، إذ انصرف عنه أعيان الحشم وتركوه مع عدد قليل من أتباعه المخلصين، الذين بلغ عددهم حوالي ثلاثمائة رجل. وفي تلك الأونة، خرج الباي حسن بجيش كبير من مدينة وهران لملاحقة الثائرين، والتقى الجمعان في نواحي غريس. واشتد القتال بينهما، وتمكن الباي حسن من إبادة معظم الثائرين، ومن بينهم محمد الكبير. وبعد نهاية المعركة، أرسلت رؤوس القتلى إلى الجزائر¹.

وتعود أسباب فشل الثورة التيجانية إلى نفس الأسباب التي أدت إلى فشل الثورات الدرقاوية. وما يمكن قوله، هو أن هذه الثورات التي اندلعت في مطلع القرن التاسع عشر، تحتاج إلى دراسة عميقة من حيث عوامل اندلاعها وأسباب فشلها، وذلك لأن الظروف التي وقعت فيها أحداثها كانت مضطربة وبنشبة، غير أن منهم هو أن تلك الثورات كانت من أهم العوامل الداخلية التي أدت إلى انهيار الحكم العثماني في الجزائر.

الصراع بين الكراغلة والسلطة الحاكمة:

لقد رأى العثمانيون بعد دخولهم الجزائر أن وجودهم وبقاؤهم لا يتم إلا بالتقرب من الأهالي. ورأوا أن الوسيلة الوحيدة التي ستمكنهم من تحقيق هذا الهدف، هي الزواج من الجزائريات. وقد وجد العثمانيون ترحيبا لدى سكان المدن الأقرباء، الذين كانوا بحاجة إلى أناس أقوياء لحماية ثروتهم وتعزيز مكانتهم، خاصة في مثل تلك الظروف التي كانت تمر بها البلاد. ونلاحظ أنه منذ البداية، كان عاجل التوحيد بين سكان المدن والعثمانيين هو

¹ نفسه، ص 247.

أنظر أيضا: الزهار، المصدر السابق، ص 159 - 160.

وكذلك: GRAMMONT: OP. CIT., P. 354.

المصلحة المشتركة. وقد نتج عن هذه المصاهرة عنصر جديد عرف بالكراغلة¹. وهكذا توصل العثمانيون بفضل تلك السياسة إلى إحصاء البلاد، وكسب بعض الأسر الجزائرية لصالحهم. كما ساعدتهم عاملين آخرين والخطر الخارجي على التقرب من الأهالي. فامتدت علاقات العثمانيين مع بعد إلى الأسر القوية القاطنة داخل البلاد، مثل أسرة المقراني بجاية، وأسرة بن قانة بالزيان. إذ كانت تربطهم بهذه الأسر علاقات المصاهرة². ومع مرور الوقت، أصبح الكراغلة همزة الوصل بين العثمانيين والأهالي ولعبوا بذلك دورا بارزا في تاريخ البلاد خلال العهد العثماني. ولهم علاقات الكراغلة بالعثمانيين على وجه الخصوص، فلا بد من تقديم لمحة عن أخصها التاريخية لتلك العلاقات.

لقد عاش الكراغلة في بداية الأمر كبقية العناصر العثمانية، إذ كانوا يتمتعون بنفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها أبائهم. وأبرز مثال على ذلك، حسن بن خير الدين الذي تولى الحكم ثلاث مرات³. رغم انتماء الكراغلة⁴. وقد يرجع سبب اندماج الكراغلة بالانكشاريين إلى قوة الحكم الأوائل الذين عرفوا كيف يوحدون العناصر المختلفة تحت حكمهم. كما ساعدت سياستهم العادلة على خلق نوع من الانسجام والترابط بين هذه العناصر طوال مدة حكم باي البايات (1519م - 1587م)⁵. كما أن عدد الكراغلة والانكشاريين كان محدودا في تلك الفترة. وكان شغلهم الشاغل

¹ (A) DESJOBERT: La question d'Alger, politique, colonisation, commerce, pp. 21-22.

² صالح قوكوس: الحاج أحمد باي قسنطينة، 1826 - 1850، ص 52.

³ تولى الحكم في (1544 - 1551م) و (1557 - 1561م) و (1562 - 1567م).

⁴ (P) BÖYER: « Le problème Koufoughli dans la régence d'Alger ». R.O.M.M spécial 1970 P303.

⁵ IBID., P80.

البلاد من الدفاع عن البلاد ضد الاعتداءات الخارجية، وتوحيدها تحت راية واحدة. ولهذا الأسباب أيضا، عرفت البلاد استقرارا داخليا لا مثيل له، إلا أن الوضع قد تغير في بداية عهد الباشوات (1587 - 1659م)، نتيجة لعدة عوامل طرأت على المستوى الداخلي، فأصبح نفوذ الانكشاريين في عهد الباشوات يزداد شيئا فشيئا حتى استولوا في نهاية الأمر على الحكم. وكان أول ما فكروا فيه، هو إبعاد كل من لا ينتمي إليهم، ولذا نجدهم في عام 1580م يطردون من صفوفهم كل العناصر اليهودية المرتدة، ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل حاولوا إبعاد طائفة الرابيس التي كانت تنافسهم، وتشكل خطرا على مصالحهم. ولكن الانكشاريين تراجعوا عن مشروعهم هذا، خشية أن يقلب الرابيس ضدهم، ويجرمونهم من الانضمام إلى البحرية وبالتالي لا أن استفادتهم من أرباحها، فلما عجز الانكشاريون عن تحقيق أهدافهم وأعمالهم، اتقوا إلى الكراغلة، الذين أصبحوا يشكلون قوة لا يستهان بها¹. وهكذا دخل الانكشاريون في صراع مع الكراغلة، ودام حتى استولت فرنسا على الجزائر في عام 1830م.

وقد يرجع تاريخ أول تكتل الكراغلة إلى عام 1596 م، وذلك حينما حول خيضر باشا حاكم الجزائر، الاستعانة بهم لإخماد عصيان الانكشاريين². ومنذ ذلك الحين، أصبح الانكشاريون يخشون الكراغلة، ويدبرون يفتكرون بجدية في كيفية التخلص منهم نهائيا. وإقصائهم من المناصب الحساسة. وبالإضافة إلى ذلك، هناك مجموعة من الأسباب تفسر موقف الإنكشاريين من الكراغلة، فمن الناحية السياسية، كان الإنكشاريون يبنون وجود عناصر كروغولية في صفوف الجيش ومناصب الدولة يشكل خطرا على مصالحهم، وأن انتماءهم العاطفي إلى أهالي الجزائر يعتبر عاملا

¹ IBID. P. 81.

² IBID.

مساعدًا لتشكيل القوة التي ستتقلب في يوم من الأيام ضدهم. كما أن الإنكشاريين كانوا يرون في الكراغلة أداة خطيرة في يد الحكام، يمكن استخدامها في أي وقت ضدهم، وهذا ما حدث فعلاً في عهد خيضر باشا، السالف الذكر. ومن الناحية المادية، كان السماح للكراغلة بتولي المناصب الهامة في الدولة يساعدهم على تقسيم جميع خيرات البلاد مع الإنكشاريين. كما يحق لهم الاستفادة من جميع الحقوق والامتيازات، وكان في اعتقاد الإنكشارية أن هذه الثروة ستساعدهم على فرض وجودهم، وبسط نفوذهم والاستيلاء في نهاية الأمر على مقاليد الحكم. ويكون ذلك على حسابهم. ولهذه الاعتبارات كلها، اتبع الإنكشاريون سياسة معادية ضد الكراغلة، مما أدى إلى إتحاد الكراغلة فيما بينهم لمواجهة الموقف. كما أصبحوا يساندون طائفة الرياس التي دخلت في الأخرى في تنافس حاد ضد الإنكشاريين، اعتقاداً منهم - أي الكراغلة - أن الرياس سيمنحونهم بعض المناصب في حالة انتصارهم على الإنكشاريين².

ولقد كانت كل توقعات الإنكشاريين صائبة، إذ ما لبث أن حدث ما كانوا يخشونه، ففي عام 1629م، نظم الكراغلة مؤامرة ضدهم لطردهم من البلاد³، لكن رد فعل الإنكشاريين كان سريعاً، وتمكنوا من السيطرة على الأوضاع⁴. وبعد هذه الحادثة، طردوا الكراغلة من مدينة الجزائر. وهكذا تفرق شمل الكراغلة وتوزعوا عبر مختلف أنحاء البلاد، فمنهم من استقر بوادي الزيتون، وأسسوا القبيلة التي عرفت بقبيلة الزواتنة، ومنهم من استقر بضواحي زمورة في بايلك قسنطينة، ومنهم من التحق بمنطقة القبائل الجبلية.

¹ IBID.

² GARROT: OP. CIT., P. 478.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، ص 154.

⁴ BOYER: « Le problème Kouloughli ... », P. 82.

التي كان ثقلها في حرب ضد الحكومة آنذاك¹. وبقي الكراغلة في المناطق المذكورة يرتقبون الفرصة للأغارة على الإنكشاريين مرة أخرى. فأتيت أول مرة لهم في عام 1633م، عندما قار الإنكشاريون ضد حسين باشا لعجزه عن دفع مرتبات الجنود². وقد استغل الكراغلة هذا الوضع، ليتسللوا خفية إلى مدينة الجزائر، فحاولوا محاصرة قلعة القصبة التي تشرف على المدينة، وحينئذ جرت معركة دامية بينهم وبين الإنكشاريين، مما تسبب في انفجار مخزن البارود الذي خلف خسائر مادية وبشرية معتبرة. ولما رأى الكراغلة أنهم غير قادرين على الصمود أمام الإنكشاريين، فضلوا الانسحاب من بيان القتال، راجعين إلى مقر إقامتهم في الأرياف³.

وقد حقق الإنكشاريون في هذه المعركة انتصاراً باهراً. أما عن سبب فشل الكراغلة، فإنه يرجع إلى عدم معرفتهم اختيار الوقت المناسب للقيام بمؤامرتهم، لأن أنصارهم الرياس وبعض الكراغلة كانوا محجوزين بمدينة بجاية من قبل الإنكشاريين، وذلك بعد هزيمتهم البحرية ضد الإسبان عام 1629م⁴. وبعد هذه الحادثة، قام الإنكشاريون بطرد الكراغلة من جميع مناصب الدولة، كما لم يسمح لهم بالاستمرار في سلك الجندي، إذ كانوا يبدلون بمجرد وصولهم إلى مرتبة الضابط⁵. ولكن رغم إبعادهم، ظلوا يفاوضون رواتبهم من الحكومة، خوفاً من إثارة سخطهم⁶. ولم يكنف الإنكشاريون بهذه الإجراءات الصارمة التي اتخذوها ضد الكراغلة، بل

¹ IBID. P. 83.

² التلي، المرجع السابق، ص 154.

³ GARROT: OP. CIT., P. 478.

⁴ IBID. P. 478.

⁵ (V.) DEPARADIS: Tunis et Alger au XVIII^e s. P. 180.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 155.

ضربوا عليهم حراسة مشددة. إذ كانوا يتتبعون نشاطهم عن كثب. فمتى ما يكتشف الأتراك أنهم يضمرون لهم نوايا سيئة، بل عندما يغامروهم أدنى شك، فإنهم ينفون قادتهم ويفرقون اجتماعهم¹.

وهكذا بقي الكراغلة في عزلة تامة. بعد أن جردوا من حقوقهم وامتيازاتهم، وخلا الجو للإنكشاريين الذين أصبحوا يسيرون البلاد حسب أهوائهم وأغراضهم. ورغم ذلك كله، فإن للكراغلة تمكنا من الظهور على مسرح الأحداث بعد فترة قصيرة، وذلك حينما أصدر الداوي شعبان (1689 - 1695م)، قرارا نص على معاملة الكراغلة كبقية العناصر العثمانية الأخرى، وكان الداوي يهدف من وراء هذا القرار، رفع عدد الجنود، لأنه كان آنذاك بحاجة ملحة إلى جيش قوي لمواجهة التطورات الخطيرة التي طرأت على الساحة الخارجية، إذ تعرضت البلاد في فترة حكمه لحملتين عسكريتين شنتهما التونسيون والمغاربة على الحدود الشرقية والغربية². وقد استطاع الجيش الجزائري بمساعدة العناصر الكرغولية، أن يتصدى لهاتين الحملتين، بل دخل تونس لمساعدة أحمد بن يونس ضد منافسه محمد باي على توليه عرش تونس³.

ولم يغير القرار الذي أصدره الداوي شعبان بشأن الكراغلة كثيرا من وضعهم، إذ بمجرد اغتياله، واصل الإنكشاريون المسيطرون على الحكم سياستهم المعادية للكراغلة. إلا أن هذا لم يمنع الكراغلة من تشكيل نجيمات في البياليك الثلاثة والمدن الرئيسية في البلاد. وقد تمكنا من إخضاع مدينة تلمسان لحكمهم، كما كان لهم دور بارز في مدينة معسكر ومستعمر

¹ نفسه، ص 157.

² BOYER: « Le problème Kouloughli ... », P.84.

³ أبو القاسم سعد الله، "من أخيار شعبان باشا داي الجزائر 1695، مجلة التاريخ، العدد 18، السنة 1985، الجزائر، ص 108.

ومليانة وعناية. وبهذه الكيفية، حصل الكراغلة على امتيازات هامة، وبالتالي عرضوا ما فقدوه في مدينة الجزائر¹. وكان البايات يعينونهم في الوظائف الإدارية والعسكرية في بياليكهم، مما ساعدهم على الوصول إلى مرتبة الباي نفسها².

وبعد أن استرجع الكراغلة نفوذهم ومكانتهم في البلاد، بدؤوا يفكرون في تنظيم مؤامرة جديدة لقلب النظام. وكانت أول محاولة لهم، تلك التي قام بها كراغلة تلمسان ضد الحامية العثمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر 1748م. وبعد هذه المحاولة الفاشلة، تدخلت الحكومة وقررت أن توقف تعيين الكراغلة في منصب البايات. وقد تم تطبيق القرار المذكور، بين سنتي (1748 - 1780م)³. إلا أن إبعاد الكراغلة من مناصب البايات كان مؤقتا، إذ عادت الحكومة إلى تعيينهم مرة أخرى في نفس المنصب، وكان ذلك ابتداء من عام 1780م. وهكذا احتفظ الكراغلة بمناصبهم حتى دخل الفرنسيون الجزائر عام 1830م. وكان آخرهم الحاج أحمد، باي الذي قاد المقاومة الرسمية ضد الاحتلال الفرنسي للشرق الجزائري⁴.

ويرجع سبب تغيير الحكومة لموقفها إزاء الكراغلة، إلى مواجهة حكام الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، لعدة صعوبات،

¹ BOYER: « Le problème Kouloughli ... », P.87.

² تنزل الكراغلة منصب الباي في الفسرب (1736 - 1748)، و(1780 - 1799) و(1805 - 1812) م. أما في قسنطينة من (1700 - 1713 م) فقد عين خمسة بايات منهم أربعة كراغلة، كما عينوا أيضا في نفس المنصب من (1792 - 1795) م و(1803 - 1807 م) و(1814 - 1815 م) وكان آخرهم الحاج أحمد باي الذي دام حكمه حتى عام 1837 م.

³ BOYER: OP. CIT., P.89.

⁴ BOYER: « Le problème Kouloughli ... », P.89.

منها: الثورات الريفية التي قادها الطرقيون، وتمرد الإنكشاريين، والاضطرابات الأوربية المتزايدة، بالإضافة إلى ضعف حركة التجديد من الولايات المتماثلة الشرقية¹. وقد ساعدت كل هذه الظروف على خلق نوع من التقارب بين الحكام والكراغلة، قصد مواجهة الموقف الصعب الذي تمر به البلاد، فاستعان بهم الداي علي عام 1808م لإخماد عصيان الإنكشاريين، وتمكن الكراغلة من منع الجيش آنذاك من نهب محلات مدينة الجزائر. إلا أن أكبر مساهمة لهم كانت عام 1817م، وذلك حينما استنجد بهم الداي علي خوفاً للقسا على فرقة الإنكشاريين. وقد استطاع الكراغلة وفرقة الزواوة (الأهالي) في ذلك الوقت قتل 1200 من الإنكشاريين، ونفي مجموعة كبيرة منهم من البلاد².

وقد تعتبر تلك المشاهدات العنيفة التي انفجرت بين الكراغلة والإنكشاريين في القرن التاسع عشر، نتيجة منطقية لذلك الصراع الذي بدأ منذ نهاية عهد باي البايات. والجدير بالملاحظة أن الكراغلة قد اغرقوا في أواخر القرن الثامن عشر عن تلك الأهداف التي رسموها في العهد الأول. وهي طرد الإنكشاريين من الجزائر، فأصبحوا يفكرون في كيفية الحفاظ على امتيازاتهم أو مساندة فرقة ضد فرقة أخرى³. كما يمكن إرجاع سبب فشلهم في تحقيق أهدافهم إلى عدم محاولتهم الاستعانة بالأهالي أثناء تنفيذ مشاريعهم، ولعل هذه الأسباب هي التي جعلتهم غير قادرين على تحقيق ما

¹ فارس، المرجع السابق، ص 89.

² BOYER: OP. CIT., P.92.

³ IBID. P.90.

منه الكراغلة في تونس، إذ تمكنت الأسرة الحسينية من الاستيلاء على تونس في عام 1705م¹. وأن الصراع الذي نشب بين الكراغلة والإنكشاريين وخلاصة القول، كان سببه ذلك الحاجز الذي وضعه بعض الحكام بين الحكام والعهد العثماني، إلى تحريم البلاد من الاستفادة من علوم وأموال الكراغلة². ومن هنا يمكن أن تعتبر الصراع عاملاً من العوامل التي ساعدت على تدهور وضع الأهالي في الجزائر. وقد تمكن عنصر من العناصر السكانية في الجزائر من استغلال هذا الصراع الذي نشب بين الإنكشاريين والكراغلة، لصالحه، ولم يكن ذلك العنصر سوى اليهود الذين "وضع الأتراك قتلهم لهم لأنهم لا يخشون منهم الاستيلاء على الحكم"³. وكان الحكام يعتقدون أن الاستعانة باليهود أقل خطورة من الاستعانة بالكراغلة. لأن نفوذهم بين أهالي الجزائر كان ضعيفاً، إلا أنه اتضح فيما بعد أن دور اليهود في البلاد كان أخطر من كل الأدوار التي قام بها الكراغلة وبقية العناصر الأخرى.

نفوذ اليهود واحتكارهم للتجارة:

سأهم اليهود المقيمون بالجزائر إلى حد كبير في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية، ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر، إذ كانوا وراء كل التوترات والاضطرابات التي نشبت داخلياً بين الحكام والجيش، وخارجياً بين الجزائر والدول الأوربية، وحتى يتسنى فهم ذلك الدور الخطير الذي لعبه

¹ (M.EH.) CHERIF: Pouvoir et société dans la Tunisie de H'ussayn bin Ali, P.122.

² حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 157.

³ نفسه، ص 158.

اليهود، وكيف أصبحوا قوة تجارية لها نفوذ سياسي في البلاد، يجب الرجوع إلى بداية ظهورهم في البلاد، ثم تتبع المراحل والتطورات التي مروا بها.

لقد صنفت بعض الدراسات التاريخية الجالية اليهودية التي عاشت في الجزائر إلى مجموعتين، المجموعة الأولى، وكان يمثلها اليهود القدماء الذين ظهروا في إفريقيا بصفة عادية منذ أقدم العصور، هؤلاء اندمجوا منذ وقت مبكر بأهالي البلاد. أما المجموعة الثانية، فهي تلك التي هجرت من جزير البليار، وإيطاليا، وأوروبا الشمالية، وفرنسا، وإنجلترا، وذلك ابتداء من القرن الثالث عشر. وقد عرف عدد هذه المجموعة ارتفاعا ملحوظا نتيجة هجرة يهود إسبانيا إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة في عام 492م¹. وهكذا أصبح هؤلاء اليهود المحاطين برؤسائهم الدينيين (حاخاماتهم)، يشكلون طبقة أرستقراطية من المثقفين والتجار، خاصة بعدما سمح لهم خير الدين حاكم الجزائر آنذاك، بالإقامة الدائمة بالبلاد. فانتشر اليهود في مختلف المدن الجزائرية، كتلمسان ومعسكر ومستغانم وقسنطينة والجزائر ووهران. إلا أن اليهود المقيمين بمدينة وهران، طردوا منها بعد سقوط المدينة في يد الإسبان في عام 1509م، ولكنهم رجعوا إليها مرة أخرى، ثم ما لبثوا أن طردوا منها من جديد في عام 1689م. وكان ذلك بمقتضى مرسوم أصدرته الأميرة آن النمساوية - ANNE D.AUTRICHE حاكمة إسبانيا آنذاك. ولم يرجع اليهود إلى مدينة وهران، إلا عندما حررها الجزائريون في عام 1792م².

وقد مارس اليهود في الجزائر نشاطا تجاريا متنوعا، فمنهم من مارس المهن المختلفة كصناعة المجوهرات والحلي الذهبية والفضية، وسك النقود.

¹ (CA) JULIEN: Histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation, P.11.

² (M) EISENBETH: Les Juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours, PP. 14-15.

ومنهم من مارس التجارة. وقد بدأ اليهود عملهم التجاري بالتوسط في عمليات اقتناء الأسرى المسيحيين، وشراء غنائم رياس البحر بأثمان بخسة، وبمقابلها بعد ذلك بأثمان باهظة للأوروبيين المقيمين بالجزائر، وإرسالها إلى مدينة ليغورنة الإيطالية، حيث كان يوجد أكبر مخزن لليهود¹. وقد تمكن اليهود مع مرور الوقت، من السيطرة على معظم المبادلات التجارية حتى قيل أنه لم يتم مبادلة أو صفقة تجارية بين تاجر وآخر، إلا إذا توسط اليهود فيها². فكانت التجارة الداخلية خاضعة لهم، إذ كانوا يرسلون قوافل من مدينة الجزائر إلى قسنطينة وتلمسان ووهران وعنابة، محملة بالأقمشة والخير والحردوات الأوربية. وامتد نشاطهم في أواخر القرن السابع عشر إلى المدن التونسية والمغربية وطرابلس³، مما ساعدهم على كسب أرباح طائلة، وصلت أحيانا إلى 400%⁴. ويعزى سبب نجاح اليهود في تجارتهم إلى ذكائهم وأساليبهم المتعددة وإلى تلك الرعاية والحماية التي وجدوها لدى بعض حكام الجزائر. إذ كان الحكام يتدخلون في عدة مناسبات لحل قضايا اليهود وحماية مصالحهم. وهناك أمثلة عديدة تؤكد هذه الحقيقة، ففي عام 689م، طلب الداي شعبان من ملك فرنسا لويس الرابع عشر (1631-1715م)، أن يتوسط لدى دوق فلورنسا حتى يسمح لليهودي "داود لورنديز" وزوجته بالعودة إلى مدينة فلورنسا بعدما تم طردهما منها. كما طلب الداي من نفس الملك أن يأمر سلطاته بإخلاء سبيل سفينة أحد اليهود التي حجزتها ميناء طولون بعد أن قذفت بها الرياح إلى سواحل فرنسا وهي

¹ (R.) LESPES: Alger étude géographique et d'histoire urbaines, P.143.

² JULIEN: OP. CIT., P.12.

³ EISENBETH: OP. CIT., P.16.

⁴ LESPES: OP. CIT., P.143.

في طريقها إلى الجزائر، قادمة من مدينة ليفورنة¹. فاستجاب ملك فرنسا لمطلب الداي.

ونلاحظ أن اليهود وجدوا في الجزائر كل العناية والرعاية الضرورية التي ساعدتهم على ممارسة نشاطهم، والسيطرة على جل المبادلات التجارية منذ وقت مبكر. ويمكن القول أن ظروف بعضهم كانت أحسن بكثير من وضعية أهالي الجزائر.

وقد عرف نشاط اليهود التجاري ازدهارا واسعا، ابتداء من القرن الثامن عشر، خاصة لما وصلت إلى الجزائر أسرتان يهوديتان قادتان من مدينة ليفورنة. وقد لعبت الأسرتان دورا مهما وخطيرا في المجال السياسي والاقتصادي، فكان له فيما بعد نتائج وخيمة على الأوضاع العامة في الجزائر. الأسرة الأولى، هي أسرة بوشناق أو بوجناح التي استقرت بالجزائر في عام 1723م. وكان أفرادها يمتنون التجارة في الخارج. وكان نشاطها في بداية الأمر متواضعا، لكنها سرعان ما حققت نجاحا باهرا. ويرجع الفضل في ذلك إلى أحد أفرادها البارزين، وهو نفتالي بوشناق الذي عرف بدهائه كيف يستغل ظروف البلاد المضطربة ليكسب ثقة الحكام والموظفين الكبار، وكان منهم مصطفى الوزناجي، باي التيطري (1775 - 1794م)² الذي قيل أنه رفض السفر إلى الجزائر خشية غضب الداي حسن. فانتهز بوشناق

¹ EISENBETH: OP. CIT., P. 15.

² هو مصطفى بن سليمان المعروف بالوزناجي، لأنه كان يمتن صناعة البارود، وهو ينحدر من أتراك الجزائر، حكم بايالك التيطري مدة عشرين سنة، ثم عين على رأس بايالك قسنطينة (1795 - 1798م). كان يقلب على نشاط الداي مصطفى الطابع العسكري، ربما يرجع ذلك إلى طبيعة بايالك التيطري، إذ تقطعت قبائل متمردة ضد السلطة. وقد يرجع الفضل إلى هذا الباي في استخلاص أراضي البايالك من قبائل التيطري. وقد صادف تاريخ تعيينه، أن قامت إسبانيا بحملة عسكرية ضد الجزائر عام 1775م، وحصل له الشرف أن يكون ضمن الشخصيات البارزة، أمثال صالح باي ومحمد بن عثمان التي قهرت إسبانيا.

ظروف الداي مصطفى الصعبة ليعرض عليه مساعدات مالية، ينقذ بها حياته¹. وهكذا استطاع بوشناق بذكائه ودهائه أن يكسب ثقة الباي. ولما عين مصطفى باشا على قسنطينة، جعل بوشناق رجل أعماله ومستشاره الخاص². أما الأسرة الثانية القادمة من ليفورنة، فكانت أسرة "ميشيل كوهن بكري" المعروف بابن زاهوت. فكانت أيضا صاحبة نشاط تجاري في الخارج. وقد استهل بكري عمله في الجزائر بفتح مكتب تجاري في عام 1770م. وكانت بدايته متواضعة، ولكنه بعد فترة قصيرة عرف نجاحا كبيرا. وذلك عندما اتحد ابنه الأكبر يوسف في عام 1780م مع إخوانه مردوشي وسليمان ويعقوب وابنه داود. وتناديا للمنافسة التجارية بين أسرة بكري وبوشناق، فضلت الأسرتان توحيد مصالحهما، ورأتا في علاقة المصاهرة أمسا وسيلة لتحقيق تلك الوحدة³.

ولقد تمكن بوشناق وبكري بعد أن وحدا مصالحهما من السيطرة على الأسواق التجارية داخليا وخارجيا، كما استطاعا بنشاطهما وذكائهما عرض خدماتهما على الحكومة الجزائرية، قصد التقرب من أعضائها وبسط نفوذهما. وتمكنا فعلا من كسب ثقة الحكام، أمثال الداي حسن الذي اقترح على بوشناق بأن يعين مصطفى خزنجايا⁴. وهكذا امتد نفوذ اليهوديين إلى الأمور المالية، وأصبحا يتصرفان في أموال البلاد حسب إرادتهما. ولم يكن نشاطهما مقصورا على هذا المجال فحسب، بل استعاننا بمجموعة من الماسرة الموزعين عبر البلاد ليتجسسوا على تحركات الأهالي لصالح

¹ GRAMMONT: OP. CIT., P. 360.

² أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، ص 14 - 15.

³ (G.) ESQUER: les commencements d'u Empire la prise d'Alger, P. 19.

⁴ IBID. PP. 19-20.

⁵ GRAMMONT: OP. CIT., P. 355.

الحكام، كما أن لهما وكلاء في جميع موانئ البحر المتوسط. يتقنون لهم الأخبار عن كل ما يتعلق بالسياسة والتجارة الأوروبية. ونظرا لكثرة أعمالهم وتشعبها، تفرغ بكري للمسائل التجارية، بينما تولي بوشناق الشؤون السياسي، مما مكنه من أن يصبح عضوا بارزا في الحكومة، يعين ويعزل الموظفين، ويتوسط في الخلافات بين الجزائر والدول الأوروبية، ويستقبل بالداي قناصل الدول ومبعوث الباب العالي، ويشرف على مفاوضات الجزائر مع الدول الأوروبية، كما حدث ذلك مع البرتغال في عام 1803م. فأصبح الناس يطلقون عليه اسم "ملك الجزائر"، نظرا لتعدد صلاحياته ووزنه السياسي في الحكومة¹. وقد زاد نفوذ بوشناق السياسي، حينما عين صديقه مصطفى الخرناجي، دايا في عام 1798م، خلفا للداي حسن².

وقد تمكن اليهود بفضل علاقاتهم الوطيدة التي تربطهم بالحكام من احتكار المواد الأساسية التي كانت تنتجها البلاد، كالحبوب والشموع والجلود والأصواف. وقد سمح لهم هذا الاحتكار بمنافسة الوكالة الوطنية الفرنسية، التي كانت تتولى مهمة شراء وتصدير تلك المواد إلى فرنسا. ولكن في أواخر القرن الثامن عشر، أصبح اليهود يتولون بمفردهم تصدير البضائع إلى ليفورنة ومرسيليا وجنوة وغيرها من موانئ البحر المتوسط³. وامتد نفوذهم التجاري فيما بعد إلى هولندا والولايات المتحدة الأمريكية⁴. ومن أهم الامتيازات التي حصل عليها اليهود في الجزائر، حق شراء وبيع الحبوب. وقد كان هذا الامتياز من قبل، من نصيب الشركة للملكة

¹ ESQUER: OP. CIT., P. 20.

² IBID.

انظر أيضا: الزهار: المصدر السابق، ص 71.

³ ESQUER: OP. CIT., P. 21.

⁴ LESPE: OP. CIT., P. 148.

الإفريقية ثم الوكالة الوطنية فيما بعد. وكانت الوكالة في بداية عهدها تتعامل مباشرة مع الحكومة الجزائرية، وتتولى بنفسها عملية شراء الحبوب وتصديرها إلى فرنسا. إلا أن الوضع قد تغير في أواخر القرن الثامن عشر. فأصبحت الوكالة تتعامل مع اليهود باعتبارهم ممثلين للحكومة الجزائرية¹. وقام اليهود بعد استفادتهم من هذا الوضع، بتصدير الحبوب إلى معظم الأسواق العالمية، ومنها فرنسا التي اشترت كميات كبيرة من الحبوب في عام 1793م لكي تقضي على المجاعة التي حلت بها، وتواجه الحصار الذي فرضته على موانئها الدول الأوروبية، وعلى رأسها إنجلترا. وهكذا أصبحت فرنسا تحت رحمة اليهود الذين عرفوا كيف يستغلون ظروفها الحرجة، ليوطدوا علاقاتهم مع بعض الشخصيات الفرنسية البارزة².

وقد طلبت الحكومة الفرنسية من اليهود في عدة مناسبات تزويدا بشحنات من الحبوب، فاستجاب اليهود لمطالبها في عامي 1796 و1797م. وفي تلك الأونة، طلب اليهود عن طريق ممثلهم في باريس "سيمون أبو قايمة" من الحكومة الفرنسية تسديد ديونها، وعندئذ أرسل "دولا كروا - DELACROIX" وزير فرنسا للعلاقات الخارجية رسالة إلى زميله "راميل - RAMEL" وزير المالية، جاء فيها "ترجو منكم أن تؤجلوا تسديد ديون اليهود حتى نجبرهم على التخلي عن دوائسهم مع الإنجليز الذين يفضلونهم عنا في سواحل شمال إفريقيا، والذين يأملون في تطوير علاقاتهم التجارية معهم"³. وقد أدى تماطل الحكومة الفرنسية في تسديد ديونها، إلى تدخل الداوي حسن بنفسه في القضية، لكونه دائنا لليهود، فوجه

¹ GARROT: OP. CIT., P. 601.

² ESQUER: OP. CIT., P. 20.

انظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر...، ص 16.

³ (E.) LEMARCHAND: "l'Europe et la conquête d' Alger", P. 33.

رسالة إلى الحكومة الفرنسية في 18 مايو 1797 م. جاء فيها "لكي نطالبكم كم نتمنى توطيد وترسيخ العلاقات القائمة بين هذه الحكومة والشعب الفرنسي منذ قرن من الزمن، فإننا مستعدون لتصويركم أثناء حربكم بالحيوانات والمواد الضرورية وكل ما تنتجه بلادنا. ونحاول أن نلبي طلبات الجمهورية بكل سرعة وأمان. ونطلب منكم فقط مراعاة حسن معاملة رعايانا المقيمين عندهم، خاصة أسرة بكري وسميون أبو قاية الذي سيتولى مهمة تسليمكم هذه الرسالة. ونحن نعتبر هذه المسألة معروفا. ونرجو منكم أن تفضلوا بالتسديد الفوري لديون سميون أبو قاية حتى يتمكن من مواصلة نشاطه"¹.

وبالرغم من الرسالة الرسمية التي وجهها الداوي حسن إلى الحكومة الفرنسية، فإن قضية الديون بقيت عالقة، إذ رفضت الحكومة الفرنسية الاستجابة لمطالب الداوي حسن، بحجة أن اليهود لا زالوا يمولون أعداء الإنجليز في جبل طارق بالمواد الغذائية، ولكن في تلك الأونة، كانت الحكومة الفرنسية تسمى إلى الحصول على المواد الغذائية من الجزائر لتلبي احتياجات جيشها الذي كان يجهز نفسه آنذاك، للقيام بالحملة ضد مصر. فلذا رأت الحكومة الفرنسية أنه من الحكمة أن تسدد ديونها، فطلبت من اليهود تقديم فواتير ديونهم. فكان ذلك باقتراح من قنصلها في الجزائر "مولتيدو - MOLTEDO". إلا أنه ما لبث أن توترت علاقاتها مع الجزائر بسبب حملة نابليون ضد مصر عام 1798 م، ولهذا السبب، أجلت قضية الديون من جديد. وعندما رجعت علاقات البلدين إلى حالتها الطبيعية، طلب "تاليرون" من حكومته تصفية ديون اليهود التي كانت تقدر آنذاك

انظر أيضا: GARROT: OP. CIT., P. 604.

¹ (E.) PLANTET: correspondances des Deys d'Alger avec la cour de France, T. 2, P. 463.

7942992 فرنك. وبناء على اقتراح "تاليرون"، قررت الحكومة الفرنسية أن تدفع لليهود مبلغا مسبقا قدره 3725631 فرنك لكن سرعان ما توترت العلاقات مرة أخرى بين فرنسا والجزائر¹. وهكذا بقي الوضع على حاله، ولم تطرح قضية الديون، إلا بعدما انتهت الخلافات بين فرنسا والجزائر.

وقد أبرمت الدولتان معاهدة في 25 ديسمبر عام 1801 م، نصت على ضرورة سداد فرنسا ديونها لليهود². لكن الحكومة الفرنسية لم تلتزم بما جاء في المعاهدة، فاضطر الداوي مصطفى أن يرسل عدة رسائل إلى الحكومة الفرنسية يطالبها بدفع الديون إلى رعاياه اليهود. وقد جاء في إحدى الرسائل المطولة التي وجهها الداوي مصطفى إلى نابليون بونابرت في 12 أغسطس عام 1802 م ما يلي "... أرجو منكم أن تعطوا الأوامر الضرورية لكي ننهي قضية بكري وبوشناق"³. وقد أصدر نابليون أوامره إلى حكومته نصت على ضرورة مراجعة ديون اليهود بكل دقة، والتي كانت تقدر آنذاك بـ 8151062 فرنك⁴. إلا أن الأحداث التي عرفت كل من فرنسا والجزائر في تلك الأونة، حالت دون معرفة إن كانت الحكومة الفرنسية مستعدة فعلا لتسديد ديونها، أم كانت مجرد مراوغة سياسية؟ والمعروف، أن فرنسا أجلت قضية الديون، لأنها كانت في تلك الفترة تخوض غمار الحروب في القارة الأوروبية. بينما كانت الجزائر تمر باضطرابات عنيفة، إذ غار الإنكشاريون والأهالي ضد الداوي مصطفى، نتيجة علاقته باليهود. وسماحه لهم باحتكار التجارة وتصدير المواد الغذائية إلى أوروبا، في الوقت الذي كانت

¹ LEMACHAND: OP. CIT., P. 54.

² IBID.

³ PLANTET: OP. CIT., P. 507.

⁴ LEMARCHAND: OP. CIT., P. 55.

فيه البلاد تعاني مجاعة¹. وتعبيرا عن سخط الأهالي والجيش، أطلق أحد الإنكشاريين في 28 يونيو عام 1805م، النار على بوشناق. ولما انتشر خبر مقتل بوشناق، نزل الإنكشاريون وبعض الأهالي إلى شوارع مدينة الجزائر لينتقموا من اليهود. وقد أسفرت تلك المشاهدات عن مقتل 42 يهوديا ونهب محلات بوشناق.

وبعد هذه الاضطرابات الدامية، تدخل الداي مصطفى، وعين يوسف كوهن بكري رئيسا للجالية اليهودية. كما وعد الداي الإنكشاريين بفرار اليهود من مدينة الجزائر. وقبل أن يصدر أوامره، غادرت 100 أسرة يهودية الجزائر متجهة إلى تونس، كما رحلت 200 أسرة أخرى إلى ليفورنة، منها أسرة بوشناق وبعض أفراد من أسرة بكري. ورغم هذه الإجراءات التي اتخذها الداي مصطفى ضد اليهود، لترضي الإنكشاريين، امتصاص غضبهم، فإنه اغتيل هو الآخر، في 31 أغسطس عام 1805م². وكان ذلك نتيجة لسياسته الداخلية. إلا أن حمدان خوجة يرى عكس ذلك. إذ قال عن مقتل مصطفى باشا: "تجمعت الميليشيا، فحطمت عظمة الداي مصطفى وقتلته دون أن يرتكب أدنى خطأ"³.

وبعد هذه الحادثة، قام الإنكشاريون بتعيين أحمد خوجة في منصب الداي (1805 - 1808م)، الذي كان يتولى في حكومة مصطفى باشا دفر دار، إلا أنه عزل نتيجة خلافاته مع الداي⁴. وقد قام أحمد خوجة بمصادرة أملاك بوشناق لعدم قدرة خلفائه على دفع القروض التي اقترضها من الخزنة

¹ GARROT: OP. CIT., P. 614.

² EISENBETH: OP. CIT., P. 17.

انظر أيضا: (R.) AYOUN: les JUIFS d'Algérie deux mille ans D'histoire, P. 80.

³ حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 149.

⁴ الزهار: المصدر السابق، ص 88.

العامة، إذ كان بوشناق في أواخر أيامه يقترض من الخزينة العامة لمواصلة نشاطه التجاري. وكان من المقرر أن يسدد القرض عندما يستلم مبالغ الخبز التي كان يصدرها إلى فرنسا¹.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن في مطلع القرن التاسع عشر اشتد التنافس بين أسرة دوران اليهودية وأسرة بكري وبوشناق، وكانت كل أسرة تحاول أن تنكسب ود الحكومة الجزائرية. فقد استطاع داود دوران أن يتفوق بدساتسه على خلفاء بكري وبوشناق. وعندما أعدم الحاج علي داود بكري عام 1811م، حل محله داود دوران. ولكن هو الآخر تلقى نفس المصير في 19 أكتوبر من نفس السنة².

وكانت تلك الأحداث التي شاهدها كل من فرنسا والجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، سببا في وقف المفاوضات بين البلدين حول قضية الديون. ولما استقرت الأوضاع في كلا البلدين، قام الداي حسين (1818 - 1830م) بإثارة قضية الديون من جديد، إذ طلب من الحكومة الفرنسية تسديد ديونها. وبناء على طلب الداي، شكلت الحكومة الفرنسية لجنة في عام 1819م للنظر في ديون اليهود. وقام ممثل بوشناق وبكري في باريس "نيقولا بليفيل NICOLAS PLEVILLE" بتسليم فواتير الديون إلى اللجنة التي شكلتها فرنسا. وقد قدرت فيها ديون اليهود بـ 16431305 فرنك. وتوصل الطرفان إلى عقد اتفاقية في 28 أكتوبر عام 1819م، وافقت اللجنة على تسديد 7 ملايين فرنك فقط. وصادق المجلس الملكي الفرنسي من جهته على الاتفاقية بمقتضى القانون المالي الذي أصدره في 24 يوليو عام 1820م³. وقد نص البند الرابع من الاتفاقية على أن

¹ EISENBETH: OP. CIT., P. 17.

² IBID. P. 18.

³ PLANTET: OP. CIT., P. 555.

الحكومة الفرنسية لا تسدد الديون التي عليها إلى أصحابها، إلا بعد النظر في الشكاوى التي رفعها بعض المواطنين الفرنسيين ضد "يعقوب بكري". يطالبونه فيها بدفع الديون التي عليه. وعلى هذا الأساس، قررت الحكومة الفرنسية أن تحتفظ بديون اليهود حتى تتأكد محاكمها من صحة شكاوى مواطنيها¹.

وبعد أن ينس الداي حسين من تماطل الحكومة الفرنسية، وجه رسالة في 26 أغسطس عام 1826م إلى وزير العلاقات الخارجية الفرنسية "البارون دو داماس - DE DAMAS"، جاء فيها: "نرجو من سيادتكم بعد استلامكم لهذه الرسالة تسوية الديون التي على فرنسا مع "تيقولا بلفيل"، ممثل خادمنا يعقوب بكري"². ولكن الحكومة الفرنسية أسدلت الستار على ما عرف في التاريخ بقضية ديون اليهود، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث اتخذت من هذه القضية ذريعة لمحاورة سواحل الجزائر لمدة ثلاث سنوات (1827-1830م). ثم احتلالها نهائيا في عام 1830م.

ويتضح مما سبق ذكره، أن اليهود ساهموا إلى حد كبير في تدهور أوضاع الجزائر الاقتصادية والسياسية، كما كانوا سببا في توريث الجزائر في قضايا دولية كانت في غنى عن التورط فيها. مثل توتر علاقاتها مع فرنسا لتدخلها في محاولة الفصل في قضية الديون. فتطورت القضية من قضية فردية بين اليهود وفرنسا حتى أصبحت قضية حكومية أي بين الجزائر وفرنسا. كما ذهب اليهود إلى أبعد من ذلك، حيث ساهموا مساهمة كبيرة في زيادة الخلافات بين الحكومتين لأنهم كانوا السبب الرئيسي في إبعاد القنصل الفرنسي، ديبوا نفيل من الجزائر عام 1814م. وخير دليل على ذلك، ما

¹ (C.) ROUSSET: la conquête d'Alger, P.22.

² PLANTET: OP. CIT., P.555.

جاء على لسان "تفيل" في المذكرة التي وجهها إلى وزير خارجيته دوق دو فيسانس - DUC DEVICENCE. إذ ذكر فيها: "لقد كنت مضطرا لمفادرة الجزائر في 19 أكتوبر الأخير، لأنني رفقت الاعتراف بمبلغ 114300 بياستر، ثم حملة السفينة اليهودية "غيوسبينو - LE GIOSPINO التي احتجزها الأسطول الفرنسي في ميناء ملقة. كما طالبوا مني دفع الديون القديمة المستحقة على فرنسا. ورغم أن الداي لم يكن له أي حقد شخص ضدي... ثم إبعادي من الجزائر نتيجة مؤامرة أعدها الإنجليز واليهود"¹.

وما يمكن استخلاصه من هذا العرض، هو أن الثورات الريفية مهما كانت الأسباب المتحركة فيها، فإنها كان لها تأثير مباشر على الأوضاع العامة للبلاد. فقد ساهمت في إضعاف الدولة داخليا وخارجيا. ولهذا يمكن اعتبارها أحد الأسباب الرئيسية التي عجلت بنهاية الحكم العثماني في الجزائر. كما أن احتضان سكان الأرياف لتلك الثورات وتدعيمهم لها، لدليل على تدهور العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة من الحكم العثماني، ويمكن إرجاع ذلك، إلى طبيعة السياسة الداخلية التي نهجها الحكام في جمع الضرائب، إذ تميزت بالعرف والصرامة. كما أن الأعوان المكلفين بجمع الضرائب قد ارتكبوا بعض التجاوزات أثناء أداء ما يورثهم في الأرياف.

وبالرغم من أن الثورات الريفية كانت نابعة من المجتمع الريفي، إلا أن هناك بعض الأطراف الخارجية التي كان لها دور فيها، مثل المغرب الأقصى

¹ « Note sur la Barbarie, Paris le 20 Avril 1815 », C.C. Alger 1815-1816, T.42, AR. M.R.E. France.

الشرافيا: LEMARCHAND: OP. CIT., P.56.

ونوس، وكان ذلك يندرج في إطار التنافس التقليدي الذي غيرت به علاقات الأقطار المغاربية منذ وقت بعيد .

لقد أدى تدهور الأوضاع الاقتصادية، وقلة الموارد المالية، إلى عجز الحكام عن دفع رواتب الجند، مما تسبب في عزل وقتل عدد منهم. وقد تروى على هذا الوضع ضعف مركز السلطة الحاكمة، وعدم استقرار الأحوال السياسية، في الوقت الذي تضاعفت التحرشات الخارجية والاضطرابات الداخلية.

استغل بعض تجار اليهود المؤثرين، الأوضاع الخرجة التي كانت تمر بها الجزائر، لعرض خدماتهم على الحكام، مما مكّنهم من الاستفادة من بعض الامتيازات في المجال التجاري. فأصبحوا يشكلون قوة اقتصادية لها تأثير بارز في المجال السياسي. لهذا كانوا سببا في توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا.

الفصل الثالث

1. الجزائر والأطماع الأجنبية الاستعمارية
2. الصراع الإنجليزي الفرنسي وأثره على الجزائر
3. حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر عام 1815م
4. الحملة الإنجليزية الهولندية على الجزائر عام 1816م
5. حملة إنجلترا على الجزائر عام 1824م

لم يبق في البحر المتوسط في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر من الدول الأوروبية، سوى فرنسا وإنجلترا، اللتين كانتا تتنافسان من أجل الحصول على امتيازات تجارية في السواحل الجزائرية، فضلا على الاستفادة من موقع الجزائر الإستراتيجي الممتاز، ولتدعيمها الهائلة. كذلك دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة كطرف ثالث في دائرة الصراع، إذ وجهت اهتمامها إلى الجزائر بصفة خاصة وإلى البحر المتوسط بصفة عامة. وقد حاولت كل دولة من هذه الدول، لتحقيق أطماعها، كسب ود الجزائر والتقرب إلى حكامها. وعندما عجزت الدول الثلاث عن تحقيق تلك الأطماع، قامت بشن حملات عسكرية ضد الجزائر، كان لها آثار مدمرة على الاقتصاد الجزائري، مما أسهم بدوره في القضاء على الحكم العثماني في الجزائر.

الصراع الإنجليزي الفرنسي وأثره على الجزائر

بدأ الإنجليزي يدعمون مواقعهم في البحر المتوسط بعد أن أبرموا معاهدة سلم مع الجزائر عام 1622م¹. ومنذ ذلك التاريخ، دخلت إنجلترا في صراع مع بقية الدول الأوروبية التي كانت لها مصالح في المنطقة. إلا أن الصراع الذي نشب بين تلك الدول كان ضعيفا نسبيا في المهود الأولى، لانشغالها بمناطق أخرى بعيدة عن البحر المتوسط. كما أن الأسطول الإسلامي بما فيه الأسطول الجزائري، كان حاجزا أمام التوسع الأوروبي في المنطقة. وعندما فقدت الدول الأوروبية جزءا كبيرا من مستعمراتها في القارة

¹ (R.L.) PLAYFAIR: «Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les états Barbaresques avant la conquête. FR. R. AN²², P.460.

أنظر أيضا: وولف، جون ب: الجزائر وأوروبا، ترجمة أبي القاسم سعد الله، ص 240.

الأمريكية في أواخر القرن الثامن عشر، وجهت أنظارها من جديد إلى البحر المتوسط. وقد شجعتها على ذلك أيضا، ضعف البحرية الإسلامية بما فيها البحرية الجزائرية. وفي تلك الآونة، ألقت إنجلترا بكل ثقلها في البحر المتوسط، ساعية أخذ مواقع فرنسا في السواحل الجزائرية¹، مما أدى إلى احتدام الصراع بين البلدين، وهو صراع خلف آثارا عديدة على الجزائر.

وقبل حدوث صراع بين الدولتين (إنجلترا وفرنسا)، حول الجزائر، كانت الأمور بينهما قد تطورت بشكل أدى إلى فرض إنجلترا حصارا بحريا شديدا على سواحل فرنسا (1792 - 1794م)، فضنعت بعض الدول التعامل معها، أمله بذلك تجويع الفرنسيين. إلا أن خطة الحصار قد أثبتت فشلها، إذ ظلت سفن الولايات المتحدة الأمريكية تزود الموانئ الفرنسية بالمواد الغذائية وغيرها. ولذا رأت إنجلترا أنه من الحكمة أن تنهي الحرب بين الجزائر والبرتغال حتى يتمكن الأسطول الجزائري من التغلغل إلى مياه المحيط الأطلسي ليعرقل نشاط الأسطول الأمريكي، ويمنعه من الاتصال بالموانئ الفرنسية. وقد تمكنت إنجلترا بفضل دبلوماسيتها من إقناع الجزائر والبرتغال بمقتد هدنة لمدة سنة، وكان ذلك في سبتمبر عام 1793م. وبعد فترة قصيرة من عقد تلك الهدنة، دخل الأسطول الجزائري في حرب مع أسطول الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا تحقق ما كانت تصبو إليه إنجلترا².

وشرعت الحكومة الفرنسية آنذاك، تفكر في وسيلة تمكنها من فك الحناق الذي فرضته إنجلترا على سواحلها، وفتح الطريق أمام سفن الولايات المتحدة الأمريكية للوصول إلى موانئها المطلّة على بحر المانش. فلهاذا قررت

¹ (A.) NETTEMMENT: histoire de la conquête d'Alger, P.123.

² «rapport du 28 pluviôse an 3 (janvier), présenté par Cambacérés, J. P. CHAZAL, MERLIN, LACOMBE, M. et D. Algérie 1790-1827, T.14, AR. M.R.E. France.

أن توفد مبعوثين إلى تونس والجزائر قصد إقناع حكامهما بالتفاوض مع الولايات المتحدة الأمريكية¹. ولكن في ذلك الوقت، أي في أبريل عام 1794م نشبت الحرب من جديد بين البرتغال والجزائر، وأعلن البلاط البرتغالي عن استعداده لإرسال أسطوله إلى مضيق جبل طارق لإغلاقه أمام الأسطول الجزائري، ومنعه من التوغل إلى المحيط الأطلسي². وقد سهلت هذه الإجراءات التي اتخذها البلاط البرتغالي، لسفن الولايات المتحدة الأمريكية مهمة تموين الموانئ الفرنسية. وأدت تلك التطورات الجديدة التي طرأت على السواحل الأوربية إلى تراجع الحكومة الفرنسية عن قرارها المتعلق بإرسال مبعوثيها إلى تونس والجزائر لتسوية الخلافات بين هاتين الدولتين والولايات المتحدة الأمريكية³.

وقد يرجع سبب تراجع الحكومة الفرنسية عن قرارها، إلى خوفها من احتمال تغلغل الولايات المتحدة الأمريكية بنفوذها إلى البحر المتوسط، خاصة وأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى إلى عقد معاهدة مع البلدان المغاربية حتى تتمكن من مد نشاطها إلى مصر وسوريا. وهذا ما نوجي به التحركات التي قام بها سفير الولايات المتحدة الأمريكية في باريس، إذ طلب من الحكومة الفرنسية أن تسمح لمبعوث بلاده بمرافقة المبعوثين الفرنسيين إلى بلدان المغرب للتفاوض معها قصد إبرام معاهدة⁴.

وعندئذ، أدركت الحكومة الفرنسية الخطورة التي سيشكلها الأمريكيون على تجارتها إذا تمكنوا من نفوذهم إلى البحر المتوسط، فلذا قررت الحكومة الفرنسية إبقاء الوضع على ما هو عليه⁵. إلا أن الولايات

¹ IBID.
² IBID.
³ IBID.
⁴ IBID.
⁵ IBID.

المتحدة الأمريكية أدركت نوايا الحكومة الفرنسية، ولذا طلبت من مقومها في البرتغال "دافيد همفريز" D. HUMPHREES أن يحاول عقد معاهدة سلام مع الجزائر بحيث تضمن إطلاق سراح الأسرى الأمريكيين¹. وتنفيذا لهذا الطلب، كلف "همفريز" مواطنه "جوزيف دونالدسون" J. DONALDSON بالتوجه إلى الجزائر ليتفاوض مع حكامها، وتوصل "دونالدسون" بالفعل إلى إبرام معاهدة سلام مع الجزائر في شهر سبتمبر عام 1795م. وبناء على ما نصت عليه المعاهدة، أطلق الداي حسن مئة أسير أمريكي مقابل فدية قدرها 64500 دولار. كما وافق الداي على التدخل لدى حكام تونس وطرابلس لعقد اتفاقيات سلم مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفي 2 مارس عام 1796م، صادق مجلس الشيوخ الأمريكي على المعاهدة المبرمة بين البلدين، وتعهدت الولايات المتحدة الأمريكية بدفع 21600 دولار سنويا للجزائر في شكل تجهيزات بحرية².

وهكذا دخلت الجزائر دائرة الصراع الذي نشب بين فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، إذ كانت كل دولة تحاول في الحقيقة استغلال الجزائر واستخدامها ضد الأخرى لتحقيق أغراضها الاقتصادية والإستراتيجية، إلا أن حكام الجزائر عرفوا كيف يوفقون في معاملاتهم مع تلك الدول، خاصة إنجلترا وفرنسا، إذ نجدهم تارة يميلون إلى فرنسا، وتارة أخرى يساندون إنجلترا. وهذا ما تؤكد به المراسلات التي كان حكام الجزائر يتبادلونها مع حكام فرنسا وإنجلترا. فقد طلبت الحكومة الفرنسية في إحدى تلك الرسائل التي وجهتها إلى الداي حسن في 28 يوليو عام 1797م، بأن يسمح للقراصنة الفرنسيين بنقل البضائع التي استولوا عليها من السفن التي

¹ وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، ص 155.

² نفسه، ص 156.

أنظر أيضا: ديفو، البير: الرايس حميدو، ترجمة محمد العربي الزيري، ص 90.

كانت تقوم الإنجليز، إلى موانئ الجزائر¹. وقد رد الداي حسن على تلك الرسالة برسالة مماثلة في 29 سبتمبر عام 1797م. عبر فيها للحكومة الفرنسية عن استعداده لفتح موانئ بلاده لجميع السفن الفرنسية المحطة بالفنائم². وفي تلك الفترة، حدث أن استولى الإنجليز على إحدى السفن الفرنسية الراسية في ميناء عنابة، فسارع القنصل الفرنسي في الجزائر "جون بون سان أندري" J. B. ST. ANDRE، فطلب من الداي أن يحاول استرجاع السفينة الفرنسية من الإنجليز. وقد صرح له الداي بأنه سيقطع علاقته مع الإنجليز إذا رفضوا رد السفينة التي استولوا عليها قبل أول يناير³. كما استغلت الحكومة الفرنسية من جهةها هذه الفرصة لتحرض الداي ضد الإنجليز، وهذا ما تؤكد به الرسالة التي وجهتها له في شهر ديسمبر عام 1797م، حيث جاء فيها "لقد ارتكبت الحكومة الإنجليزية ضدكم أخطاء عديدة وخطيرة، فإذا لم تحصلوا على الترضيات التي من حقكم أن تطالبوها بها خلال الأجال المحددة، فلا تترددون في إعلان الحرب عليها"⁴.

وهكذا كان ثمة نوع من التقارب بين الجزائر وفرنسا. وقد كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية جيدة بوجه عام، وذلك ابتداء من عهد الثورة الفرنسية عام 1789م، إذ عمد قادتها على توطيد علاقاتهم مع حكام الجزائر. كما أن الجزائر قدمت مساعدات مالية ومادية لفرنسا التي كانت تعاني أزمات اقتصادية، نتيجة الحصار الذي فرضته عليها الدول الأوروبية، وعلى رأسها إنجلترا⁵.

¹ PLANTET, OP. CIT., P.464.

² IBID. P.468.

³ IBID. P.469.

⁴ IBID. P.474.

⁵ (E.) CAT: PETITE HISTOIRE DE L'ALGÉRIE, T.1, P.38.

وحسب ما ورد في الرسائل المذكورة، كانت فرنسا تحاول دائما تخريف حكام الجزائر ضد الإنجليز بهدف إبعادهم عن مناطقها الحيوية بشمال إفريقيا. إلا أن إنجلترا أدركت أن التقارب الجزائري الفرنسي ليس في صالحها، لذا حاولت منذ وقت مبكر تعزيز صفو علاقات الصداقة بين الجزائر وفرنسا. وقد استعمل الإنجليز عدة أساليب لتحقيق ذلك، فطلبوا من الداي حسن قطع علاقاته مع فرنسا، وعدم تزويد موائلها بالمواد الغذائية. ولكن الداي رفض الاستجابة لهم¹. وفي أعقاب فشل الإنجليز في محاولتهم اتصلا باليهود الذين كانوا يتحكمون في التجارة، ويزودون الموانئ الفرنسية بالمواد الغذائية آنذاك، فطلبوا منهم التخلي عن فرنسا وتكوين قواعد إنجلترا في جبل طارق بالمواد الضرورية. فوافق اليهود على التعامل مع الإنجليز عوضا عن فرنسا التي أصبحت في نظرهم دولة ضعيفة، نتيجة الحصار الذي فرض عليها.

ولما أدرك اليهود أن فرنسا قد حققت عدة انتصارات على أعدائها، وبدأت تسترجع مكائنها تراجعوا عن قرارهم، وأصبحوا يتعاملون مع كلا الدولتين، إلا أنهم كانوا يفضلون التعامل مع الدولة التي تضمن لهم أربابا أكثر². وبالرغم من فشل محاولات الإنجليز، إلا أنهم واصلوا مجهوداتهم الرامية إلى تعزيز العلاقات الجزائرية الفرنسية عن طريق قنصلهم في الجزائر، ولكنهم لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم، وبقي الوضع على حاله حتى قامت فرنسا بحملتها على مصر عام 1798م. وحينئذ حاول الإنجليز استغلال ذلك الحادث لصالحهم، وكانوا يرون في ذلك فرصة مناسبة لإرغام الجزائر على الدخول في حرب ضد فرنسا، وفسخ المعاهدة التي أبرمتها معها في 30 سبتمبر عام 1800م. فطلبوا من السلطان العثماني أن يأمر الداي مصطفى

¹GRAMMONT: OP. CIT., P.348.

²GRAMMONT: OP. CIT., P.351.

بقطع علاقاته مع فرنسا، وإعلان الحرب عليها، ولكن الداي رفض الامتثال لأوامر السلطان لتعارضها مع مصالح الجزائر، إلا أنه اضطر في النهاية، تحت ضغوط وتهديدات السلطان والإنجليز إلى إعلان الحرب ضد فرنسا³. ورغم إعلان حالة الحرب بين الجزائر وفرنسا، فإن الداي مصطفى استقبل القنصل الفرنسي في الجزائر "دويواتا نغيل - D. THAINVILLE" وطلب منه مغادرة الجزائر مع الرعايا الفرنسيين. كما وجه رسالة إلى نابليون في 13 أبريل عام 1801م، شرح له فيها الأسباب التي أجبرته على إعلان الحرب على بلاده. فطلب منه أن يعد أسطولها لمواجهة الأسطول العثماني الإنجليزي الذي قرر السلطان إرساله إلى الجزائر لإخضاعها⁴. وكاد هذا الموقف الذي اتخذته الداي مصطفى أن يكلفه حياته، إذ قام بعض أفراد جيشه في 18 سبتمبر عام 1800م بمحاولة اغتياله، وكان ذلك بتحريض من الأميرال الإنجليزي "كيت - KEITH" ومواطنه القنصل "فالكون - FALCON"⁵.

وبعد بضعة أشهر من تلك الأحداث، عادت العلاقات الجزائرية الفرنسية إلى حالتها الطبيعية، وتم إبرام معاهدة سلم بين البلدين في 17 ديسمبر عام 1801م⁶. وأعقب ذلك قيام الداي مصطفى بطرد القنصل

¹GARROT: OP. CIT., P.608.

انظر أيضا: أرجمند كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1848م، ترجمة عبد الجليل التميمي، ص 19.

وكذلك: جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 - 1830م، ص 196.

صلاح العقاد، المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، دراسات في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة، ص 48.

²PLANTET: OP. CIT., P.491.

³GRAMMONT: OP. CIT., P.357.

⁴GARROT: OP. CIT., P.609.

الإنجليزي "فالكون" من الجزائر¹. وبعد هذا الموقف الصارم الذي اتخذته الداي وصل الأسطول الإنجليزي بقيادة اللورد "نيلسون - NELSON" إلى الجزائر في يناير عام 1804م، محاولاً إرجاع القنصل المخلوع إلى منصبه بالقوة. ولكن الداي تمسك بقراره².

وقد حدث أن شهدت العلاقات الجزائرية الفرنسية آنذاك نوعاً من التوتر والاحتدام، مما أدى إلى قطع العلاقات بين البلدين، ويرجع سبب القطيعة إلى تلك الاعتداءات التي ارتكبتها بعض الجزائريين ضد السفن الفرنسية. وقد احتجت السلطات الفرنسية على الاعتداء الذي قام به الجزائريون ضد إحدى السفن الفرنسية التي قذفت بها الرياح إلى سواحل مدينة تنس³. وهذا ما جعل القنصل الفرنسي "تافيل" يطلب من الداي مصطفى في أبريل عام 1802م معاقبة المعتدين على السفينة المذكورة، وإعادة ممتلكات ركابها، وإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين⁴. كما بعث نابليون هو الآخر برسالة تهديد إلى الداي في 18 يونيو عام 1802م، ذكر له فيها الاعتداءات التي ارتكبتها الجزائريون ضد السفن الفرنسية، كما حذره من بعض وزرائه الذين يحرضونه وينصحونه على نهج سلوك مداهبا لفرنسا الذي قد ينجم عنه شقاء كبير⁵. ثم بعث نابليون برسالة ثانية إلى الداي مصطفى في 27 يوليو عام 1802م، عبر له فيها عن غضبه وطلب تلبية مطالب فرنسا، وتقديم التعويضات عن الخسائر التي لحقت بحارب

¹ الزهار: مذكرات تقيب الأشراف، تحقيق ونشر أحمد توفيق المدني، ص 78 - 79.

² PLAYFAIR: OP. CIT., P.460.

³ قنان، المرجع السابق، ص 198 - 199.

⁴ PLANTET: OP. CIT., PP.498-500.

⁵ IBID: PP.501-502.

أنظر أيضا: قنان، المرجع السابق، ص 199.

بالسفن الفرنسية، وهدده بغزو الجزائر وتخريبها إذا رفض¹. ورد الداي على هذه الرسالة برسالة مماثلة في 12 أغسطس من نفس السنة، أعرب فيها لنابليون عن حسن نيته واستعداده للاستجابة لمطالبه. كما طلب منه أن يرسل إليه شخصياً مراسلاته لتسوية الخلافات بطريقة ودية وسلمية². وقد يرجع سبب رضوخ الداي مصطفى لمطالب فرنسا إلى الظروف الداخلية التي أحاطت به³.

ومهما كانت الأسباب التي أدت بالداي مصطفى إلى تلبية مطالب فرنسا، فإن نابليون عقد العزم على شن حملة عسكرية ضد الجزائر، ولكنه تراجع عن قراره بسبب التطورات الخطيرة التي طرأت على الساحة الأوروبية، إذ تم في عام 1803م فسخ صلح "أميان - AMIENS"⁴. وتجددت الحروب بين الدول الأوروبية، واستطاع الأسطول الإنجليزي أن يهزم الأسطول الفرنسي في معركة "الطرف الأغور - TRAFALGAR" في عام 1805م. وقد استغل الداي أحمد (1805م - 1808م)، خليفة الداي مصطفى تلك الظروف، واستولى على المؤسسات التي كانت بحوزة فرنسا في السواحل الجزائرية، وأجرها في عام 1807م إلى إنجلترا لمدة عشر سنوات مقابل ضريبة سنوية قيمتها 26700 فرنك فرنسي⁵.

وفي الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين فرنسا وإنجلترا حول تلك المؤسسات، انتهز نابليون فرصة إبرام معاهدة "تليست" مع روسيا في عام

¹ PLANTET: OP. CIT., PP.502-504.

² IBID: PP. 504-507.

³ تعرض الداي مصطفى لعدة محاولات اغتيال بسبب تعامله مع تجار اليهود (يكري وبوشناق). كما قامت انتفاضة ضده في شرق البلاد بتحريض من الإنجليز.

⁴ عقد صلح أميان - AMIENS بين فرنسا وإنجلترا في 25 مارس 1802م.

⁵ PLAYFAIR: OP. CIT., PP. 460-461.

1807م، ليضيف في بندها الخامس نصا يشير إلى حق الفرنسيين في احتلال الدول الإفريقية مثل تونس والجزائر¹. وشرع نابليون يفكر بكل جدية في كيفية الاستيلاء على الأنقطار المغاربية. ولقد كان تدهور العلاقات بين الجزائر وفرنسا في صالح الإنجليز، الذين عرفوا كيف يوطدون علاقاتهم بحكام الجزائر. وهذا ما تؤكده الرسالة التي وجهها ولي عهد إنجلترا إلى الداي الحاج علي في عام 1812م، حيث أكد فيها للداي أنه طالما استمرت الصداقة بين البلدين، فإن إنجلترا ستحمي عاصمة الجزائر بأساطيلها من الاعتداءات الخارجية². وقد واصل الإنجليز سياستهم الرامية إلى إثارة الخلافات بين فرنسا والجزائر، وتمكنوا من تحقيق أهدافهم، إذ حرصوا الداي الحاج علي على طرد القنصل الفرنسي "تائفيل" من الجزائر، كما يذكر ذلك القنصل نفسه³. ومهما يكن من أمر، فإن الإنجليز لم يعرفوا كيف يحافظون على علاقاتهم الودية مع الجزائر، إذ بمجرد أن وضعت الحروب الأوربية أوزارها في عام 1815م، حتى التفت الإنجليز إلى قوة الأسطول الجزائري، الذي عرف خلال الحروب الأوربية، انتعاشا نسبيا. وحاولوا القضاء عليه حتى لا يعرقل نشاطهم التجاري في البحر المتوسط. ولتحقيق هذا الهدف، قام الأسطول الإنجليزي بشن حملة عسكرية ضد الجزائر في عام 1816م. وكانت الظروف في صالح فرنسا، إذ رأت أن الفرصة مواتية لاسترجاع مؤسساتها التي ضاعت منها في عام 1807م، وهذا ما يقصر عدم تورط فرنسا في ذلك الصراع الذي نشب بين الجزائر وإنجلترا.

¹ سبتمبر: المرجع السابق، ص 183.

² وليام ثالر: مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816م - 1824م، ترجمة إسماعيل العربي، ص 140.

أنظر أيضا: سبتمبر: المرجع السابق، ص 158.

³ «Note sur la Barbarie, Paris le 20 Avril 1815, Présenté par D. Thainville», C. C. Alger 1815-1816, T.42, AR. M.R.E. France.

ويصبح ذلك أيضا من التعليقات التي تلقاها القنصل الفرنسي في الجزائر "دوفال" - DEVAL -، من حكومته قبل الحملة الإنجليزية بأسابيع معدودة¹. وبهذا الشكل، تمكنت فرنسا من تحقيق أهدافها، إذ سمح لها موقفها الحيادي من الحملة الإنجليزية ضد الجزائر بأن تسترجع مؤسساتها الواعمة في السواحل الجزائرية في عام 1817م. وهكذا يمكن القول بأن الصراع الذي حدث بين إنجلترا وفرنسا في الجزائر سحب الجزائر - بالضرورة - إلى دائرة الصراع الأوربي. وقد استخدمت الدولتان كل الوسائل لجر الجزائر إلى تلك الدائرة بهدف إضعافها من جهة، والحفاظ على امتيازاتها في شمال إفريقيا من جهة أخرى.

حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر عام 1815م:

قزت الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الثاني من القرن التاسع عشر عدم دفع الإتاوات المقررة عليها إلى الجزائر. وربما يعود ذلك إلى إدراكها لضعف الجزائر. ولقد أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين البلدين، مما دفع الداي الحاج علي (1809 - 1815م) إلى طرد قنصلها من الجزائر عام 1812م². ويبدو أن الرسالة التي نقلها مبعوث إنجلترا إلى الجزائر كان لها تأثير على علاقات البلدين³. كما أن اليهود قد اقترحوا - كما يذكر

¹ «Lettre de Richelieu à P. Deval, Paris le 2 Août 1816», C. C. Alger 1815-1816, T.42, AR. M.R.E. France.

² محمد الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، تحقيق عماد حفي، ص 114.

³ راي أروين: العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة 1776 - 1716م، ترجمة إسماعيل العربي، ص 248.

شالر - على الداي الحاج علي مهاجمة السفن الأمريكية حتى يرغم حكومتها على تجديد معاهدة السلام مقابل مبلغ مالي كبير¹.
ومهما كانت الأسباب التي أدت إلى انقطاع العلاقات بين البلدين، فإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت في تلك الفترة عاجزة عن معاقبة الجزائر أو شن حملة عسكرية ضدها، وذلك لانشغالها بحاربة إنجلترا. وبمجرد أن تم التصديق على معاهدة "غنت - GHENT" في 24 ديسمبر عام 1814م التي أنهت الحرب بين إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، حتى قرر الكونغرس الأمريكي إعلان الحرب على الجزائر². وتم تجهيز أسطول حربي، وأسندت قيادته إلى القبطانين "بنبريدج - BAINBRIDGE" و"ديكاتور - DECATUER". وأصدر وزير العلاقات الخارجية الأمريكي تعليماته إلى القبطانين والسيد شالر (الذي سوف يصبح فيما بعد قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في الجزائر)، بعقد الصلح مع الجزائر على أن يتم بشروط مشرفة للولايات المتحدة الأمريكية³. وغادر الأسطول الأمريكي الولايات المتحدة الأمريكية في شهر مايو عام 1815م، ووصل جزء منه إلى جبل طارق بقيادة الأميرال "ديكاتور" في شهر يونيو من نفس السنة المذكورة. ومن هناك أبحر إلى الجزائر. وقد التقى في طريقه ببارجة جزائرية بقيادة الرئيس حميدو، فقام بمطاردتها ثم التحرش بها. واستسلمت البارجة

¹ شالر: المصدر السابق، ص 140 - 146.

² نفسه، ص 146.

أنظر أيضا: أروين، المرجع السابق، ص 246.

وكذلك، وولف، المرجع السابق، ص 419.

³ شالر: المصدر السابق، ص 146 - 147.

أنظر أيضا: الزمار، المصدر السابق، ص 118.

أخيرا، بعد أن قتل قائدتها حميدو ومجموعة كبيرة من البحارة الجزائريين¹. كذلك اكتشف الأسطول الأمريكي سفينة جزائرية أخرى، فاشتبك معها وأسرها ثم أرسل بها إلى قرطاجنة الإسبانية². وعندما وصل الأسطول الأمريكي إلى ميناء الجزائر، حاول الأمريكيون التفاوض مع الداي عصر (1815 - 1817م)، إلا أنه امتنع عن مصلحتهم. ولما أخبروه بمقتل الرئيس حميدو وبمسير السفينتين الجزائريتين، اضطروا إلى التفاوض معهم³.

وهكذا تصالح الطرفان ووقعا على معاهدة في 30 يوليو عام 1815م، نصت بنودها على إلغاء الإتاوة السنوية⁴، وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين، ودفع تعويضات مقدراها عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "إيدوين"، وغيرها من ممتلكات الأمريكيين في الجزائر. وتعدت الولايات المتحدة الأمريكية بأن ترد إلى الجزائر السفينتين اللتين استولى عليهما الأسطول الأمريكي من قبل، وإطلاق سراح الأسرى الجزائريين⁵. وبعد أن تم إبرام المعاهدة، نصب السيد "شالر" قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية بالجزائر.

ولقد كانت حملة الولايات المتحدة الأمريكية عاملا مشجعا للدول الأوروبية لشن حملاتها العسكرية ضد الجزائر قصد الحصول على نفس المعاهدة التي حصلت عليها الولايات المتحدة الأمريكية.

¹ أروين: المرجع السابق، ص 247.

² نفسه، ص 247.

³ الزمار: المصدر السابق، ص 118.

⁴ ظلت الولايات المتحدة تدفع الضريبة من عام 1795 إلى غاية عام 1810م وعندما توقفت عن دفعها، وقعت الحرب بين الطرفين، أنظر: ديفو، المصدر السابق، ص 90.

⁵ « Bulletin D'Alger du 27 Juin au 1^{er} Juillet 1815 », C.C. Alger 1815-1816, T.42, AR. M.R.E. France.

الحملة الإنجليزية الهولندية على الجزائر عام 1816 م:

عرفت الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر استقرارا نسبيا، نتيجة للمعاهدات التي أبرمتها مع بعض الدول الأوروبية كإسبانيا والبرتغال¹ والولايات المتحدة الأمريكية². وقد استغلت الجزائر فترة الاستقرار هذه، والحروب التي اندلعت في القارة الأوروبية³، لكي تجدد قلع أسطولها الذي وصل إلى 30 قطعة⁴.

واستطاعت خلال فترة قصيرة أن تسترجع جزءا من قوتها، ولكن هذا الانتعاش الذي شهده الأسطول الجزائري لم يدم مدة طويلة، إذ بمجرد أن توقفت الحروب الأوروبية، تحالفت تلك الدول من أجل القضاء على الأسطول الجزائري، الذي كان يشكل خطرا على مصالحها التجارية في البحر المتوسط. وكانت إنجلترا قد وعدت الداي من قبل بأن أسطولها سيتولى حماية بلاده من الاعتداءات الخارجية، ولكنها لم تلتزم بوعدها، إذ لما وقعت الجزائر تحت رحمة الأسطول الأمريكي في عام 1815 م، كانت إنجلترا وغيرها من الدول الأوروبية، تخطط للقضاء عليها، وهذا ما جعل أحد وزراء الجزائر يقول للمتعمل الإنجليزي عندما أرسى الأسطول الأمريكي في ميناء الجزائر: "لقد سبق أن أخبرتنا أن أسطولكم سوف يطرد الأسطول الأمريكي من البحار في ظرف

سنة أشهر، ولكن الأمريكيين يشنون الحرب علينا مستعينين ببعض السفن الحربية التي أخذوها منكم"¹.

وفي الوقت الذي كانت فيه الجزائر تقف تحت شعار الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية، اجتمعت الدول الأوروبية في ليبيا أواخر عام 1814 م، قصد تسوية الخلافات والقضايا الأوروبية الناجمة عن الحروب النابليوية. وقد تطرق المؤتمرون إلى قضية القرصنة المغاربية، وقام ممثلو فرنسا بمطالبة² بتسليم عدة مذكرات إلى المؤتمرين، يطالبونهم فيها بإعادة تشكيل نظامهم القديم، وذلك بمنحهم مقر آخر في البحر المتوسط تجتمع فيه جميع أساطيل الدول المسيحية لمواجهة "قرصنة الدول المغاربية" ومحاربتهم³. كما سلم الأميرال الإنجليزي "سيدني سميث - S. SMITH" مذكرة إلى المؤتمرين، استند في إعدادها إلى التجارب التي اكتسبها خلال المعارك البحرية التي شارك فيها. وقد ألح سيدني سميث في مذكرته على ضرورة القضاء على قرصنة الدول المغاربية، كما أشار إلى الوسائل التي يمكن أن تحقق هذا الهدف حيث قال: "ففي الوقت الذي تناقش فيه وسائل إلفاء تجارة الرقيق الأسود في سواحل إفريقيا الغربية، فإنه لمن الدهشة أن لا تنتبه إلى الساحل الشمالي لهذه القارة الذي يقطنه الأتراك الذين يسطهون جيرانهم ويضطفونهم

¹ أروين، المرجع السابق، ص 270.

² فرسان يوحنا، نظام ديني عسكري، طردوا أثناء الحروب الصليبية من القدس، استقروا بجزيرة قبرص حيث عرفوا باسم الأسيارية. وبعد ذلك انتقلوا إلى جزيرة رودس بعد أن طردوا منها الإغريق، وعرفوا هناك بفرسان رودس، إلا أن السلطان العثماني سليمان، قام بغزوهم من هناك في عام 1522 م، فلبأوا إلى جزيرة مالطة عام 1530 م. واستقروا هناك حتى فرق نابليون صفوفهم في عام 1798 م.

للمزيد من التفاصيل أنظر: GARROT: OP. CIT., P.466.

³ LEMARCHAND: L'Europe et la conquête d'Alger, P.21.

¹ عبد الحميد زوزو: "هدنة 1810 م ومعاهدة 1813 بين الجزائر والبرتغال"، مجلة التاريخ، العدد 11، الجزائر 1981 م، ص 21.

² أبرمت الجزائر مع الولايات المتحدة معاهدة عام 1795 م، تعهدت الولايات المتحدة بفتحها أن تدفع ضريبة سنوية قدرها 12 ألف سلطاني، أي 64800 فرنك.

أنظر: ديفر، المرجع السابق، ص 90.

³ خاص بحملات هذه الحروب نابليون ضد إسبانيا وإنجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا.

⁴ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ص

ليستخدمونهم في جدف سفنهم. إن مثل هذه الأعمال لا تغضب الإنسانية بحسب، بل إنما تعرقل التجارة، إذ أصبح من الصعب اليوم أن يبحر بحار في البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي على سفينة تجارية دون أن يتعرض لاعتداءات القراصنة¹.

وقد دعا "سميث" الدول الأوروبية إلى إنشاء قوة بحرية تضم جميع وحدات الدول المسيحية لمراقبة سواحل البحر المتوسط، ومطاردة القراصنة². وإضافة إلى هذه المذكرة، أسس "سميث" جمعية محاربة القراصنة، ولكي يحافظ على حركته المضادة للقراصنة، وكسب لقضيته ممثلي الدول الأوروبية، أسس جمعية أخرى أطلق عليها اسم "جمعية فرسان محرري الرقيق الأبيض في شمال إفريقيا". وقد شكل هذه الجمعية من فرسان النظام الإمبراطورية والملكية والشخصيات المسيحية البارزة والمشهورة. وكان "سميث" يهدف من وراء عمله هذا، إلى إعادة تشكيل نظام فرسان مالطة في شكل جديد³. وقد عرفت أفكار "سميث" انتشارا واسعا في أوروبا، واعتنقتها بعض الشخصيات الأوروبية باعتبارها "مبادئ إنسانية". إلا أن فرنسا لم تحمس لتلك الأفكار لأنها لم تعد دولة قوية كما كانت في عهد نابليون. فكانت ترى أن تنفيذ مثل تلك الأفكار، سيخدم مصالح إنجلترا أكثر من مصالحها، باعتبارها أقوى دولة آنذاك. ولكن "بوليبياك"، الرجل المخلص والموالي لأسرة البوربون الملكية والموالي لها، والذي سوف يصبح فيما بعد رئيس حكومة شارل العاشر، خالف حكومة بلاده في الرأي، إذ كان يرى في مشروع "سميث" فرصة مناسبة تنسي الشعب الفرنسي أحزان

¹ (F.) CHARLES ROUX: France Afrique du nord avant 1830, les précurseurs de la conquête, pp.496-498.

² IBID. P.498.

³ PLANTET: OP. CIT., P.LXX.

هزيمة عام 1814م، وتعيد له مجده القديم¹. كما أيد الكاتب الفرنسي "شاتوبريون-CHATEAU BRIAND" رأي مواطنه "بوليبياك"، إذ قدم هو الآخر، مذكرة إلى ملك فرنسا في 9 أبريل عام 1816م، استوحى أفكاره من تلك المذكرة التي سلمها "سميث" إلى مؤتمر فيينا². وقد ذهب "شاتوبريون" إلى أبعد من ذلك، حيث قال في مذكرته: "لقد بركت الحملة الصليبية الأولى هنا في فرنسا، لذا يجب أن يرفع علم آخر حملة هنا أيضا"³. وبعد أن تداول المؤتمرون في القضايا المطروحة في مؤتمر فيينا، أصدروا قرارا نهائيا في 9 يونيو عام 1815م، ألحوا فيه على ضرورة وضع حد لمسألة استرقاق المسيحيين في البلدان المغاربية⁴. إلا أن الدول الأوروبية كانت عاجزة على تنفيذ توصيات المؤتمر، نظرا للتطورات الخطيرة التي طرأت على الساحة الأوروبية، إذ هرب نابليون من جزيرة "ألبا-ELBE"، وعاد إلى باريس في 20 مارس عام 1815م. ولكن بعد أن تخلصت منه⁵ القوات الأوروبية المتحالفة، اجتمع ممثلو تلك الدول في باريس، وهناك وصلت إليهم أخبار الحملة التي نفذتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الجزائر⁶. مما شجع الدول الأوروبية على إعادة النظر في قراراتها المتعلقة "بالقرصنة المغاربية". وجاءت أول مبادرة من هولندا التي أرسلت أسطولها الحربي إلى الجزائر في شهر يوليو عام 1815م قصد تجديد معاهدتها مع الجزائر بنفس الشروط

¹ CHARLES ROUX: OP. CIT., P.500.

² IBID. P.509.

³ IBID. P.510.

⁴ LEMARCHAND: OP. CIT., P.22.

⁵ هزم نابليون في معركة واترلو في 18 يونيو 1815م، بعد أن تحالفت ضده الدول الأوروبية، ونفي بعد ذلك إلى جزيرة سانت هيلينا.

⁶ شارل: المصدر السابق، ص 148.

التي نصت عليها المعاهدة القديمة، إلا أن الداي عمر رفض التفاوض مع الهولنديين قبل أن تدفع بلادهم الإتاوات المتأخرة¹. وفي تلك الأونة أيضا، ظهر الأسطول الإنجليزي في ميناء الجزائر عدة مرات². فاضطر الداي عمر أمام تلك التحركات التي تنذر بالخطر، إلى بعث رسالة إلى السلطان محمود الثاني في 15 مايو 1815م. أخبره فيها بتحركات الأساطيل الأوربية في البحر المتوسط، ونوايا الدول الأوربية السيئة تجاه الجزائر، وضرورة تعصيد السلطان للجزائر بالجند والسلاح³.

وقد عقدت الدول الأوربية اجتماعا في لندن يوم 27 أغسطس عام 1816م، بهدف النظر في "قضية القرصنة المغاربية". ولكنها لم تتوصل إلى قرار نهائي، لاختلاف أهدافها ومواقفها حول كيفية قمع "القرصنة المغاربية" إلا أن إنجلترا وهولندا اتفقتا على شن حملة عسكرية ضد الجزائر⁴.

وتعتبر الحملة التي قام بها الأسطول الإنجليزي الهولندي المتحالف ضد الجزائر من أهم العوامل التي أثرت تأثيرا بالغا في الأوضاع العامة في الجزائر. نظرا لما خلفته الحملة من خسائر وأضرار مادية وبشرية معتبرة.

وقد قامت إنجلترا بإعداد مجموعة من التبريرات لحملتها ضد الجزائر. ومن بين تلك التبريرات التي تذرعت بها، أن الجزائريين قد استولوا على سفينة في عنابة تحمل علم إنجلترا، كما أنهم أسروا رعايا سردينيا ونابولي⁵. وفي شهر أبريل عام 1816م، وصل الأسطول الإنجليزي إلى الجزائر بقيادة "اللورد إكسموث" - L. EXMOUTH، قصد اقتداء أسرى

¹ نفسه، ص 149.

² نفسه، ص 149.

³ (A) TEMIMI: « Documents tires inédits sur le bombardement d'Alger 1816 », R. O. M. M. N°5, 1968, P.122.

⁴ LEMARCHAND: OP. CIT., P.26.

⁵ IBID. P.22.

مئكتي سردينيا ونابولي¹. وقد جاء في تقرير مبعوث الداي عمر إلى الباب العالي أنه عندما اقترب "اللورد إكسموث" من ميناء الجزائر، أرسل مبعوثا إلى الباشا ليخبره بأنه يريد اقتداء أسرى يعتبرون من رعايا إنجلترا، لكون سردينيا كانت تحت إدارتها وإذا وافق والي الجزائر على ذلك، فإنه مستعد أن يدفع مقابل كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 أسيرا ألف ريال. وقد وافق الباشا على الاقتراح الذي عرضه عليه "إكسموث". إلا أن القائد الإنجليزي لم يقف عند هذا الحد فقط، بل طلب أيضا من الباشا أن يطلق سراح الأسرى النابوليتانيين البالغ عددهم 1200 أسير، والذين كانوا قد أسروا منذ مدة طويلة. فقد عرض القائد الإنجليزي على الباشا ألف ريال مقابل كل رأس. إلا أن الباشا لم يستجيب لهذا الطلب، حيث رد على القائد بقوله: إن النابوليتان دولة مستقلة ولها ملكها، فإذا جاء الطلب منه بشأن اقتداء أسراء، فإنني مستعد أن أسلم إليكم هؤلاء الأسرى أيضا. وعندئذ، أجابه القائد الإنجليزي: لا داعي أن يطلب ملك النابوليتان منكم تحرير الأسرى ما دمت مستعد أن أدفع لكم ثمن فديتكم. فأجابه الباشا قائلا: "إن إنجلترا دولة تربطها علاقات وطيدة بالدولة العثمانية وأوجاقنا تابع لها أيضا، ونحن كلنا رعايا مولانا وباد شاهنا المعظم، ولذا فإننا مستعدون أن نسلم لكم هؤلاء الأسرى ولكن بعد أن تدفعوا ثمن فديتكم المتفق عليه"². ولما استمع "إكسموث" إلى هذا الرد، شد رحاله إلى تونس وطرابلس، حيث

¹ فالر: المرجع السابق، ص 150.

² م م و، "تقرير الحاج عبد الله مبعوث الداي عمر إلى الباب العالي حول كيفية استقبال عمر باشا للقبطان الإنجليزي اللورد إكسموث عام 1816م، رقم الوثيقة 48979/1231 هـ. أنظر تفاصيل التقرير في الملحق رقم (1) (باللغة العثمانية).

أبرم مع حكاهما معاهدة سلم، وحرر بموجبها أسرى سردينيا وناپولي، دون أن يدفع لهما فدية¹.

وبعد أن صفى "إكسموث" حساباته مع تونس وطرابلس، عاد إلى الجزائر في شهر مايو. كما يذكر "شالو"، انفصل الأمريكي في الجزائر، مصطحبا معه جميع قواته البحرية. وهو إجراء قد اتخذته بدون شك، نتيجة لتعليمات تلقاها، ولم يكن من الممكن معرفة محتوى الاقتراحات التي قدمها إلى الحكومة الجزائرية، ولكن يبدو أنها تضمنت شروطا تتناقض مع الشروط التي وردت في الاتفاق الذي عم منذ شهر 2.

وإن لم يتمكن "شالو" من معرفة التعليمات التي تلقاها "إكسموث"، والاقتراحات الجديدة التي عرضها على الحكومة الجزائرية، فإن التقرير الذي سلمه المبعوث الجزائري إلى الباب العالي قد أجاب عن هذه الحفايا، حيث ورد فيه أنه بعد أن عاد الأسطول الإنجليزي من تونس وطرابلس، توقف في ميناء الجزائر. وعندما التقى "إكسموث" بالباشا، قال له "إكسموث": "لما غادرت الجزائر متوجها إلى تونس وطرابلس أخبرني ملكنا بأنني يمكنني أخذ بقية الأسرى الموجودين بالجزائر، وذلك حسب الاتفاق المبرم بيننا من قبل... ولكن بشرط أن يقوم أوجاق الجزائر بعد تنفيذ هذا الاتفاق ببرد كل الأسرى الذين وقعوا في الأسر أثناء الحرب... ويتم بعد ذلك عقد معاهدة... وعندما استمع الباشا لمطالب "إكسموث"، قال له: "سوف نبحث هديتنا

¹ GARROT: OP. CIT., P. 632.

² شالو: المصدر السابق، ص 152.

التقليدية إلى الدولة العلية وعندئذ يصدر فرمان عال، ونحن نفصل بوجبه". ولما تلقى "إكسموث" هذا الجواب، قال للباشا: "إنني لا يمكنني انتظار كل هذه المدة، وأود أن تنتهي هذه المسألة في أقرب وقت، ويتم ذلك حسب الشروط التي اتفقتا عليها من قبل، وإنني أريد جوابا قاطعا خلال ثلاث ساعات". وقد اعتبر الباشا هذا الرد بمثابة إنذار، لذا جمع أهل البلد وأخبرهم بجواب "إكسموث". وبعد النظر والتشاور في جواب "إكسموث"، اتفقوا على إعلان الحرب على الإنجليزي وصف أسطولهم بالمدافع... ولما رأى القائد الإنجليزي أهالي الجزائر مستعدون لمحاربتهم، رفع العلم الأبيض واعتذر للباشا عن تصرفاته، وقبل في النهاية تسوية مشكلة الأسرى في إطار الأوامر الشاهانية التي سوف تصدر في هذا الشأن بعد ستة أشهر. كما طلب من الباشا أن تسولي السفينة الإنجليزية بهمة حمل هدية الجزائر إلى الدولة العلية¹. وهكذا توصل الطرفان إلى تسوية النزاع بينهما مؤقتا، ووافق الأميرال الإنجليزي منح السداي مهلة للتشاور مع الباشا العالي بشأن المسألة التي بقيت عالقة. كما اعترف السداي من جهته بإمكانية "هافور" الجديدة، وسمح لها بالتمتع بالامتيازات التي نصت عليها المعاهدة الجزائرية الإنجليزية باعتبار تلك المملكة تابعة للإمبراطورية البريطانية. على أن يتلقى الهدايا التقليدية².

¹ م. و. المصدر السابق، رقم الوثيقة 48979/1231 هـ.

² انظر أيضا: شالو: المصدر السابق، ص 154 - 155.

³ شالو: المصدر السابق، ص 153 - 155.

وقد أثار الصلح الذي أبرمه "إكسموث" مع الداي عمر سخط الدول الأوروبية التي اتهمت إنجلترا بأنها لا تعمل إلا من أجل مصالحها ولا تهتم بالأضرار التي قد تلحق بالآخرين في سياستهم مع الجزائر¹. كما أن الحكومة الإنجليزية كانت غير راضية عن النتائج التي حققها قائد أسطولها، لذا قررت تجهيز حملة ثانية ضد الجزائر. وتنفيذا لهذا القرار غادر الأسطول الإنجليزي ميناء "بليموث-PLYMOUTH" بقيادة "إكسموث" يوم 28 يوليو 1816 م، ولما وصل إلى جبل طارق، انضم إليه الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال "فان كابلان-VAN CAPPELLEN"². ومن هناك أبحر الأسطول المتحالف إلى الجزائر. وتجدر الإشارة إلى أن الأميرال الإنجليزي كان قد أرسل الضابط "وارد-WARDE" إلى الجزائر لمعاينة الرصيف وتحصينات مدينة الجزائر قبل أن يغادر الأسطول جبل طارق³. ولما وصل الأسطول المتحالف بالقرب من ميناء الجزائر، وجه "إكسموث" إنذارا إلى الداي. وقد ورد في تقرير الداي عمر الذي سلمه رئيس ميناء الجزائر، القبطان علي، إلى الباب العالي، أنه رغم أننا قد أبرمنا اتفاقا مع الإنجليز والقلايند (الهولنديين)، ونص على انتظار مدة ستة أشهر لإعادة النظر في مسألة الأسرى، فإنهم قدموا إلى الجزائر بأسطول ضخم يتكون من ثلاثين قنطرة وكان ذلك يوم 15 أغسطس عام 1816 م، قبل أن تنتهي المدة التي اتفقت عليها من قبل. وبعد أن رفع الأسطول العلم الأبيض، رمز الصلح والسلام، أرسلوا إلينا زورقا ليسلم لنا رسالة تتضمن شروطهم والتي قضت بأن نسلم لهم جميع الأسرى الموجودين في الجزائر، ونرد على رسالتهم خلال ساعة

¹ نفسه، ص 155.

² (C) ARNAUD: «Attaque des batteries Algériennes par L. EXMOUTH 1816», R. A. N° 19, 1875, P. 195.

³ PLAYFAIR: OP. CIT., P. 462.

واحدة فقط، وفي الوقت الذي اجتمعنا فيه للنظر والتباحث في الشروط المرسلة إلينا قصد إعداد الجواب المناسب، إذ بهم يتقدمون من الميناء دون أن يحترموا الوقت الذي حددوه لنا للرد على رسالتهم. فأدركنا عندئذ أن الغرض من الرسالة والمدة التي حددوها لنا، هو مخادعة الجزائريين لإسعاد نار الفتنة. وهذا ما حدث فعلا إذ لما شرعنا في إعداد الجواب، تقدمت بعض قطع الأسطول من التحصينات، وبدأت تقصف مواقعنا بالقذائف. وهكذا نشبت الحرب بين الطرفين، واستمرت بكل ضراوتها من الساعة الثامنة صباحا إلى منتصف الليل¹. وقد علق "شالر" عن هذه الأحداث، فقال: "تصرف الداي تصرفا يتسم بقلة التصميم والحزم ولا يليق بشخصيته، فإنه لم يسمح في نفس الوقت أيضا للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة، دون أن يحظر في بابه مقاومته"². وقد أضاف الداي عمر في تقريره أنه عند الغروب أراد العدو أن ينسحب من ميدان المعركة، إلا أن ركود الهواء منعه عن ذلك، فلذا استمرت المعركة حتى الصباح. وأثناء الليل، اقترب العدو من الميناء وأحرق ثمان من سفننا الراسية في الميناء. أما نحن، فقد تمكننا من حرق سفينتين، وتخريب قطعتين ذات ثلاثة مخازن وقطعا أخرى من نوع الغليون الكبيرة، وأسفرت المعركة عن قتل وجرح ثلاثمائة شخص من المجاهدين، إلا أن خسائر العدو كانت أكثر بكثير، إذ وصل القتلى والجرحى إلى ثلاثة آلاف شخص، كما فقد ثمانية أو عشرة من قباطته. وفي الصباح جاء إلينا مترجم العدو، فقال: "إننا لم نرد ما حصل بيننا، ولا نحمل وحدنا المسؤولية لأننا كلفنا من قبل جميع الدول المسيحية بتنفيذ

¹ م م م: تقرير الداي عمر إلى السلطان العثماني محمود الثاني عن حملة إنجلترا عام 1816

/ رقم الوثيقة 1231/22486 هـ. (باللغة العثمانية).

² شالر: المصدر السابق، ص 156.

هذه المهمة. فإذا رفضتم الصلح، فإننا سنواصل الحرب. ولما استمعنا إلى بيان المترجم، جمعنا الديوان للنظر في الأمر. وبعد مهلة التشاور، قررنا مواصلة الحرب دفاعاً عن الدين والوطن. إلا أننا عدلنا في النهاية عن هذا القرار، وفضلنا أن نتصالح مع الأعداء، ونرجع لهم الأسرى، لأننا رأينا أنه ليس من الممكن محاربة الدول المسيحية المتحالفة. وبعد أن تمت عملية تسليم الأسرى، الذين بلغ عددهم 1200 أسير، والذين كانوا يشكلون المحور الأساسي في الحروب، أجريت المراسيم، وأبرمنا الصلح معهم. أما الخسائر التي خلفتها الحرب، فإنها لم تصل إلى حد الهلاك والدمار. وقد تركت القذائف ثغوراً في بعض المناطق من أبراج القلعة، إلا أنها لم تهدم تماماً. كما احترقت السفن الراسية في الميناء¹. أما "شالر"، فقد علق عن هذه الأحداث، فذكر أن الجزائريين اعترفوا بعجزهم عن المزيد من المقاومة، في الوقت الذي كان فيه الأسطول المشترك يبدو على استعداد لاستئناف الهجوم، ثم قبلوا الشروط المهينة التي قدمها المنتصرون². بينما ورد في كتاب "وولف" أنه "عندما سكنت المدفعية، سارع الداي عمر بفقد السلام بالشروط الإنجليزية الهولندية، وهو لم يكن يدري أن السفن المتحالفة قد استفدت عملياً جميع ما عندها من بارود وقذائف. وكانت غير قادرة على القيام بهجوم آخر"³.

ومهما كانت أسباب الهزيمة التي منيت بها القوات الجزائرية، فإن شروط المعاهدة التي فرضها المنتصرون على الداي عمر كانت قاسية ومجحفة، إذ نصت على إلغاء الرق نهائياً، وتسليم جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في الجزائر مهما كانت جنسيتهم، وإعادة جميع أموال القدية

¹ م. م. و: المصدر السابق، رقم الوثيقة 1231/22486 هـ.

² شالر، المصدر السابق، ص 156

³ ج. ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبي القاسم سعد الله، م. و. ك. الجزائر 1986.

التي أخذها الداي على الأسرى السردانيين وسيرجيين. ولما استمعنا إلى بيان المترجم، جمعنا الديوان للنظر في الأمر. وبعد مهلة التشاور، قررنا مواصلة الحرب دفاعاً عن الدين والوطن. إلا أننا عدلنا في النهاية عن هذا القرار، وفضلنا أن نتصالح مع الأعداء، ونرجع لهم الأسرى، لأننا رأينا أنه ليس من الممكن محاربة الدول المسيحية المتحالفة. وبعد أن تمت عملية تسليم الأسرى، الذين بلغ عددهم 1200 أسير، والذين كانوا يشكلون المحور الأساسي في الحروب، أجريت المراسيم، وأبرمنا الصلح معهم. أما الخسائر التي خلفتها الحرب، فإنها لم تصل إلى حد الهلاك والدمار. وقد تركت القذائف ثغوراً في بعض المناطق من أبراج القلعة، إلا أنها لم تهدم تماماً. كما احترقت السفن الراسية في الميناء¹. أما "شالر"، فقد علق عن هذه الأحداث، فذكر أن الجزائريين اعترفوا بعجزهم عن المزيد من المقاومة، في الوقت الذي كان فيه الأسطول المشترك يبدو على استعداد لاستئناف الهجوم، ثم قبلوا الشروط المهينة التي قدمها المنتصرون². بينما ورد في كتاب "وولف" أنه "عندما سكنت المدفعية، سارع الداي عمر بفقد السلام بالشروط الإنجليزية الهولندية، وهو لم يكن يدري أن السفن المتحالفة قد استفدت عملياً جميع ما عندها من بارود وقذائف. وكانت غير قادرة على القيام بهجوم آخر"³.

¹ شالر، المصدر السابق، ص 307.

انظر أيضاً: LEMARCHAND: OP. CIT., P. 25.

وكذلك محمد العربي الزبيري: "مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال مجلة الأصلة، العدد 12، الجزائر 1973، ص 124.

² الزمار، المصدر السابق، ص 125.

³ ج. ب. في تقرير الداي عمر أن عدد القتلى والجرحى قد بلغ 300 جزائري و3 آلاف إنجليزي

وهولندي، أما شالر فيذكر أنهم كانوا 600 قتيل وجريح جزائري و138 قتيل و90 جريحاً

إنجليزياً، و13 قتيل و25 جريحاً هولندياً. المصدر السابق، ص 292-312. أما ماك

كارت، فإنه قدر عدد القتلى والجرحى في صفوف الجزائريين بـ 600 قتيل وجريح، و73

قتيل و744 جريحاً هولندياً وإنجليزياً. انظر

SHAW: voyage dans la Régence d'Alger. Trad. De l'Anglais par J. M. CARTY, P. 277.

وقد حصل الجيش الجزائري الداي عمر مسؤولية الأضرار والمصائب التي تعرضت لها البلاد، ولذا فقد تم اغتياله في شهر سبتمبر عام 1817م¹. ويقوم الزهار بتقويم عهد الداي عمر، فيقول: "كانت دولته وأيامه كلها مصائب، الجراد، والقلا، ومصيبة حميدو، ومصيبة الإنجليز² وهكذا وضعت الحملة الإنجليزية الهولندية حدا للانتعاش الذي عرفه "البحرية الجزائرية في طلع القرن التاسع عشر، كما أنها تمكنت من تحرير عدد من الأسرى المسيحيين دون مقابل، مما ضيع على الجزائر أموالا طائلة. كما أخفقت بالجزائر أضرارا مادية وبشرية بالغة. ويتضح مما تقدم أن الحملة الإنجليزية الهولندية قد أسهمت في إنهاء الحكم العثماني في الجزائر.

حملة إنجلترا على الجزائر عام 1824م:

ناقشت أوروبا في عدد من المؤتمرات التي عقدتها في شتّى القارات، على "القرصنة" التي كانت تمارسها البليدان المغاربية، إلا أن الدول الأوروبية لم تتفق على القيام بعمل موحد بسبب اختلاف مصالحها وتضارب أهدافها.

وكان مؤتمر "إيكس لا شابيل - AIX LACHAPPEL" عام 1818م³، هو آخر المؤتمرات التي ناقشت المسألة. وقد تمكن مندوبو الدول الأوروبية في ذلك المؤتمر من توقيع بروتوكول في 20 نوفمبر عام 1818م. جاء فيه "اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتوكول على أن يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن النظر في المقترحات لإلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية (المغاربية) بطريقة فعالة... وقد طلبوا من مندوبي

¹ م م ح: رسالة الداي حسين إلى السلطان محمود الثاني "رقم الوثيقة 1231/22556.
(باللغة العثمانية).

² الزهار، المصدر السابق، ص 127.

³ LEMARCHAND: OP. CIT., P.33.

بليدانيا وفرنسا بوصفهما ممثلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لنفوذهما على أكبر لدى هذه الإيالات، أن يوجها إليها إنذارات جديدة بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يقلق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الإيالات صنفا في أن تفكر عاجلا في نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه... وبخطت البلاطات الخمس بحقتها في تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الإيالات البربرية، نتيجة لاستمرارها في ممارسة القرصنة من حيث أنها ستكون سببا في قيام الدول الأوروبية باتخاذ إجراءات حاسمة¹.

ونفيذا لتوصيات المؤتمر بتكليف كل من فرنسا وإنجلترا بالاتصال بالبلدان المغاربية، أوفدت فرنسا وإنجلترا الأميرالين "جوريان - JURIEN" و"فريمانتل - FREEMANTLE" إلى الجزائر. وقد خصص لهما الداي

حسين ثلثين يوم 5 و9 سبتمبر عام 1819م. استمع خلالهما إلى قرارات مطالب الدول الأوروبية التي أئذرت البلدان المغاربية بضرورة وضع حد لأعمال القرصنة². ولما استمع الداي حسين لتلك المطالب، رفض الامتثال لها، وقال للوفد الأوربي إنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوربيين، وأن دولته حرة في أن تحارب وتسلم من تشاء، وأنه سيواصل تفتيش جميع السفن الأجنبية ليأكد من الصديق والعدو³. ولم يكتف الداي حسين بهذا الرد، بل أمر بتكثيف النشاط البحري، كما أئذر جميع القناصل الأوربيين المعتمدين بالجزائر بأنه في حالة ما إذا رفضوا دفع الإتاوات المقررة عليهم، يعتبرون عداء⁴. وبعد تلك المحاولة الفاشلة، أبحر الوفد الأوربي إلى تونس وطرابلس

¹ عاشر المصدر السابق، ص 323-324.
² نفسه، ص 326.

³ فرييري، المرجع السابق، ص 127.

⁴ GARROT: OP. CIT., P.641.

ليبلغ حكامهما يقرارات "إيكس لا شيبيل". إلا أن باي تونس رفض هو الآخر الامتثال لمطالب الوفد. بينما أعطى باي طرابلس للوفد جواباً مريضاً¹ وهكذا بقي الوضع على حاله حتى عام 1823م. وتأزمت العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية، نتيجة تدخل تلك الدول عن طريق قنصلياتها في شؤون الجزائر الداخلية، خاصة القنصلية الفرنسية في مدينة عنابة التي كانت تستورد الأسلحة وتبيعها للقبائل الجزائرية. وكان رد فعل الحكومة الجزائرية إزاء هذه العملية، هو فرض رقابة صارمة على المبيعات الأجنبية² كما أنها اضطرت إلى تفتيش منزل القنصل الفرنسي في عنابة.³

وقد حدث في تلك الفترة أيضاً، أن تارت قبائل ضواحي مدينة بجاية التي كان بعض أفرادها يشتغلون خدماً في القنصليات الأجنبية بمدينة الجزائر، على السلطة المركزية، مما جعل الداي حسين يوجه مذكرة إلى القناصل المقيمين بمدينة الجزائر، يطالبهم بأن يسلموا له الأشخاص الذين يعملون لديهم، المنتمين إلى القبائل النائرة⁴. إلا أن القناصل رفضوا الامتثال لتلك الأوامر، خاصة القنصل الإنجليزي "ماك دونالد - MAC DONELL" الذي اعتبر ذلك الإجراء تدخلاً في شؤونه الخاصة. وعندئذ اضطرت الحكومة الجزائرية إلى استعمال القوة للقبض على خدام القنصليات، مما أدى إلى توتر العلاقات بين الجزائر وإنجلترا⁵. وبالنسبة لإنجلترا بالذات، فإن "الزهار" يرجع سبب توتر العلاقات بينها والجزائر إلى تورط بعض

¹ LEMARCHAND: OP. CIT., P. 42.

² الزبيري، المرجع السابق، ص 127.

³ ROUSSET: la conquête d'Alger, P. 25.

⁴ شالر، المصدر السابق، ص 193 - 194.

⁵ GRAMMONT: OP. CIT., P. 385.

BERBRUGGER, SIR HARY NEAL: «Guerre de 1824 entre Alger et l'Angleterre» R. A. N° 8, P. 202.

الدايين في القنصلية الإنجليزية في الهجوم على إحدى السفن الأمريكية وبموجبها عندما قذفت بها العواصف إلى سواحل بجاية، ورفض القنصل تسليمهم إلى الداي لمقابلتهم¹. ومن المستبعد أن يكون هذا هو السبب الذي أدى إلى انفجار الأزمة بين الجزائر وإنجلترا. لأن حادثة السفينة الأمريكية التي أشار إليها "الزهار" وقعت في شهر سبتمبر عام 1824م. أي بعد نهاية الحرب الإنجليزية الجزائرية بحوالي شهرين².

ومهما كانت أسباب الخلافات التي نشبت بين الجزائر وإنجلترا، فإن القناصل الأجانب المقيمين في الجزائر اجتمعوا في دار القنصل الأمريكي يوم 2 ديسمبر عام 1823م، وحرروا مذكرة احتجاج ضد أعمال الحكومة الجزائرية التي وقعت في شهر أكتوبر عام 1823م³ وقد رد الداي حسين على هذا الاحتجاج بأن بلاده حرة في تصرفاتها مع رعاياها كما هو الشأن سائر البلدان المتحضرة⁴. وبعد هذا الرد بفترة قصيرة، وصلت البارجة الإنجليزية بقيادة القبطان "سبنسر - SPENCER" إلى الجزائر يناير عام 1824م. تحمل معها تعليمات الحكومة الإنجليزية إلى القنصل "ماك دونالد"، عن أحداث أكتوبر المنصرم، كما اشتملت التعليمات على بنود إضافية للمعاهدة التي أبرمت بين الجزائر وإنجلترا بعد حملة اللورد "إكمسووث" عام 1816م. ولكن الداي رفض التفاوض مع الإنجليز، واعتبر المعاهدة التي أبرمها معهم لمدة ثلاث سنوات قد انتهت أجلها المحدد، كما أنه رفض التوقيع على البنود الإضافية للمعاهدة التي عرضت عليه، لأنها لا تحصل الحتم الحقيقي

¹ الزهار، المصدر السابق، ص 151 - 152.

² شالر، المصدر السابق، ص 247.

³ نفسه، ص 200.

⁴ الزبيري، المرجع السابق، ص 128.

للحكومة الإنجليزية.¹ ولهذا الأسباب، انسحب "ماك دونال" من الجزائر.² ولجأ إلى البارجة الإنجليزية الراسية في الميناء، ليتخذها مقراً له يلبي منه شروطه على الحكومة الجزائرية. وهذا ما تؤكد رسالته التي وجهها من البارجة إلى القنصل "شالر" حيث ذكر فيها: "بأنه سيواصل مفاوضاته بعد الآن من البارجة من أجل التوقيع على البتود التي وجهتها حكومته إلى الداي، دون أن يتنازل عن شيء من مضمونها".³

وقد ورد في الرسالة التي وجهها الداي حسين إلى السلطان العثماني محمود الثاني عن الخلافات التي نشبت بين الجزائر وإنجلترا أنه "رغم الصلح الذي أبرم بين البلدين بعد حرب 1816م، فإن الإنجليز ما زالوا ينظرون إلى القضية نظرة غالب ومغلوب ويعتبرون أنفسهم غالبين والجزائريين مغلوبين وعلى هذا الأساس يتصرفون بما لا يتفق مع الصلح المبرم بين البلدين، حيث يأتون بسفنتهم إلى واجهة الميناء ويظهرون قوتهم أمام الجزائريين للضغط عليهم وتخويفهم. ولما أرسلت سفنتهم بالغرب من المدينة، خرج القنصل الإنجليزي من قصره وذهب إليها. ثم بعد ذلك أرسل شخصاً إلى أمير الأوجاق يعرض عليه شروطاً قاسية. وذكر القنصل أنه لا يرجع إلى قصره إلا إذا وافق الأمير على شروطه. وبعد أن تلقى الأمير تلك التهديدات، عقد اجتماع مع ديوانه للنظر في شروط القنصل الإنجليزي، واتفق المجتمعون على رفض

الشروط المفروضة عليهم".¹ ولما تلقى "ماك دونال" رد الحكومة الجزائرية، انسحب الأسطول الإنجليزي من ميناء الجزائر، وبدأ يضايق السفن الجزائرية في عرض البحر، محاولاً منعها من الدخول إلى ميناء، أو الخروج منه. وقد أدت هذه الاستنزافات إلى اشتباك إحدى المراكب الجزائرية بقيادة الرئيس "دور باصون" مع الأسطول الإنجليزي في بداية شهر يناير عام 1824م. وقد "قام شالر" بالمقاومة الباسلة للجزائريين في ذلك الاشتباك.²

وبعد هذه المناوشة، حاول الإنجليز التصالح والتفاوض مع الداي حسين. ولكنه رفض ذلك. وطلب من الحكومة الإنجليزية أن تستبدل القنصل "ماك دونال" - سبب الخلاف - بشخص آخر، كما تدخل في تلك الفترة أيضاً بعض القناصل المحايدتين لتسوية الخلاف بين إنجلترا والجزائر. إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل.³ وعندما عجزت الحكومة الإنجليزية عن فرض شروطها على الحكومة الجزائرية، أرسلت أسطولاً حربياً بقيادة الأميرال "هاري نيل" - HARRY NEAL الذي وصل إلى مدينة الجزائر في شهر فبراير 1824م، حاملاً معه تعليمات مفادها أن الحكومة الإنجليزية تعتبر نفسها في الوقت الحاضر في حالة حرب مع الجزائر، وأنه لا يعمل أية تعليمات خاصة، ولكنه أمر بغرض حصار شديد على الجزائر حتى يوافق الداي على التوقيع على التصريح الذي عرضه عليه القنصل الإنجليزي.⁴ وقد نقلت مطالب القنصل في امتداد الحصانة الدبلوماسية إلى دار القنصل البريفي،

1 م. د. "ملخص لرسالة الداي حسين إلى السلطان محمود الثاني حول الحرب الجزائرية الإنجليزية عام 1824م" رقم الوثيقة 1242/22550 هـ. (باللغة العثمانية) أنظر تفاصيل

الرسالة في الملحق رقم (2).

2 دار المصدر السابق، ص 206.

3 الزبيري، المرجع السابق، ص 128.

4 شالر، المصدر السابق، ص 215.

1 شالر، المصدر السابق، ص 202.

2 ورد في كتاب "GRAMMONT" أن ماك دونال أوعم في أواخر يناير على مفادرة الجزائر، ص 385.

3 شالر، المصدر السابق، ص 203.

أنظر أيضاً: BERBRUGGER: OP. CIT., P. 203.

وحق رفع العلم الإنجليزي فوق مبنى الدارين، الريفي والحضري، والاعتراف بالقتل الإنجليزي كعمدة للقصاص المسيحيين، وإعطائه جميع الإمتيازات المترتبة على ذلك، وإعفاء الأهالي الذين يخدمون القنصل الإنجليزي من الضرائب. وعدم مراقبة الدبلوماسيين الإنجليز.¹

وقد أدرك الداوي أن الأوضاع زادت تفاقمًا، وأن الحرب على وشك الانفجار، لذا قرر أن يتخذ كل التدابير اللازمة لمواجهة التطورات الخطيرة، فأخبر السلطان العثماني بالأوضاع في الجزائر، وبالأعتداءات الإنجليزية.² وقد ظل الإنجليز يحاصرون السواحل الجزائرية، ويعززون أسطولهم بقطع أخرى يوميًا بعد يوم، ورغم ذلك، فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق أية نتيجة. وبعد أن يشسوا من كثرة الانتظار طلب "الأميرال هاري نيل" مقابلة الداوي حسين، وتمت المقابلة في يوم 28 مارس 1824م. وتوصل الطرفان في نهاية اللقاء إلى الاتفاق على بنود رسالة السلام، إلا أن الداوي أصر على عدم عودة القنصل ماك دونال إلى الجزائر.³ ولما عاد الأميرال إلى بارجته، وجه رسالة إلى الداوي أعرب له عن أسفه حيث أنه لم يستطع عقد الصلح، وأن رفضه لاستقبال القنصل الإنجليزي الأخير، يعتبر اهانة لحكومته.⁴

وقد رد الداوي على رسالة الأميرال برسالة مماثلة قال له فيها: إنه لم يعلن الحرب على إنجلترا، ولا يعتقد أنه توجد أسباب لإعلان الحرب عليها، وأنه يرغب في استتوار السلام الذي يقبله بالشروط التي عرضها عليه.

¹ «Rapport du Consul de France P. Deval sur les négociations de Harry Neal et le Dey d'Alger, le 30 JUILLET 1824», C. C. Alger 1824 Juillet 1829, T.47, AR. M.R.E. France.

انظر أيضا: شالر: ص 327-328، وكذلك الزبيري، المرجع السابق، ص 128-129.

² م م ب: المصدر السابق، رقم الوثيقة 1242/22550.

³ شالر: المرجع السابق، ص 224.

⁴ نفسه.

الأميرال، ولكنه لم يقبل أبدا بعودة السيد "ماك دونال"، وأنه قد أبلغ في الحال خبرا مفاده أن بارجتين بريطانيتين قد قامتتا بقصف ميناء عنابة، وأنهما قد أسرتا سفينة محايدة، وأحدثتا أضرارا كبيرة، وأن عددا من رعاياه قتلوا وجرحوا، وأن هذه التصرفات لا تتعلق مع اللهجة التي استعملها الأميرال مع الداوي بالأمس.¹ وفي هذه الظروف الحرجة، طلب الداوي من السلطان العثماني أن يرسل له جنودا عن طريق تونس وطرابلس لمساعدة الجزائر ضد الإنجليز.²

وقد أجرى الإنجليز خلال مدة الحصار الذي دام ستة أشهر، عدة مفاوضات مع الحكومة الجزائرية، إلا أنها باءت بالفشل بسبب تشبث كل طرف بموقفه. ولما رأى الإنجليز أن لا أمل في إرغام الحكومة الجزائرية على قبول شروطهم، قرروا شن حملة عسكرية ضد الجزائر. فقد ورد في إحدى الرسائل التي وجهها القنصل الفرنسي في الجزائر "دوفال - DEVAL" إلى وزير خارجيته أن الأسطول الإنجليزي تقدم من جديد إلى الجزائر يوم 11 يوليو، وهو يتكون من ست سفن شراعية، منها مركب كبير وثلاث بوارج وجرافتين بينما بقيت عشر سفن أخرى متوسطة الحجم، تبعدا عن الميناء. وفي اليوم التالي اقترعت إحدى السفن من الميناء وقصفت التحصينات، وعندئذ صدرت الأوامر للأسطول الجزائري لمطاردتها وإرغامها على الابتعاد عن الميناء. وفي 13 يوليو، انسحبت السفن الإنجليزية لتلتحق ببقية الأسطول الموجود في عرض البحر.³ وفي يوم 24 يوليو أعاد الإنجليز

¹ نفسه، ص 224.

² م م ب: المصدر السابق، رقم الوثيقة 1242/22550.

³ «Lettre de Deval au Comte de Château Briant, Ministre des affaires étrangères à Paris, Alger le 26 Juillet 1824», C. C. Alger 1824 Juillet 1829, T.47, AR. M.R.E. France.

الكرة، وبلغ أسطولهم هذه المرة 22 قلمة، ولما اقتربوا من الميناء، بدأت المدفعية الجزائرية والأسطول في إطلاق الرصاص والقنابل على الإنجليز.¹ وقد ورد في إحدى تقارير ممثل الدولة العثمانية في مدينة "ليفورنة" الإيطالية، أن الجزائريين لم يتضرروا من الهجوم الإنجليزي لأنهم تمكنوا من إبعاد الأسطول الإنجليزي عن الميناء، إلا أن الإنجليز لم يقفوا عند هذا الحد، بل أعادوا الكرة والهجوم على الجزائر في اليوم التالي، الأمر الذي جعل جميع أهالي مدينة الجزائر يغادرون المدينة، ويصعدون إلى المرتفعات المحيطة بها، ولم يبق في المدينة، إلا الجنود المجاهدون الذين دفعوا عن البلاد دفاع الأبطال، وصمدوا أمام الهجوم الإنجليزي ثلاث ساعات². وقد اضطر الإنجليز، نتيجة المقاومة الشديدة التي أبدتها الجزائريون، إلى الانسحاب من ميدان المعركة.

وأخيرا أرسل الأميرال الإنجليزي مركبا رفع عليه العلم الأبيض ليتفاوض مع الحكومة الجزائرية. وتوصل الطرفان إلى إبرام معاهدة صلح في يوم 26 يوليو، قبل الداي بمقتضاها شروط الإنجليز، بعد أن وافقوا على استبدال القنصل "ماك دونالد"³.

والجدير بالملاحظة، أن الحصار الذي فرضه الإنجليز على السواحل الجزائرية في عام 1824م والذي دام ستة أشهر، كان له تأثير سلبي على

¹ شارل، المصدر السابق، ص 236.

² م م و: "تقرير شهيندر ممثل الدولة العثمانية في مدينة ليفورنة إلى الباب العالي"، رقم الوثيقة 1240/46324 هـ/ (بالقبة العثمانية).

ورد في التقرير أن الداي حسين أرسل 2000 جندي لمساعدة الدولة العثمانية في حرب اليونان، كما وردت معلومات عن تحضيرات الدول الأوروبية لمقعد اجتماع للتباحث في المسألة اليونانية.

³ شارل، المصدر السابق، ص 129.

أنظر أيضا م- م- و، رقم الوثيقة 1240/46324 هـ.

تجارة الجزائرية الخارجية، إذ أضحي من الصعب على السفن الجزائرية والأجنبية الدخول والخروج من ميناء الجزائر. وكان الجزء القليل من السفن التجارية يتم عن طريق البر بين الأقطار المجاورة تونس والمغرب الأقصى.⁴ بعد هذا العرض يمكن استخلاص بعض النتائج التي تتلخص في النقاط

الآتية:

كانت الجزائر ضحية الصراع الذي اشتد بين الدول الأوروبية العظمى، إذ لاحظ أن الحكام الجزائريين قد ركزوا جهودهم لمواجهة الأطماع الأوروبية الاستعمارية، وسخروا لذلك إمكانيات مادية وبشرية، وكان ذلك على حساب التنمية الداخلية. كما أن الأوضاع الخارجية قد أثرت بشكل مباشر في الاستقرار السياسي في الجزائر. فكان اغتيال الداي عمر، نتيجة للهزيمة التي مني بها الجزائريون في حربهم ضد الحملة الإنجليزية الهولندية المتحالفة، تعتبر هزيمة عام 1816م، بداية حقيقية لنهاية الحكم العثماني في الجزائر، إذ فقدت معظم قطع أسطولها الذي كان يمثل الدرع الواقي لأمنها وسلامتها في المهود السابقة. كما أن الدول الأوروبية التي طورت وسائلها الحربية قد عثت العزم على التخلص من خطر البلدان المغاربية، فلهذا زادت من وتيرة غزواتها، وأفصحت عن نواياها الحقيقية إزاء الأقطار المغاربية في مؤتمر فيينا سنة في عام 1815م. فقد استغلت الدول الأوروبية ضعف الدولة العثمانية، والأوضاع الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر، لتشد يد قبضتها على السواحل الجزائرية.

⁴ "تقرير" المرجع السابق، ص 129.

التجارة الجزائرية الخارجية، إذ أضحى من الصعب على السفن الجزائرية والأجنبية الدخول والخروج من ميناء الجزائر. وكان الجزء القليل من المبادلات التجارية يتم عن طريق البر بين الأقطار المجاورة تونس والمغرب الأقصى¹.

بعد هذا العرض يمكن استخلاص بعض النتائج التي تتلخص في النقاط الآتية:

- كانت الجزائر ضحية الصراع الذي اشتد بين الدول الأوروبية العظمى، إذ لاحظنا أن الحكام الجزائريين قد ركزوا جهودهم لمواجهة الأطماع الأوروبية الاستعمارية، وسخروا لذلك إمكانيات مادية وبشرية، وكان ذلك على حساب التنمية الداخلية. كما أن الأوضاع الخارجية قد أثرت بشكل مباشر في الاستقرار السياسي في الجزائر. فكان اغتيال الداي عمر، نتيجة للهزيمة التي مني بها الجزائريون في حريهم ضد الحملة الإنجليزية الهولندية المتحالفة. - تعتبر هزيمة عام 1816م، بداية حقيقية لنهاية الحكم العثماني في الجزائر، إذ فقدت معظم قطع أسطولها الذي كان يمثل الدرع الواقى لأمنها وسلامتها في العهود السابقة. كما أن الدول الأوروبية التي طورت وسائلها الحربية قد عقدت العزم على التخلص من خطر البلدان المغاربية، فلهذا زادت من وتيرة تحرشاتها، وأفصحت عن نواياها الحقيقية إزاء الأقطار المغاربية في مؤتمر فيينا المنعقد في عام 1815م. فقد استغلت الدول الأوروبية ضعف الدولة العثمانية، والأوضاع الحرجة التي كانت تمر بها الجزائر، لتشديد قبضتها على السواحل الجزائرية.

¹ الزهيري: المرجع السابق، ص 129.

الفصل الرابع

- الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، وأصوله التاريخية
1. مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر.
 2. الحصار البحري الفرنسي للجزائر وأثره على الحياة الاقتصادية.
 3. الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م ونتائجها.

الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 م وأصوله التاريخية :

تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال معظم فترات العهد العثماني بالاستقرار النسبي ، وكانت فرنسا أول دولة تحصل على امتيازات تجارية على السواحل الجزائرية ، ابتداء من القرن السادس عشر ، فقد أصبحت تلك الامتيازات هي التي تحدد الإطار العام لعلاقات البلدين ، كما أنها كانت السبب الرئيسي الذي أدى إلى النهاية المؤلمة التي عرفت الجزائر في عام 1830 م .

أما في العقود الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني ، فقد عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية تطورا خطيرا بسبب رغبة فرنسا الجديدة في احتلال الجزائر ، تلك الرغبة التي دفعتها إلى وضع عدة مشاريع لغزوها ، كان آخرها الحملة العسكرية التي قامت بها في عام 1830 م ، والتي قضت على الحكم العثماني فيها .

وقد ترجع أسباب اهتمام فرنسا المتزايد بالجزائر في العهد الأخير من الحكم العثماني ، إلى إدراكها ضعف الجزائر داخليا نتيجة للعوامل الداخلية التي فصلت جوانبها ¹ ، وللعوامل الخارجية التي تمثلت في الغارات المتتالية التي شنتها عليها الدول الأوروبية خلال القرن السابع عشر والثامن عشر من جهة ² ، وإلى اشتداد التنافس بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية حول مناطق النفوذ في سواحل شمال إفريقيا من جهة ثانية . وهذا

¹ أنظر الفصلين الأول والثاني ، لهذه الدراسة .

² أ للمزيد من التفاصيل عن هذه الغارات ، أنظر :

(J.E.) ROY : histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours , P.141 .

(P.) AZAN : l'expédition d'Alger 1830 , P.3 et suite .

(P.) GAFFAREL : l'Algérie , histoire , conquête et colonisation , P.33 et suite .

ما يجعلنا نعتقد أن نهاية الحكم العثماني في الجزائر ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالغزو الفرنسي العسكري الذي حدث في عام 1830م، ويمكن دراسة الغزو الفرنسي الذي أدى إلى القضاء على الحكم العثماني في الجزائر في ثلاثة محاور أساسية.

مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر:

كانت فرنسا تسمى منذ وقت مبكر إلى إنشاء محطات تجارية على سواحل إفريقيا لحماية طرقها التجارية، وفي نفس الوقت القضاء على "القرصنة المغاربية". وقد ورد في الدراسات التاريخية أن المخططات الفرنسية الخاصة باحتلال الجزائر وبقية البلدان المغاربية لم تكن حديثة العهد، وإنما ترجع إلى عهد لويس التاسع "ST. LOUIS" (1226م - 1270م)¹. ولم تتوقف فرنسا منذ ذلك التاريخ عن رسم خططها لغزو الجزائر. وقد زاد اهتمام فرنسا بالجزائر عندما حصلت على امتيازات تجارية على السواحل الجزائرية في القرن السادس عشر. فقامت بإبرام عدة اتفاقيات مع الجزائر للحفاظ عليها. ولكن في بعض الأحيان كانت فرنسا تلجأ إلى استعمال القوة العسكرية. وقد تجلّى ذلك في الحملات العديدة التي شنتها على الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.²

ومن أهم المشاريع الفرنسية التي تم إعدادها لغزو الجزائر، ذلك المشروع الذي أعده القنصل الفرنسي في الجزائر "دوكيرسي"

er, P.118.

² أجرتو، مارسيل،

¹ (A.) BERTHIER: l'Algérie et son passé, P.81.

أنظر أيضا: (F.) CHARLES ROUX: France Afrique du nord avant 1830, P.9.

² « précis des traites entre la France et Alger et des expéditions entreprises contre cette Régence par DESGRANGES, copie 89, PARIS 10 JUIN 1827 », AEBIII322, Traités divers pays d'Europe

DEKERCY" في عام 1791م¹. ورغم أهمية ذلك المشروع، فإن الحكومة الفرنسية لم تتمكن من تنفيذه آنذاك، نظرا لانشغالها بأمورها الداخلية، فضلا عن أن العلاقات الفرنسية الجزائرية في تلك الفترة بالذات، شهدت تحسنا ملحوظا، إذ عمد قادة الثورة الفرنسية إلى توطيد علاقاتهم بحكام الجزائر، كما أرسلت الجزائر إلى فرنسا عدة شحنات من القمح واللحوم والجلود والزيوت، بالإضافة إلى قروض مالية. قمتكنت فرنسا بفضل تلك المساعدات من القضاء على المجاعة التي كانت تهدد سكانها آنذاك². إلا أن ذلك التفاهم الذي ساد علاقات البلدين لم يرض إنجلترا التي تدخلت لدى الداي، وطلبت منه قطع علاقاته مع فرنسا، والتوقف عن تقديم المساعدات إليها. ولكن الداي رفض الاستجابة لطلب إنجلترا، فاستمر في تقديم المساعدات إلى فرنسا، ومقاومة الدسائس الإنجليزية³. ورغم ذلك، فإن العلاقات الجزائرية الفرنسية ما لبثت أن عرفت نوعا من الفتور والتوتر، نتيجة الحملة الفرنسية على مصر في عام 1798م. فقطعت الجزائر علاقتها مع فرنسا بأمر من الباب العالي. ولم تكتف الجزائر بذلك، بل أعلنت الحرب عليها⁴. ولكن سرعان ما تحسنت العلاقات بين البلدين بعد خروج الفرنسيين من مصر. وتوصل الطرفان في 17 ديسمبر عام 1801م إلى عقد

¹ DEKERCY: «mémoire sur Alger 1791», Pub. par G. Esquer, P.118.

² أجرتو، مارسيل: الوطن الجزائري، ترجمة عبد الله نور، ص 24.

³ (E.) CAT: petite histoire de l'Algérie, t.1, P.38.

⁴ أرجموند كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827م - 1848م،

ترجمة عبد الجليل التميمي، ص 19.

(A.) NETTEMENT: histoire de la conquête d'Alger, P.124. أنظر أيضا:

يمكن دراسة الغزو
الجزائري في ثلاثة

تجارية على
القضاء على
الفرنسية
العهد، وإنما
(م) 1. ولم
وقد زاد
السواحل
مع الجزائر
بالقوة
شرا خلال

ذلك،
سي-

(A.)
(I)
2 «

معاهدة، نصت بنودها على ضرورة إعادة العلاقات السياسية والتجارية بين البلدين.¹

وبالرغم من هذا التصالح، فإن نابليون بدأ في إعداد مشروع غزو، تلخصت أهدافه في احتلال دول المغرب العربي، وجعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية، والقضاء على التفوق الإنجليزي، وتحقيق حملة عسكرية جديدة ضد مصر والمشرق.² وقد طلب نابليون لتحقيق هذا المشروع من المواطنين الفرنسيين الذين عاشوا أو كانوا أسرى في الجزائر، تزويده بمعلومات عنها. كما أرسل عدة بعثات إلى الجزائر لاستكشاف أحوال البلاد، ورسم خرائط جغرافية، وجمع الأخبار. واستجابة لطلب نابليون، أعد القنصل الفرنسي السابق في الجزائر "جون بون سان أندري - J. B. ST. ANDRE" في عام 1799م، مشروعا لغزو الجزائر، تحتل فرنسا الجزائر فيه في خلال ثمانية أيام بعد ضربها ضربة قوية وسريعة.³ كذلك قدم "تيدانا - M'THEDENAT"، نائب مفوض العلاقات التجارية مشروعا لنفس الغرض في عام 180م، اقترح فيه على الحكومة الفرنسية إنزال قواتها بضواحي مدينة تنس، لترحف بعد ذلك على مدينة الجزائر عبر سهل ومرتفعات مليانة.⁴

¹ م-م-وا تقرير السيد علي تامل الباب العالي في باريس إلى السلطان سليم الثالث حول المعاهدة التي أبرمت بين فرنسا والجزائر عام 1801م، رقم الوثيقة 1216/5847 هـ (باللغة العثمانية).

² (L.) BERJAUD BOUTIN agent secret de Napoléon 1^{er} précurseur de l'Algérie Française, PP 85-86.

³ (G.) ESQUER: les événements d'un Empire la prise d'Alger, P.31.

⁴ « Mémoire de M'THEDENAT, Frustidor au 10^e, M. et D. Algérie 1790-1827, T. 14, AP. M.R.E. France.

ورغم أهمية تلك المشاريع، فإن نابليون لم يسرع إلى تنفيذها، نظرا لانشغاله بمناطق أخرى، كالهند "وسان دومينق - ST. DOMINGUE". إلا أن هذا لم يمنعه من إرسال بعض قطع أسطوله الحربي في أغسطس عام 1802م إلى الجزائر بقيادة الأميرال ليسيف LES SEQUES، لمحاصرة الجزائر ومطالبة الداي مصطفى بالتعويضات عن السفينتين الفرنسيتين اللتين استولى عليهما الجزائريون، وعن الخسائر التي ألحقوها بتجارة فرنسا¹. وبعد أيام معدودة، التحق بالأسطول الفرنسي القبطان "بيرج - BERGE"، الذي حمل معه رسالة إنذار وتهديد من نابليون إلى الداي مصطفى². فانتهر القبطان "بيرج" فرصة وجوده في الجزائر لجمع معلومات عنها³. ورغم التهديدات والمناورات، فإن فرنسا لم تنل شيئا من الجزائر، بل زاد موقف الجزائر تشددا لما تولى الداي أحمد الحكم (1805م - 1808م)، إذ قرر في عام 1807م تجريد فرنسا نهائيا من ممتلكاتها في الجزائر، ومنحها لإنجلترا. ربما كان هذا العامل سببا كافيا لكي تفكر فرنسا بكل جدية في احتلال الجزائر، وإبعاد خطر إنجلترا، الذي أصبح حقيقة مؤكدة عن سواحل إفريقيا. وبمجرد أن أبرم نابليون معاهدة "تلسيت - TILSIT" للسلام مع روسيا عام 1807م، حتى وجه أنظاره من جديد إلى الأقطار المغاربية⁴، وهذا ما تؤكد الرسالة التي وجهها في 18 أبريل 1808م إلى الأميرال "دوكري - DECRES" وزير البحرية والمستعمرات

¹ BERJAUD: OP. CIT., P.91.

² (E.) PLANTET: correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France, T.2, PP 502-504.

³ ESQUER: OP. CIT., P.32.

أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص 203.

⁴ BERJAUD: OP. CIT., P.95.

مشروع غزو.
المتوسط بحيرة
ية جديدة ضد
من المواطنين
معلومات عنها.
ورسم خرائط
بل الفرنسي
د. في عام
ثمانية أيام
"تيدانا-
عا لنفس
ال قواتها
مبر سهل

الفرنسية، حيث طلب منه بأن يعد خطة مفصلة ودقيقة لغزو الجزائر وتنفيذ الأوامر نابليون، جمع "دوكري" كل التقارير والدراسات والمذكرات التي أعدها القناصل وبعض المواطنين الفرنسيين حول البلدان المغاربية. وبعد أن أنهى "دوكري" هذه الترتيبات، لم يبق له إلا اختيار ضابط مؤهل لإرساله إلى الجزائر. قصد دراسة الأرضية، وإعداد مشروع محكم للغزو. وقد وقع اختياره على المهندس العسكري "بوتان - BOUTIN"، فغادر هذا الأخير ميناء طولون يوم 9 مايو عام 1808م في سرية تامة، وعندما وصل إلى الجزائر، اتصل بقنصل بلاده "تافيل" الذي ساعده على إنجاز مهمته². ولم يغادر "بوتان" مدينة الجزائر، إلا في 17 يوليو. وخلال المدة التي مكثها بالجزائر، جاب البلاد من رأس ماتيغو شرقا إلى سيدي فرج غربا. ولم يكتف "بوتان" بدراسة السواحل الجزائرية فحسب، بل تسلل إلى ضواحي مدينة الجزائر وجمع معلومات مهمة عن البلاد، كما وضع خرائط ورسومات لسواحلها، موضحا فيها التحصينات وعدد القوات الفرنسية الضرورية لاحتلالها، ومكان إنزالها، والفترة المناسبة للغزو³. وكان نابليون قد أوفد في الفترة التي سافر فيها "بوتان" إلى الجزائر، القبطان "بورل - BUREL" في مهمة دبلوماسية إلى سلطان المغرب الأقصى، وكلفه في نفس الوقت برسم الطريق المؤدي من طنجة إلى فاس⁴. ربما كان هدف نابليون من وراء ذلك، هو احتلال المغرب الأقصى عندما يتخلص من الجزائر؟

¹ IBID. P.96.

² IBID. P.96.

³ (Y.) BOUTIN: reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger, pub. Par G. ESQUER, P.89.

أنظر أيضا: « Mémorial de BOUTIN 1808 », M. et D. Algérie 1790-1827, T.14, AR. M.R.E. France.

⁴ ESQUER: les commencements d'un Empire, P.37.

وعلى أي حال، فإن نابليون لم يتمكن من تنفيذ مشاريعه وتحقيق
 أطماعه الرامية إلى احتلال البلدان المغاربية، نظرا لانشغاله بالحروب
 الأوروبية. كما أن العلاقات الجزائرية الفرنسية كانت قد رجعت إلى مجراها
 الطبيعي. نتيجة الحملة الإنجليزية ضد الجزائر في عام 1816م. وقد كان هذا
 الحادث في صالح فرنسا حيث عرفت كيف تسترجع امتيازاتها التجارية في
 السواحل الجزائرية عام 1817م¹. ولكن هذا التقارب الذي حدث بين
 فرنسا والجزائر لم يدم مدة طويلة، إذ طرحت من جديد "قضية الديون" التي
 كانت سببا في الخلاف الذي نشب بين الداي حسين والقنصل الفرنسي
 "دوفال-DEVAL"، والذي انتهى كما هو معروف بضربة المروحة في 27
 أبريل عام 1827م². وقد علق على حادثة المروحة الطبيب الألماني
 "سيمون بفايفر - SIMON PFEIFFER" الذي مكث بالجزائر السنوات
 الخمس الأخيرة من العهد العثماني (1825م - 1830م)، فذكر "إن
 القنصل الفرنسي انصرف إلى منزله حيث اجتمع ببقية القناصل الأوروبيين،
 وكلف قنصل سردينيا بالقيام بالأعمال الفرنسية في الجزائر. وفي اليوم
 نفسه ظهرت في ميناء الجزائر سفينة شراعية فرنسية، يبدو أنه كان على
 موعد معها، فأخذته وأتباعه، ونقلتهم إلى فرنسا"³. ويوضح ما ذكره

¹ (H.) GARROT: histoire générale de l'Algérie, P.621.

² اختلفت المصادر في تحديد تاريخ حادثة المروحة، فهناك من يرجعها إلى 27 أو 30 أبريل
 عام 1827 م وهناك من يرجعها إلى 31 مارس عام 1828 م. إلا أن المصادر الفرنسية
 أجمعت على أن الحادثة وقعت في 27 أبريل 1827 م. أنظر: حمدان بن عثمان خوجة،
 المرأة، ص 180. وكذلك بفايفر سيمون: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب أبو
 العيد دودو، ص 34.

HADJ AHMED EFENDI: « La prise d'Alger raconté par un Algérien », Trad
 Ottocar de Shlechta, in J.A.5é, semestre, N°29, 1862, P.322.

³ بفايفر، سيمون: المصدر السابق، ص 33 - 34.

مزو الجزائر 1
 ات والمذكرات
 لمغاربية. وبعد
 مؤهل لإرساله
 و. وقد وقع
 هذا الأخير
 وصل إلى
 منه 2. ولم
 تي مكثها
 لم يكتف
 ي مدينة
 سومات
 سرورية
 أوفد
 "BU
 لوقت
 وراء

1
 2
 3

«

الطبيب الألماني أن ثمة ترتيب وتخطيط بين حادثة المروحة ومغادرة قنصل فرنسا ورعاياها للجزائر. والجدير بالذكر أن القنصل الفرنسي "دوفال"، كان من المتحمسين لاحتلال الجزائر، إذ أكد لحكومته في عدة مناسبات سهولة إنزال الجنود إلى السواحل الإفريقية، واحتلال الجزائر¹. وقد قيل عن "دوفال" الذي تسبب في الأزمة بين الجزائر وفرنسا، إنه شخصية مريبة، وتورط في عدة قضايا غير مشرقة²، كما أن الداي حسين اتهمه بالتعاون مع التجار اليهود ضده³.

وبعد أن عاد "دوفال" إلى بلاده بفترة قصيرة، انقطعت العلاقات بين الجزائر وفرنسا. وتبدأ بذلك صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين، يطلق عليها مرحلة الحصار البحري الفرنسي للجزائر. إلا أنه يبقى في سلسلة المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر. وقبل الشروع في علاج مرحلة الحصار، يبقى مشروع واحد، هو المعروف تاريخياً باسم "مشروع محمد علي".

ظهرت فكرة الاستعانة بمحمد علي، حاكم مصر، لسيطرة فرنسا على الجزائر، بل احتلالها إن أمكن مع طرابلس وتونس، عندما اقترح القنصل الفرنسي في مصر "دروفتي-DROVETTI" على حكومته في عام 1826م، أنه بإمكان محمد علي القيام بالحملة بدلا من فرنسا، بينما تقتصر مهمة فرنسا على مساعدته ماليا ودبلوماسيا. وكان دروفتي يعتقد أن هذه الوسيلة ناجعة لتحويل أنظار محمد علي عن سوريا، وربطه بعلاقات معقدة مع البلدان المغاربية⁴. وقد رفض محمد علي في بداية الأمر المشروع المقترح

¹ CHARLES ROUX: OP. CIT., P.523.

² JULIEN: histoire de l'Algérie contemporaine la conquête ... ; P.24.

³ بقايفر: المصدر السابق، ص 36.

⁴ (G.) GUEMARD: Les réformes en Egypte d'Ali BEY EL Kabir à Méhemed Ali 1760-1840, P.116.

عليه، لأن اهتماماته كانت منصوبة نحو سوريا، ولكنه في النهاية، اقتنع بالفكرة، بعد أن شرح له "دروفتي" الفوائد التي يمكن جنيها من تنفيذ المشروع. أما الحكومة الفرنسية فلم تأخذ هذه الفكرة بجديّة حينما عرضها عليها دروفتي، فأبدت خوفها مما سوف يحدث مستقبلاً.¹

ورغم فشل "دروفتي" في إقناع حكومته، فإن ذلك لم يمنعه من مواصلة جهوده، لعرض فكرته عليها من جديد في عام 1829م في شكل مشروع مفصل، بين فيه طريقة التخلص من الأقطار المغاربية بترك مهمة غزو الأقطار المغاربية لمحمد علي، الذي كان يتمتع بكل الإمكانيات المادية والبشرية التي تؤهله للقيام بمثل هذه المهمة². ورحب "بولينياك" رئيس وزراء فرنسا بتلك الاقتراحات لتطابقها مع المشروع الذي كان قد أعده هو الآخر عام 1814م، والذي كان يهدف إلى ربط مسألة البلدان المغاربية بمسألة مصر. وكان يرى في ذلك وسيلة لنشر تأثير فرنسا المادي والمعنوي في الضفة الجنوبية للبحر المتوسط³. فلذا وجه "بولينياك" مذكرة إلى المجلس الملكي الفرنسي في شهر سبتمبر عام 1829م، شرح له فيها فوائد المشروع المشترك بين فرنسا ومحمد علي⁴. ثم كتب "بولينياك" إلى قنصله في مصر السيد "ميمو - MIMAUT"، طالبا منه مواصلة المفاوضات التي كان "دروفتي" قد بدأها مع محمد علي، وبحث سبل تنفيذ المشروع، وتحديد شروط كل طرف. كما

¹ IBID. P. 116.

² (G.) DOUIN: Mohamed Aly et l'expédition d'Alger, P. 1-4.

يحتوي كتاب "دوين" على كل المراسلات والوثائق المتعلقة بمشروع غزو البلدان المغربية التي كانت الحكومة الفرنسية تتبادلها مع مبعوثها في مصر ومحمد علي وسفيرها جيومينو في استانبول.

³ IBID. IX.

⁴ DOUIN: OP. CIT., P. 7-9.

أوفد "بولينيكا" الضابط "هودر - HUDER" إلى مصر لمساعدة "ميمو" في مهمته. وقد اختير هذا الأخير لإتقانه اللغة التركية، بالإضافة إلى علاقته الطيبة مع محمد علي، إذ سبق له أن تعرف عليه في عام 1827م.¹

وفي الوقت الذي فتحت فيه الحكومة الفرنسية باب المفاوضات مع محمد علي، وجه "بولينيكا" رسالة في 10 أكتوبر عام 1829م إلى سفيره في إستانبول "جيومينو - GUILLOMINOT"، أخبره فيها بتفاصيل المشروع والفوائد المنتظرة منه، كما كلفه بأن يحاول الحصول على فرمان من السلطان العثماني، يوافق فيه على حملة محمد علي، وذلك بعد إقناعه بفوائد المشروع التي ستجنيها الدولة العثمانية². إلا أن الباب العالي رفض الاقتراحات التي عرضت عليه، وأوضح رئيس الديوان العثماني "بيتروف أفندي" لمرجم "جيومينو" أسباب رفض اقتراحاته، فذكر "إن الباب العالي لا يفكر في الظروف الراهنة في تنفيذ هذه الاقتراحات لأن القوات الروسية قد احتلت أراضيها، وأن التكاليف التي فرضتها معاهدة "أدرنة" عام 1829م³ على الدولة العثمانية، استهلكت كل مواردها، كما أن المشروع يتناقض مع تعاليم الدين الإسلامي، وأن كل ما يمكن القيام به، هو إرسال مبعوث إلى الجزائر لتسوية الخلاف بين فرنسا والجزائر"⁴. أما "ميمو و هودر" فقد قاما بعرض شروط الحكومة الفرنسية على محمد علي⁵، ولما اطلع محمد علي

¹ IBID. P. 10-11.

² IBID. P. 9-13.

³ وضعت معاهدة أدرنة التي أبرمت يوم 14 أكتوبر عام 1829م حدا للحرب التي نشبت بين روسيا والدولة العثمانية في عام 1828م، وكانت معظم بنودها في صالح روسيا. أنظر محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي ص، 428.

⁴ DOUIN: OP. CIT., P. 53-57.

⁵ IBID. PP. 29-30.

على مضمونها، قام من جانبه بتقديم مجموعة من الشروط، تلخصت في تعهده بالقيام بحملة بقيادة ابنه إبراهيم لإخضاع البلدان المغاربية، والقضاء على القرصنة، على أن يتنازل ملك فرنسا لمحمد علي على أربع سفن حربية ذات 80 مدفعا، وأن يقرضه 20 مليوناً من الفرنكات¹، ويلاحظ أن بعض الشروط التي عرضها محمد علي، كالسفن الحربية والقرض المالي، كانت تتناقض مع التعليمات التي أصدرها "بولينيكا" إلى مفوضيه في مصر.

ولما قام "بولينيكا" بعرض تلك الشروط على مجلس الوزراء للبت فيها، اعتبرها بعض الوزراء إهانة لشرف فرنسا. وقد حاول "بولينيكا" بعد ذلك تعديل المشروع، لكن دون جدوى، إذ رفض محمد علي كل التعديلات التي عرضت عليه.²

ويرى أحد الدارسين أن السبب الحقيقي لفشل المشروع كان تدخل إنجلترا في القضية، إذ عارضت المشروع وعقدت العزم على تدمير الأسطول المصري بمجرد خروجه من ميناء الإسكندرية، كما هددت محمد علي بإبعاده عن الحكم إذا وافق على تنفيذ خطة فرنسا. كذلك يعزي فشل المشروع الذي تردد محمد علي في الأخذ به لأسباب أخلاقية ودينية، حيث قال للفرنسيين، بعد فشل المشروع: "ولكنني أضيع ثمرة أعمالي كلها إذا قبلت حلفا كالذي تعرضونه علي. فأفقد شرفي أمام أبناء جلدتي وديني، فيحتقروني، ولا تظنوا أنني أسلك هذا المسلك عن تعصب ديني، فإنني معروف بسموي على كل تعصب، وإنني لم أبلغ ما بلغت إلا بسمعتي بين شعبي وبمشيئة شعبي، فالتعاون معكم معناه القضاء علي، معناه موتي، وإن كنت أخطبكم بهذه اللهجة، فهناك أسباب تبعثني على ذلك، إن الأعرابي في

¹ IBID. PP. 30-31.

² LEMARCHAND: l'Europe et la conquête d'Alger, P.57.

الصحراء يعرف علة جملة أكثر من أكبر طبيب في فرنسا". و الأرجح أن سبب رفض محمد علي للقيام بتنفيذ المشروع المقترح عليه، هي تلك التعديلات الأخيرة التي قدمها "بولينيكا". إذ اقترح عليه أن يستولي على طرابلس وتونس ويترك الجزائر لفرنسا، وثمة أسباب أخرى ساهمت إلى حد كبير في فشل المشروع. فقد تدخلت روسيا والنمسا في القضية، وحاولتا إفشال المشروع مع أنهما كانتا تساندان فرنسا ظاهريا في خطتها.

وبعد فشل المشروع، أدركت الحكومة الفرنسية أن ذلك لم يكن في صالحها، إذ كانت تتوقع أن محمد علي سيقطع علاقاته معها، وبالتالي ستفقد فرنسا حليفا تقليديا في منطقة الشرق الأوسط، ويؤدي ذلك إلى فتح الطريق أمام إنجلترا، مما يمكنها من مد نفوذها إلى مصر. وهذا ما جعل بولينيكا، يوجه رسالة عاجلة إلى محمد علي جاء فيها: "رغم فشل المفاوضات بين البلدين، فإن ملك فرنسا يقدر مشاعر حاكم مصر، كما أن ذلك الفشل لا يؤثر في علاقات البلدين".

وبعد فشل كل سبل المفاوضات، اتخذ مجلس الوزراء الفرنسي في جلسته المنعقدة في 30 يناير عام 1830م، قرارا نص على ضرورة القيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، وحل الأزمة بصفة نهائية. وفي 7 فبراير، وافق الملك الفرنسي شارل العاشر على مشروع الغزو. فأصدر مرسوما ملكيا عين بموجبه قادة الحملة.¹

وقبل التطرق إلى تفاصيل الحملة، نعود إلى معالجة الحصار الذي ضربه الأسطول الفرنسي على السواحل الجزائرية ابتداء من 16 يونيو عام 1827م.

¹(H. DE.) GRAMMONT: histoire de d'Alger sous la domination Turque, P.394.

الحصار البحري الفرنسي للجزائر وأثره على الحياة الاقتصادية،
بعد أن وقع الخلاف بين الداي حسين والقنصل الفرنسي "دوفال" يوم
27 أبريل عام 1827م، عاد هذا الأخير إلى بلاده، واعتبرت الحكومة
الفرنسية ذلك الخلاف فرصة مناسبة لتفرض حصارها على السواحل الجزائرية
ابتداء من 16 يونيو 1827م إلى 18 يونيو 1830م.¹

ومهما كانت الأسباب التي دفعت فرنسا إلى فرض حصارها على
السواحل الجزائرية، فهو في حقيقته ليس سوى حلقة من حلقات المشاريع
الفرنسية للاستيلاء على الجزائر.²

ولقد هاج الرأي العام الفرنسي في أعقاب حادثة المروحة، واعتبرت
الحكومة الفرنسية الحادثة فرصة مواتية لكي تحقق ما كانت تصبو إليه
طويلاً، وهو احتلال الجزائر. ففي 13 يونيو عام 1827م وصل الضابط
الفرنسي "كولي - COLLET" إلى ميناء الجزائر على رأس قطع الأسطول
الحربي حاملاً معه إنذاراً إلى الداي، طلب منه فيه بأن يرسل وفداً من كبار
الموظفين (وكيل الخرج) إلى الأسطول الفرنسي ليقدم اعتذارات الداي إلى
القنصل "دوفال"، ثم ترفع الراية الفرنسية على القلاع الجزائرية وقصر الداي
والميناء، وتطلق بعد ذلك مائة طلقة مدفعية تحية لها، فإذا رفض الداي
الامتثال لتلك الشروط خلال أربع وعشرين ساعة، يبدأ الهجوم الفرنسي على
الجزائر³ ورغم هذه التهديدات، فإن الداي رفض الاستجابة لتلك المطالب، إلا
أنه وجه رسالة إلى القنصل "دوفال" جاء فيها: "لم يرغمكم أحد على مغادرة
الجزائر، وأنه إذا أردتم الاحتفاظ بالشروط القديمة كاملة، فيمكنكم الرجوع

¹ DOUIN: OP. CIT., P. 2.

² CHARLES ROUX: OP. CIT., P. 9.

³ PLANTET: OP. CIT., PP. 563-564.

إلى الجزائر كما خرجتم منها¹ كما استقبل الداي الرعايا الفرنسيين
المقيمين بالجزائر. وأخبرهم بتفاصيل الحادثة. وفي نهاية اللقاء، قال لهم:
"إن أردتم أنتم أيضا مغادرة الجزائر، فإلني لا أمتنعكم من ذلك، فاعلموا
الطريق، وإذا أردتم البقاء معنا، فإلني لا أعارض ذلك أيضا، ها هي الجزائر"²
وقد سبب هذا الرد في انقطاع الحوار بين الطرفين في 16 يونيو عام
1827م. وحينئذ بدأ الحصار الفعلي. للسواحل الجزائرية.³ وظهرت العمارة
البحرية الفرنسية على سواحل الجزائر. وكان هدف فرنسا من ذلك الحصار،
إحداث مجاعة في البلاد، وإثارة مشاعر سكان الجزائر ضد السلطة الحاكمة.
لعل ذلك يؤدي إلى الإطاحة بالداي، وإجباره على قبول شروط فرنسا.⁴ وقد
كان رد الداي إزاء ذلك الحصار، صارما حيث أمر باي قسنطينة، الحاج أحمد
بالاستيلاء على المؤسسات الفرنسية الواقعة في عنابة والقالة.⁵

والجدير بالذكر، أن باي قسنطينة قد وجه رسالة قبل يومين من
الحصار إلى أعيان ومواطني مدينة عنابة حثهم فيها على اليقظة والاستعداد
للدفاع عن مدينتهم ضد الخطر الأوربي. كما طلب منهم احترام الفرنسيين
المقيمين في مدينتهم.⁶ وهذا ما يؤكد حسن نوايا الحكومة الجزائرية في

¹HADJ AHMED EFFENDI, OP. CIT., P.322.

²IBID.

³DOUIN: OP. CIT., P.2.

⁴أنظر أيضا (F.) PONTEIL: L'éveil des nationalités et le mouvement libéral 1815-1848, P.205.

⁵ROY, (J.J.E.): OP. CIT., P.159.

⁶أنظر أيضا (M.) BELHAMISSI: Histoire de la marine Algérienne 1516-1830, P.159.

⁷(C.) FERAUD: «Destruction des établissements Français de la Calle 1827», in R. A. N°45, P.26.

⁸(E.) BIGONET: «Une lettre du Bey de Constantine», in R. A. N°43, 1899, P.175.

معاملاتها مع الأجانب خاصة الفرنسيين، ورغم هذا الموقف الذي اتخذته السلطات الجزائرية إزاء الفرنسيين المقيمين في بلادها، فإن الحكومة الفرنسية لم تتخل عن نواياها الاستعمارية. ففي الوقت الذي ضرب فيه الحصار على السواحل الجزائرية، ظهرت نوايا فرنسية لاستبدال الحصار بالغزو، وقامت العناصر الفرنسية المتطرفة، وعلى رأسها "كليمون دوطونير - C. DE TONNERRE" بإعداد مشروع الغزو، إلا أن الظروف الدولية وحاجة فرنسا إلى قواتها العسكرية لمواجهة ما تسفر عنه ثورة اليونان¹، وإمداد أسطولها في البرازيل، حال ذلك كله بينها وبين تنفيذ نية الغزو². ولهذا الاعتبار، قررت الحكومة الفرنسية في الجلسة التي عقدت يوم 11 أكتوبر عام 1827 م، مواصلة حصار السواحل الجزائرية³، والاعتماد على السفن الجزائرية الموجودة في عرض البحر. وقد تمكن الفرنسيون من سد جميع طرق المواصلات البحرية في وجه الجزائريين. فحدث نقص كبير في الواردات الأوربية، وأخذ الأهالي يتذمرون ويشكون من قلة الكسب⁴.

¹ بدأت ثورة اليونان في عام 1821 م، وانتهت بعد معركة نافارين البحرية عام 1828 م والتي تحالفت فيها إنجلترا وروسيا وفرنسا ضد القوات العثمانية والمصرية والمغاربية، للمزيد من التفاصيل عن دور الجزائر في حرب اليونان أنظر: (A.) DEVOULX: « Recherches sur la coopération de la Régence d'Alger à la guerre de l'indépendance Grecque », in R. A. N° 1, 1856 - 1857.

² (H.) NOGUERES: l'expédition d'Alger 1830, P.13.

³ DOUIN: OP. CIT., P2.

⁴ بفايفر: المصدر السابق، ص 39.

الفرنسيين
قال لهم:
ذلك، هاهو
الجزائر²

يونيو عام
العمارة
الحصار،
الحاكمة،
سا. ⁴ وقد
أحمد

مين من
استعداد
فرنسيين
رية في

¹ HAD

² IBID

³ DOU

(F.) P

⁴ ROY

(M.) I

⁵ (C.)

18

⁶ (E.)

P

وقد حاول الأسطول الجزائري فك الحصار الذي ضرب على موانئ الجزائر، فأمر الداي حسين بتعبئة إحدى عشرة سفينة جزائرية، إلا أنها عندما اشتبكت مع بعض قطع الأسطول الفرنسي ألحقت بها أضرارا بالغة.¹

ولم يكن الحصار الفرنسي مقصورا على ميناء مدينة الجزائر، بل شمل جميع موانئ الجزائرية². ورغم طول مدة الحصار (1827م - 1830م)، فإن الحكومة الفرنسية لم تصل إلى نتيجة. وأدركت في النهاية عقم الحصار وأخطائر المالية الضخمة التي كانت تنفقها، والتي قدرت بسبعة ملايين فرنك سنويا³. كما ألح معارضو الحكومة الفرنسية والتجار على ضرورة رفع الحصار، نظرا للأضرار البالغة التي ألحقت بالتجارة الفرنسية، وهذا ما جعلهم يقترحون على حكومتهم شن حملة عسكرية ضد الجزائر. ولكن الحكومة الفرنسية رفضت هذا الاقتراح لعدم اكتمال استعدادها من جهة، وخوفها من عواقب الحملة من جهة ثانية⁴. ولم يكن في وسع الحكومة الفرنسية في تلك الظروف، إلا القيام بمحاولة دبلوماسية جديدة لحل الأزمة التي وصلت إلى أوجها. فأوفدت في شهر سبتمبر عام 1828م قائد الحصار "لابروطونيير- LA BRETONNIERE"، الذي خلف "كولي" في مهمته، ليعرض مجموعة من الشروط على الداي المتمثلة "في أن يبعث الداي مندوبا إلى فرنسا تكون مهمته التعبير للحكومة الفرنسية بصفة صريحة وقاطعة عن رغبة الجزائر في إقرار السلم من جديد مع فرنسا، وإعطاء تفسيرات مرضية عن مسلك الداي

¹ نفسه، ص 39-41.

² NETTEMENT: OP. CIT., P27.

³ (P.) MONTAGNON: Histoire de la conquête d'Alger 1830-1871, P.27.

⁴ جمال قنان، "عنصر في الأزمة الجزائرية الفرنسية عام 1827م"، في مجلة التاريخ، عدد خاص، الجزائر 1984، ص 14.

إزاء القنصل، وعن نواياه الحقيقية إزاء فرنسا ويمكن لفرنسا بعد تنفيذ تلك الشروط التفاوض مع المندوب الجزائري قصد إبرام معاهدة جديدة¹.

وتنفيذا لأوامر الحكومة الفرنسية، أوفد "لا بروطونيير" إلى الداي الضابط "بيزار - BEZARD" وقنصل سردينيا "داتيلي - D'ATTILI"، الذي كان يتولى مهمة رعاية الشؤون الفرنسية بالجزائر عندما ظهرت الخلافات بين البلدين، ليعرضاً عليه الشروط المذكورة، ولكنه رفض إيفاد مبعوث إلى فرنسا قبل أن يتم توقيع الصالح بين البلدين².

وبعد أن استمع المبعوثان لجواب الداي، أكد له أن "لا بروطونيير" ليست له صلاحيات التفاوض وعقد المعاهدات، بل تقتصر مهمته على إبلاغ التعليمات فقط. وعندئذ تأكد الداي من سوء نية فرنسا. ورفض كل الشروط التي كانت تطالبه بها. وقطع معها كل المباحثات³. وهكذا فشلت كل المحاولات التي قامت بها فرنسا لإيجاد حل للنزاع القائم. وازدادت الأوضاع تفاقماً، وتصاعدت الأزمة بين البلدين بسبب تشبث كل طرف بموقفه.

ورغم فشل المباحثات بين البلدين، فإن القنصل "داتيلي" واصل مساعيه في الجزائر لحل الأزمة. وحاول أن يقنع الداي بقبول شروط فرنسا، موضحاً له الفوائد التي سيجنيها إن وافق على إرسال مبعوثه إلى ملك فرنسا في أقرب الآجال⁴. إلا أن داتيلي، فشل في مهمته لأن الداي رفض أن يرسل

¹ نفسه، ص 14.

² نفسه، ص 14 - 51.

³ نفسه، ص 15.

⁴ « Lettre DE Mr. D' Attili de LA Tour à Mr. DE LA Bretonniere 5 Janvier 1829 », M. et D. Algérie 1829-1830, T.4, AR. M.R.E. France.

مجهولة إلى فرنسا. إلا بعد توقيع الصلح حتى لا ترغم الحكومة الفرنسية على
المبعوث على وضع طاقته على معاهدة هي قد أعدت بنودها وترتيباتها.¹

كذلك اختار إيمان فرنسا بجدوى الحصار، كما يتضح من الرسالة التي
وجهها "لا بروتونيير" إلى وزير البحرية الفرنسية في 24 أبريل عام
1829م حيث ذكر "إنه على يقين من أن الحصار الذي ضرب على موانئ
الجزائر، مهما كان مشدداً، فإنه غير كاف لأن تأثيره سيكون ضعيفاً في
الشعب الجزائري الذي لا يمارس تجارة بحرية، وأن موقع هذا الشعب بين
المملكتين (المغرب وتونس)، يساعد على تلقي كل المواد التي لا يمكن
الحصول عليها عن طريق البحر".² فلماذا اقترح "لا بروتونيير" مضاعفة
القوات الفرنسية التي يمكن أن تفرض الكثير على الداي وتثير مخاوف
رعاياه، لعل ذلك يؤدي في النهاية إلى أزمة داخلية، يترتب عليها مصالحة
مشرقة لفرنسا.³ واستطرد "لا بروتونيير" في رسالته أنه يعتقد أنه من
السهل إيجاد علاقات ودية مع أهالي المناطق الداخلية، وذلك بكسب ثقة
رؤساء القبائل بواسطة الهدايا والمعاملة الحسنة، وإقناعهم بأن الهدف
الأساسي للفرنسيين، هو تحريرهم من اضطهاد الأتراك الذي يعانون منه منذ
زمن بعيد، ومعاهدتهم باحترام ممتلكاتهم ومقدساتهم ونسائهم وكل ما هو
عزيز لديهم، وأن ذلك سوف يساعد الفرنسيين كثيراً إذا ما قامت فرنسا
في يوم من الأيام بحملة عسكرية بحرية وبرية.⁴

¹ فان المرجع السابق، ص 16.

² «Lettre DE LA Bretonniere au ministre de la marine, PARIS 24 AVRIL
1829», M. D. IBID.

³ IBID.

⁴ IBID.

التي كان على متنها الوفد الفرنسي اقتربت من تحصينات مدفعية الميناء، فشرع رجال المدفعية الجزائرية، الذين كانوا في حالة الطوارئ منذ بداية الخلافات مع فرنسا، في إطلاق بعض القذائف على السفينة الفرنسية لإرغامها على الابتعاد من تلك المنطقة المحرمة¹. ولكنها لم تعبأ بذلك الإنذار الذي وجه إليها، فاستمرت في سيرها إلى أن أصبحت تحت خطوط الحماية². ويبدو أن الرياح لم تكن السبب الحقيقي الذي جعل السفينة الفرنسية "LA PROVENCE" تقترب من تحصينات الميناء، كما ادعت الحكومة الفرنسية، بل كان هدف السفينة هو التجسس على مواقع المدافع والتأكد من مدى استعداد الجنود الجزائريين، وقد أثارت هذه الواقعة ضجة عارمة في أوساط الرسميين الفرنسيين، وتأكدوا في نهاية الأمر أنهم غير قادرين على فرض شروطهم على الجزائريين، وأن الحل الوحيد يكمن في إعداد حملة عسكرية³.

وأخيرا لابد من التأكيد على أن الحصار الفرنسي للموانئ الجزائرية كانت له تأثيرات سلبية على الأوضاع الاقتصادية في الجزائر. وكانت لتلك التأثيرات أحداثها الضارة على بنية المجتمع الجزائري بشكل عام، مما ساعد على ضعفه، ومهد السبيل إلى نجاح الحملة العسكرية التي قامت بها فرنسا في عام 1830م.

¹ NOGUERES: OP. CIT., P.19.

² بفايفر: المصدر السابق، ص 57-58.

³ قنان: المرجع السابق، ص 24.

الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830 م وثائقها

أدركت الحكومة الفرنسية عقم الحصار الذي فوضته على سواحل الجزائر، ولهذا عندما تولى "بولينيك" رئاسة الوزارة الفرنسية في 18 أغسطس عام 1829 م، رأى أن الحل الوحيد لإخراج بلاده من الأزمة، هو إعداد حملة عسكرية ضد الجزائر. ومنذ ذلك الحين راحت الحكومة الفرنسية تبحث عن الأسباب التي سوف تستر وراءها لاحتلال الجزائر. ويمكن حصر الأسباب التي تذرعت بها الحكومة الفرنسية للقيام بحملتها في إدعائها أن الداي حسين رفض تقديم مبررات عن أسباب حجزه لإحدى السفن الفرنسية في عنابة، وأنه لم يحترم شروط المعاهدة التي أبرمها مع الحكومة الفرنسية، وأن الحكومة الجزائرية قد قامت بإلغاء الامتيازات الفرنسية في سواحل بلادها. كما أنها أصدرت قرارا في عام 1826 م، منحت بموجب الحرية لكل الدول في صيد المرجان¹. ولكي تبرر الحكومة الفرنسية حملتها أمام الرأي العام الأوروبي، قالت إن الداي رفض إلغاء نظام الرق الذي كان يمارسه على الأسرى الأوروبيين، وقام في عام 1827 م بتخريب المؤسسات الفرنسية في مدينة القالة²، وأخيرا اتخذت الحكومة الفرنسية قضية المروحة التي اعتبرتها إهانة لشرفها، سببا مباشرا لتنفيذ حملتها.

ومن الملاحظ أن الحكومة الفرنسية لم تذكر الأسباب الجوهرية إطلاقا، بل اكتفت فقط بتقديم أسباب واهية، مثل حادثة المروحة لتبرر غزوها للجزائر، مما أثار من دهشة المستشار النمساوي "ميتريخ -

¹ « Le Moniteur Universel, Mardi 20 Avril 1830 », M. et D. Algérie 1825-1830, T.11, AR, M.R.E. France.

أنظر أيضا: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 180 - 181.

² (C.) FERAUD: « Destruction des établissements Français de la Calle 1827 », in R. A. N° 45, 1879, P.26.

METTERNICH الذي علق قائلا: بأنه لا يمكن أن يصرف المروحة مائة مليون وأن يعرض حياة أربعين ألف رجل للخطر بسبب مروحة. ¹

أما عن بقية الأسباب التي تذرعت بها الحكومة الفرنسية، فقد قدمها "إمري-EMERIT" عندما ذكر إنه "لم يكن هدف فرنسا من الحملة القضاء على القرصنة لأن القرصنة توقفت منذ عام 1818م، والدليل على ذلك، أننا لم نجد في سجل غنائم البحرية الجزائرية سوى 12 سفينة إسبانية، وسفيتين بابوية، وأن هاتين الدولتين كانتا في حالة حرب مع الجزائر، كما أن قضية تحرير الأسرى المسيحيين، لم تكن سببا لشن حملة عسكرية ضد الجزائر، لأنه لم يكن يوجد في سجون الجزائر سوى مائة سجين، فهم يعتبرون أسرى حرب" ². وقد أضاف "إمري" أنه بعد حصار طويل، لم تجد فرنسا حدثا جديدا لتبرر به حملتها العسكرية، لذا اتخذت من قضية قصف سفيتها "لا بروفانس" من قبل الجزائريين، سببا لتنفيذ حملتها، إلا أن هذا السبب أيضا، لا يعتبر مبررا لأن القصف كان مجرد خطأ ارتكبه الجنود، وأن الداعي قام بعزل المسؤولين عن هذا الحادث. ³

وقد ورد في إحدى المذكرات التي وجهت إلى مجلس ملك فرنسا شارل العاشر في 1 ديسمبر عام 1826م، أن قرار محاصرة السواحل الجزائرية، ومن حملة عسكرية ضدها، اتخذ قبل حدوث قضية المروحة، التي تسببت في الأزمة بين البلدين في عام 1827م، وهذا دليل قاطع على أن

¹ كوليت وجانسون فرانسيس: الجزائر الثائرة، ترجمة محمد علوي، ص 19.

² (M.) EMERIT: « Une cause de l'expédition d'Alger le trésor de la Casbah », extrait du bulletin de la section d'histoire moderne et contemporaine, P.172.

³ IBID.

HABART: histoire d'un parjure, P.10. أنظر أيضا

المروحة لم تكن في الواقع إلا ذريعة استغللتها فرنسا لغزو الجزائر قصد احتلالها. وقد بين محتوى المذكرة بوضوح الأسباب التي دفعت فرنسا إلى تأجيل حملتها على الجزائر، ومما جاء فيها "أن القيام بهجوم على الجزائر لا يمكن تنفيذه إلا بصعوبات كبيرة، كما أن احتمالات نجاحه ضعيفة. فلهذا لم يبق إذا، إلا محاصرة الميناء، وتدمير أسلحة الجزائريين. كما أنه من المعتقد أن الأسطول الجزائري الوفي لتقاليد الجزائريين، قد دخل الميناء، ولم يستأنف الإبحار إلا في فصل الربيع، ولهذا لا يتوفر أي حظ ملائم للقيام بالحملة حاضرا ضد الأسطول الجزائري. كما أن محاصرة الميناء لا يجدي نفعا، إلا بعد حلول الفصل الملائم".¹

ويمكن تقسيم الأسباب التي دفعت فرنسا إلى غزو الجزائر إلى أسباب اقتصادية وسياسية واستراتيجية ودينية.

1 - الأسباب الاقتصادية: تتضح الأسباب الاقتصادية فيما ورد في التقرير الذي وجهه وزير الحربية الفرنسية "كلير مون دي طونير - C. DE TONNERRE" إلى الملك شارل العاشر في عام 1827م، من أنه توجد مراسي عديدة على السواحل الجزائرية الطويلة التي يعتبر الاستيلاء عليها فائدة كبيرة، كما تحتوي أراضيها على مناجم غنية بالحديد والرصاص ويتوفر فيها الملح والبارود بكمية هائلة، وتوجد في شواطئها ملاحات غنية. وإلى جانب كل هذه الثروات، توجد الكنوز المقدسة في قصر الداوي، وهي تقدر بأكثر من مائة وخمسين مليون فرنك². وقد أثبتت هذه الحقيقة الجنرال "جيرار - GERARD" وزير الحربية، فيما بعد، إذ صرح في إحدى المناسبات "أن الغزو إنما يرجع إلى ضرورات بالغة الأهمية متصلة أوثق

¹ « Note pour le conseil du Roi, Paris le 1 décembre 1826 », M. et D. Algérie 1825-1830, T.11, AR. M.R.E. France.

² EMERIT. OP. CIT., P.173.

بصرف المروحة مائة ربة مروحة. 1

رئيسية، فقد فتدها فرنسا من الحملة م، والدليل على سفينة إسبانية، الجزائر، كما أن عسكرية ضد سجين، فهم لويل، لم تجد قضية قصف، إلا أن هذا الجنود، وأن

لك فرنسا السواحل حة، التي على أن

(M) 2
Casba
conter
3 IBI

الاتصال بحفظ النظام العام في فرنسا وأوروبا وتلك الضرورات، هي فتح أفق
للقائمين من عدد سكانها، ومبادلة منتجات مصانعنا بمنتجات أخرى غريبة
عن أرضنا وعن جو بلادنا¹.

2- الأسباب السياسية، مفادها أن فرنسا كانت تمر في عام 1830م
بأزمة سياسية خطيرة، تمثلت في الصراع الذي نشب بين حكومة شارل
العاشر الملكية والليبراليين، مما اضطر الملك إلى حل مجلس النواب الذي كان
يسيطر عليه الليبراليون، ولكي يرجع الملك الكفة لصالح أنصاره، أمر بإعادة
تنظيم الانتخابات، ومن ثم اعتبر الحملة ضد الجزائر وسيلة فعالة لتحويل
أنظار الشعب الفرنسي من تلك الاضطرابات السياسية الداخلية، كما
اعتبرها وسيلة لكسب بعض الانتصارات لحكومته. كما كان الملك يعتقد أن
القضاء على القرصنة يعد عاملاً مساعداً للفوز في الانتخابات². كذلك كانت
الحكومة الفرنسية تعتقد أن القيام بالحملة يمكن أن يساعد على استرجاع
مكانة أسرة البوربون³، التي فقدتها بمقتضى معاهدة فيينا عام 1815م.
وبالإضافة إلى ذلك، كانت الحكومة الفرنسية تبحث عن ممتلكات جديدة
لتبعد جنودها المتقاعدين، الذين أصبحوا يشكلون خطراً عليها. كما أنها
كانت تسعى إلى تحقيق نصر خارجي ينسي الشعب الفرنسي هزيمة 1815م
من جهة، ويحيي أثار معاهدة فيينا التي أذلت فرنسا من جهة ثانية⁴.

3- الأسباب الإستراتيجية: تعود إلى ذلك الصراع التقليدي بين فرنسا
وإنجلترا حول الاستيلاء على مناطق النفوذ في الحوض الغربي للبحر المتوسط،

¹ كولييت: المرجع السابق، ص 19.

² أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء...، ص 179 - 180.
أنظر أيضاً: AZAN: OP. CIT., P.25.

³ رجعت أسرة البوربون إلى عرش فرنسا بعد مؤتمر فيينا 1815 م.

⁴ HABART: OP. CIT., P.15.

إذ أدركت الدولتان منذ وقت مبكر الأهمية الإستراتيجية التي كان يتمتع بها ساحل شمال إفريقيا. وما زاد اهتمام فرنسا بالمنطقة، استيلاء إنجلترا على مضيق جبل طارق في مطلع القرن الثامن عشر. ولا شك أن نفوذ إنجلترا في تلك المنطقة الحيوية، كان يشكل خطرا دائما على مصالح فرنسا. ولهذا الاعتبار، رأت الحكومة الفرنسية أن الوسيلة الوحيدة لحماية مصالحها في الحوض الغربي للبحر المتوسط، هو جعل الجزائر قاعدة بحرية أمامية تساعد على القضاء على نفوذ إنجلترا.¹

4 - الأسباب الدينية: كانت فرنسا تشعر بأنها حامية الكاثوليكية، وأن تحقيق الانتصار على حساب الجزائر، هو بمثابة انتصار للمسيحية على الإسلام، وهذا ما نفهمه من قول "كلير مون دي بلونير" أيام الحصار، إذ صرح قائلا: "لقد أرادت العناية الإلهية أن تثار حمية جلالكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد أعداء المسيحية ولعله لم يكن من باب الصدفة أن يدعي ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين والإنسانية وإلهاته الشخصية في نفس الوقت. وربما يساعدنا الحظ بهذه المناسبة لنشر المدنية بين السكان الأصليين، وندخلهم في النصرانية".² وهناك أمثلة وأقوال عديدة تبين النزعة الدينية التي دفعت فرنسا إلى القيام بحملتها ضد الجزائر، ومنها الوصف الذي قدمه قائد الحملة الفرنسية "بورمون" عن الاحتلال الذي أقيم في فناء "القصبة" بمناسبة انتصار الجيش الفرنسي على الجزائريين، حيث جاء فيه: "مولاي، لقد فتحت بهذا العمل بداية لازدهار الحضارة التي اندثرت في تلك البلاد".³

¹ ESQUER: OP. CIT., P.30.

² صلاح العقاد: المغرب العربي، دراسات في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة، ص 86.

³ نفسه، ص 86.

كانت كانت الأسباب الحقيقية للحملة الفرنسية ضد الجزائر، وعلى هذا
الأساس، اتفق المؤرخون على أن فرنسا كانت قد هيئت العزم على احتلال
الجزائر، ورسمت الخطط ودهوت المؤامرات واتخذت العدة ثم تصيدت
الأسباب¹.

شروط تنفيذ الحملة:

أما بالنسبة لظروف تنفيذ الحملة، فقد شهدت مدينة طولون
الفرنسية المطلة على البحر المتوسط، خلال فصل الربيع من عام 1830م
حركة غير عادية، نتيجة للقرار الذي اتخذته الحكومة الفرنسية في شهر يناير
من نفس العام، والذي نص على ضرورة تجهيز حملة عسكرية لاحتلال
الجزائر. وبناء على المعلومات والخطط التي أعدتها البعثات الفرنسية، التي
كانت تتوافد على الجزائر، وضعت فرنسا خططها النهائية لغزو الجزائر. وقد
تم تحديد موعد الحملة في أواخر شهر مايو وأوائل يونيو، حيث تعتبر تلك
الفترة من أنسب فترات الملاحة في البحر المتوسط. وشكلت لهذا الغرض
ثلاث لجان وضعت تحت رئاسة "بولينياك"، وكانت تقدم تقاريرها إلى
رئيسها الذي يعرضها بدوره على مجلس الوزراء لمناقشتها. وتوصل الأعضاء
المكلفون بإعداد الحملة، إلى تحديد مكان إنزال الجنود، فاختاروا منطقة
"سيدي فرج" الساحلية الواقعة غرب مدينة الجزائر، والتي تبعد عنها بثلاثين
كيلومترا. كما اقترحوا على حكومتهم أن يكون الزحف على مدينة الجزائر
من الخلف ثم الاستيلاء على قلعة السلطان التي تشرف على المدينة. وكان
المخططون الفرنسيون يرون أن مهاجمة الجزائر من ناحية البحر يعتبر

¹ مسعود مجاهد، أضواء على الاستعمار الفرنسي، ص 17.

مقاومة تحيط بها المخاطر. والملاحظ أن المخططين الفرنسيين اعتمدوا في إعداد خطة الغزو اعتمادا أساسيا على الخطة التي وضعها الضابط "بوتان - BOUTIN"، في عام 1808م¹. وخلال فترة التخطيط، وفرت فرنسا كل الإمكانيات المادية والبشرية والمعنوية الضرورية لنجاح الحملة، ووصل عدد الجنود إلى حوالي أربعين ألف جندي، بينما قدر عدد السفن بـ 675 سفينة، منها 103 سفينة حربية. واجتمعت القوات البرية والبحرية بمعدياتها الضخمة في المنطقة الساحلية الممتدة من طولون إلى مرسيليا². وأعلن شارل العاشر في الخطاب الذي ألقاه يوم 12 مارس عام 1830م، أن الحملة لا تهدف لها سوى رد الاعتبار للشرف الفرنسي الذي لحقته الإهانة. وأصر على أنها حملة على بلاد البرابرة والمسلمين، وأنها في صالح العالم المسيحي. وكان هدف الملك من وراء هذا الخطاب، كسب الرأي العام الفرنسي والأوربي. كما قامت بعض الصحف الفرنسية من جهتها بشن حملة دعائية لرفع معنويات الجيش، وكسب الرأي العام داخليا وخارجيا³.

وفي سياق تلك التحضيرات، كلفت الحكومة الفرنسية مجموعة من العملاء والجواسيس بجمع المعلومات عن الجزائر. وقد غطى نشاطهم كل المنطقة الممتدة بين مصر شرقا والمغرب الأقصى غربا. كما كشفت فرنسا اتصالاتها مع حلفائها والدول الصديقة⁴.

وبعد أن وافق الملك شارل العاشر على مشروع غزو الجزائر، أصدر مرسوما عين بموجبه قادة الحملة، فاختار الأميرال "دوبريه - DUPERRE"

¹ « reconnaissance des villes et forts et batteries d'Alger, mémoire de Y. BOUTIN 1808 », M. et D. Algérie 1790-1827, T.14, AR. M.R.E. France.

² AZAN: OP. CIT., P.55.

³ IBID. P.43.

⁴ سعد الله: أبحاث وآراء...، ص 186.

قائدا عاما للقوات البحرية. والجنرال "بورمون" -BOURMONT- قائدا عاما للقوات البرية.¹ إلا أن المرسوم، آثار ضجة عارمة في أوساط الشعب الفرنسي بسبب اختيار "بورمون" قائدا للحملة، إذ لم ينس الشعب خيانة هذا الأخير الذي فر من صفوف نابليون أثناء وقوع معركة "واترلو" -WATERLOO- عام 1815م ليتحق بلويس الثامن عشر.² ولكن رغم الانتقادات العنيفة التي وجهها الشعب إلى الملك، فإنه أصر على إبقاء "بورمون" في المنصب الذي عينه فيه، وذلك حتى يتيح له الفرصة لمحو خيائته حيث فضله على الأميرال "دوبريه" الذي كانت له مواقف ليبيرالية، ولم يكن يؤمن بتجاح الحملة أو الانتصار على الجزائريين. وقد زود الملك "بورمون" بأوامر سرية تسمح له في حالة الضرورة، بتولي القيادة العليا للقوات البرية والبحرية.³

ولما أنهت فرنسا تحضيراتها، قام ولي العهد بتفتيش القوات البرية والبحرية المرابطة في ميناء طولون قبل توجيهها إلى ميناء الجزائر.⁴ وفي نفس الوقت، طبع الفرنسيون بيانا سريا، وقام العملاء والجواسيس والقناصل بتوزيع عدة نسخ منه في مختلف أرجاء الجزائر وتونس والمغرب الأقصى. وكان الفرنسيون يهدفون من وراء ذلك إلى إضعاف معنويات الشعب الجزائري، ودفعه إلى التخلي عن مساندة حكومة الداي، كما كانوا يهدفون أيضا إلى ضمان حياد تونس والمغرب الأقصى وباي قسنطينة، الحاج

¹ GRAMMONT: OP. CIT., P.394.

² AZAN: OP. CIT., PP.20-21.

³ IBID. PP.51-52.

⁴ سعد الله: أبحاث وآراء...، ص 199.

أنظر أيضا: GAFFAREL: l'Algérie histoire et colonisation P.62.

أحمد، حينما تبدأ الحملة¹. وقد جاء في البيان المذكور "إن الفرنسيين جاؤوا إلى الجزائر لتأديب الداي الذي أساء إلى شرف فرنسا، وليس لاحتلال البلاد. فطلبوا من الأهالي الانضمام إلى الفرنسيين والتعاون معهم ضد الأتراك، وأنهم سيحترمون مقدسات وأملاك الأهالي"². وتجدر الإشارة إلى أن الأسلوب الذي اتبعه الفرنسيون في الجزائر لم يختلف عن ذلك الأسلوب الذي سلكه نابليون عندما قام بحملته على مصر في 1798م، إذ قام بنشر بيان دعا فيه الشعب المصري إلى التعاون والتحالف مع الفرنسيين للقضاء على حكم المماليك المستبد. كما ادعى أن الفرنسيين مسلمون جاؤوا لإنقاذهم ومساعدتهم.³

ومهما كان من أمر، فإن الحملة الفرنسية غادرت ميناء طولون يوم 25 مايو 1830م متجهة إلى الجزائر، "بعد أن انضم إلى صفوفها مجموعة من رجال الثقافة، الذين وضعوا أنفسهم وأقلامهم في خدمة الحملة الفرنسية والغزو الاستعماري"⁴. وعندما اقترب الأسطول الفرنسي من سواحل الجزائر، رفض الأميرال "دوبريه" الرسو بسبب خوفه من الانهزام، إلا أن الجنرال "بورمون" الذي كان يتمتع بالسلطة المطلقة على جميع القوات، أرغمه على الاتجاه إلى منطقة سيدي فرج، وإنزال جنوده هناك. وقد تم إنزال الجنود يوم 14 يونيو عام 1830م. ووصف الحاج أحمد، باي قسنطينة، الظروف التي تم فيها إنزال القوات الفرنسية، فقال: "إن العدو نزل في غرب الجزائر برجاله وفرسانه، ولكن لم يكن أحد يملك الجنود والفرسان الضرورية

¹HABART : OP. CIT. PP.20-21.

²«Proclamation du Gl. Bourmont aux Algériens, 8 JUIN 1830», M et D. Algérie 1825-1830, T.11, AR. M.R.E. France.

أنظر تفاصيل المنشور في الملحق رقم (3).

³ عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار وتراجم والأخبار، ج2 ص 182 - 184.

⁴ سيف الإسلام الزبير: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 1، ص5.

لرده، كما أنه لم يكن ثمة شخص مستعد لمحاربتة، مما سمح للعدو بأن ينزل جنوده ويحفر الخنادق وينصب مدافعه ويحارب المسلمين المتشتتين، الذين لا يملكون البارود والذخيرة. وبدأ العدو يتقدم في المناطق الساحلية التي احتلها بكل سهولة"¹. وقد أضاف أحمد باي قادلا: "إن منطقة سيدي فرج كانت خالية من المدافع والخنادق، وهناك فقط اثنا عشر مدفعا نصبت في الفترة التي أعلن فيها الحرب"².

وبعد أن نزل الفرنسيون إلى اليابس، قاموا بتحصين منطقة سيدي فرج، واتخذوها قاعدة عسكرية خلفية، ومن هناك بدؤوا يتوغلون في المناطق الداخلية، ولكن كانت تلك المهمة صعبة، إذ واجهوا مقاومة عنيفة من قبل الأهالي. فاشتبك الفرقان في عدة معارك، مثل معركة أسطوالي وسيدي خلف، ورغم الشجاعة التي أبدتها الجزائريون في المعركتين، إلا أن الجيش الفرنسي تمكن من شق صفوفهم بفضل أسلحته المتطورة وخطته الحربية المحكمة. وعندئذ اضطر الجزائريون إلى الرجوع إلى قلعة السلطان الواقعة في مرتفعات مدينة الجزائر ليتحصنوا وراء أسوارها³. وقد استغل الفرنسيون تراجع الجزائريين ليقتربوا من مدينة الجزائر، ثم صوبوا مدافعهم في اتجاه قلعة السلطان، العقبة الأخيرة أمامهم⁴.

وقد وصف الزهار كيف تم استيلاء الفرنسيين على القلعة، وكيف مات خلق كثير من كلا الطرفين، وكيف خرج آخرون من القلعة أحياء مثل

¹ (A.) TEMIMI: Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830-1837, PP.42-43.

² IBID.P.43.

³ الزهار: المصدر السابق، ص 172 - 173.

⁴ بفايفر: المصدر السابق، ص 97.

الخزناجي¹. وينسب إلى الخزناجي أنه أمر قبل أن يغادر القلعة بإشعال النار في خزانة البارود، فتسبب في انفجار مهول أثار الخوف والرعب بين السكان.²

وبعد أن تحطمت القلعة، دخل الفرنسيون إليها، ونصبوا فيها مدافعهم. وقد سمح لهم موقعها المرتفع، الإشراف على مدينة الجزائر والقصبة. كما كان الأسطول الفرنسي يقصف في نفس الوقت المدينة من ناحية البحر.³ وعندئذ أدرك الداوي حسين أن وقت الاستسلام قد حان، وما عليه إلا أن يبرم معاهدة سلم مع القائد الفرنسي "بورمون"⁴، ويسلم مفاتيح مدينة الجزائر للمتصرين.

وبعد أن أخذ الداوي رأي أعيان مدينة الجزائر، أرسل وقدا ليتفاوض مع القائد الفرنسي. وتوصل الطرفان في النهاية إلى إبرام معاهدة⁵. وتنفيذا لما نصت عليه المعاهدة، تم فتح أبواب مدينة الجزائر أمام الفرنسيين، وكان ذلك يوم 5 يوليو عام 1830م. وبعد أن تم الاستيلاء على مدينة الجزائر، انسحب سكان الأرياف الذين حاربوا الفرنسيين إلى قرابهم، كما عادت الفرق الإنكشارية إلى ثكناتها في انتظار أوامر الغالب.⁶

وقد قام الداوي حسين بتنفيذ جميع البنود التي وردت في المعاهدة التي أبرمها مع الفرنسيين، بينما لم تلتزم السلطات الفرنسية بها، إذ بمجرد أن تم

¹ الزهار: المصدر السابق، ص 174.

² بفايفر: المصدر السابق، ص 99.

أنظر أيضا: GRAMMONT: OP. CIT., P.406.

³ بفايفر: المصدر السابق، ص 98.

⁴ (E.) LAVISSE: Histoire générale du IVe. s; à nos jours, T. X, P.873.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 204.

⁶ نفسه، ص 205.

مما سمح للمعدو بأن ينزل
لمصين المتشسطين، الذين لا
المناطق الساحلية التي
"إن منطقة سيدي فرج
عشر مدفا نصبت في

تتحصن منطقة سيدي
ا يتوغلون في المناطق
قاومة عنيفة من قبل
لوالى وسيدي خلف،
أن الجيش الفرنسي
الحربية المحكمة.
واقعة في مرتفعات
لفرنسيون تراجع
هم في اتجاه قلعة

لعة، وكيف مات
لعة أحياء، مثل

¹ (A.) TEMIN

PP.42-43.

² IBID.P.43.

التوقيع على المعاهدة. قام الجيش الفرنسي بأعمال وحشية، فنهب كل السلع التي وجدها في الميناء.¹

أما بالنسبة للأسباب التي كانت وراء انهزام الجزائريين، فيمكن حصرها فيما يلي: استخدم الفرنسيون أسلحة متطورة وخططا حربية مدروسة منذ سنوات، بينما اقتصر دور الجزائريين على استعمال الأسلحة القديمة للدفاع عن سواحلهم². ولم تكن المعركة على أي حال متكافئة بين الطرفين، لأنها كانت معركة حضارية وتقنية في المقام الأول، وفي الأمرين كانت لفرنسا اليد العليا. وبالرغم من تشابه ظروف البلدين الداخلية من حيث المعاناة من الاضطرابات السياسية والفوضى، فإن الملك شارل العاشر عرف كيف يمتص غضب الشعب الفرنسي والمعارضة ليحوله إلى الخارج، بينما لم يتمكن الداوي حسين من السيطرة على الأوضاع الداخلية المتفاقمة حيث كان يواجه مؤامرة لاغتياله، وراح ضحيتها عدد كبير من الناس³. وقد حدث ذلك قبل دخول الفرنسيين الجزائر بأسبوعين فقط، ولا يستبعد أن تكون تلك المؤامرة من تدبير الجواسيس الفرنسيين لإضعاف الجبهة الداخلية في الجزائر، وإشاعة الفوضى لتسهيل بذلك مهمتهم. كذلك قام الداوي حسين بعزل ثم قتل الأغا يحيى بعد اتهامه بالتآمر ضده. وكان يحيى يتولى القيادة العامة للجيش منذ اثنا عشرة سنة، مما أكسبه خبرة واسعة في كل ما يتعلق بفنون الحرب، والتنظيم العسكري. كما كان يحظى بالطاعة والاحترام لدى الجنود، ويتمتع بشعبية واسعة⁴. وأوكل الداوي القيادة العامة للجيش إلى

¹ نفسه، ص 233.

² سعد الله: أبحاث وآراء...، ص 187.

³ الزهار: المصدر السابق، ص 169. أنظر أيضا: بغايفر: المصدر السابق، ص 76.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 188.

أنظر أيضا: الزهار: المصدر السابق، ص

أد. النهرام الجزائر، فيسرك
سلطة متطورة، وشطط حربية
توكلت على استعمال الأسلحة
ثمة على أي حال متكافئة من
المقام الأول، وفي الأمرين
رووف البلدين الداخلية من
- فإن الملك شارل العاشر
رصة ليحوله إلى الخارج،
وضاع الداخلية المتفارقة
حدث كبير من الناس³
من فقط، ولا يستعد أن
ضعاف الجبهة الداخلية
ذلك قام الداي حسين
ن يحى يتولى القيادة
سعة في كل ما يتعلق
لأعة والاحترام لدى
العامه للجيش إلى

منهم، إلا أن إبراهيم الذي قبل عنه بحق إنه كم يمكن فكتما متاراً في يوم من
الأيام¹، ولم يكن يعرف الشيء الكثير من التكتيك العسكري²، فهو لم يفعل
شيئاً عندما وصل الجيش الفرنسي إلى سواحل سيدي فرج، رغم أنه كان
يعلم بالتكار الذي تدخل منه الحملة إلى الجزائر، إذ سلمت له من قبل
الخريطة التي رسمها الفرنسيون³، كما أنه أطلع على أخبار الحملة التي
كانت تنصرها الصحف الفرنسية والأوربية. وكان كل ما فعله هو جمع عدد
قليل من سكان متيجة لمحاربة الجيش الفرنسي، وهؤلاء السكان لا يعرفون
شيئاً كما قيل سوى بيع الخليب، أما سكان الأرياف فلم كانوا يتمتعون
بعبارة حربية، والذين جاؤوا إلى الجزائر لمساعدته، فلم يعطيهم الأسلحة
والمؤن الكافية لمحاربة العدو، لذا فضلوا العودة إلى قرابهم⁴، كما أن الأغا
إبراهيم رفض الأخذ بتصيحة الحاج أحمد، باي قسنطينة، الذي اقترح عليه
خطة حربية لمواجهة العدو، ولكن الأغا إبراهيم تشبث بخطته، فكانت إجابته
"إنكم لا تعرفون التكتيك الأوربي"، إنه يتعارض كل المعارضة مع التكتيك
العربي⁵، وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن إبراهيم كان جاهلاً بالتكتيك
معا، كذلك كان من بين أخطاء إبراهيم أنه حشد جميع القوات والعناد في
منطقة الخرائش الواقعة شرقي مدينة الجزائر، والتي تبعد عن منطقة سيدي
فرج بحوالي ثلاثين كيلو متراً⁵، كما أن الأغا إبراهيم لم يأخذ كل
الاحتياطات الضرورية لمواجهة العدو، إذ ترك منطقة سيدي فرج بدون
تحصين، فلم يجد الجيش الفرنسي أمامه عندما نزل إلى البر، سوى المدافع

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، من 188 - 189.

² نفسه، من 189.

³ نفسه، من 190.

⁴ نفسه، من 192.

الاشي عشرة التي كان الأغا يحيى قد نصيها عند بداية الخلافات مع الفرنسيين¹. كذلك كانت الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد الداي حسين من قبل المكتاعبي و الخزناني وراء الهزيمة، فحاول الأول أن يفاوض القائد الفرنسي باسمه حيث عرض عليه بأن يأتيه برأس الداي حسين ثم يوقع معه المعاهدة حسب ما تقتضيه رغباته، أما الثاني، فقد قيل عنه إنه هو الذي أعطى الأوامر لإشعال النار في خزانة البارود التي أدت إلى انفجار قلعة السلطان²، اعتقاداً منه أن حجارة القلعة سوف تسقط كلها فوق الجيش الفرنسي وتقتضي عليه أو على جزء منه على الأقل. ولكن لم يلحق أذى بالجنود الفرنسيين، بينما سقطت على المدينة أحجار كبيرة من القلعة، وألحقت أضراراً فادحة. كما أن الانفجار أثار الخوف والرعب بين السكان، مما أدى إلى انهيار معنوياتهم وانتشار الهلع في صفوفهم³.

ولقد تمخضت عن الحملة الفرنسية على الجزائر نتائج عديدة، من أهمها: ولدت في الجزائر شعوراً قوياً بالمقاومة بمجرد أن أدرك الناس نوايا فرنسا الاستعمارية. وقد تمثلت المقاومة في النشاط السياسي والعسكري، فقام حمدان بن عثمان خوجة بتأسيس أول حزب وطني، عرف بحزب المعارضة أو لجنة المغاربة. وقدم هذا الحزب عرائض إلى السلطات الفرنسية، طالبها فيها بالتخلي عن الجزائر، وتطبيق ما ورد في المعاهدة المبرمة بين البلدين يوم 5 يوليو 1830م. كما أوفد الحزب مبعوثاً إلى باريس لشرح قضية وطنه للحكومة الفرنسية. ولكن رغم كل ما بذله الحزب من نشاط، فإنه لم يعمر مدة طويلة، إذ قامت السلطات الفرنسية في الجزائر بنفي

زعيمه بتهمة التآمر
إيجابية تمثلت في زرع
أما المقاومة
الصفار،² الذين كان
المقاومة التي خاضها
غرب ووسط البلاد
العثمانية السياسية
السياسية، غادر
نابولي، ومنها اتجه
ذكرت المصادر⁶
الإنكشارية على
الجزائر بذلك إلى

¹ سعد الله: الحركة
² سعد الله: محاضرات
³ قاد أحمد باي
فكرت هذه الم
⁴ قاد الأمير
يعتبرها مقاوم
محمد بن الأمير

⁸ م-م-و
22530
أنظر أيضا: بفاي

¹ الزهار: المصدر السابق، ص 163.
² نفسه، ص 174.
³ بفايقر: المصدر السابق، ص 99.

زعمائته بتهمة التآمر على الحكم الفرنسي¹. إلا أن الحزب قد حقق نتيجة إيجابية تمثلت في زرع بذرة النضال والمقاومة في نفوس الجزائريين. أما المقاومة العسكرية، فقد خاض غمارها المزارعون والتجار الصغار² الذين كانوا يقطنون في ضواحي مدينة الجزائر، بالإضافة إلى المقاومة التي خاضها أحمد باي في الشرق الجزائري³، والأمير عبد القادر في غرب ووسط البلاد⁴. كذلك كان من أهم نتائج الحملة القضاء على السلطة العثمانية السياسية (الداي) والعسكرية (الإنكشارية)، فبالنسبة للسلطة السياسية، غادر الداي حسين الجزائر على ظهر سفينة فرنسية متجهة إلى نابولي، ومنها اتجه إلى الإسكندرية⁵. أما بالنسبة للسلطة العسكرية، فقد ذكرت المصادر⁶ إن الفرنسيين قد قاموا بترحيل 2500 من الجنود الإنكشارية على أربع سفن فرنسية، اتجهت بهم إلى آسيا الصغرى. وتوّل الجزائر بذلك إلى فرنسا، ومن ثم يتم القضاء على الحكم العثماني بها.

¹ سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ص 27-32.

² سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر...، ص 85.

³ قاد أحمد باي المقاومة في الشرق الجزائري ضد الفرنسيين من 1830 م إلى 1848 م. فعرفت هذه المقاومة بالمقاومة الرسمية، أي أنها كانت امتدادا لمقاومة الدولة.

⁴ قاد الأمير عبد القادر المقاومة ضد الفرنسيين من عام 1832 م إلى 1847 م وهناك من يعتبرها مقاومة وطنية.

محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، MONTAGNON: OP. CIT., P. 114.⁵

⁶ م-م-و، "تقرير عمر لطفي أفندي محتسب أزمير إلى الباب العالي" رقم الوثيقة 1246/22530م (عثماني).
أنظر أيضا: بفايفر: المصدر السابق، ص 109.

إن ما يمكن استخلاصه بعد هذا العرض، هو أن فرنسا قد شرعت في التخطيط لاحتلال الجزائر منذ فترة متقدمة، وقد يرجع سبب عدم تحقيق أهدافها في الجزائر، إلى قوة الأسطول الجزائري، الذي دافع عن البلاد طوال الحكم العثماني. كما أن انشغال فرنسا بالقضايا الأوروبية قد أخرها عن تنفيذ مشاريعها الاستعمارية في الجزائر.

وبالرغم من كل هذه العراقيل، فإن فرنسا عرفت كيف تحافظ على امتيازاتها في الجزائر. وقد استعملت لتحقيق ذلك، عدة وسائل، مثل إبرام معاهدات مع حكام الجزائر، وشن حملات عسكرية، ودفع الهدايا لكبار الدولة.

تعد الحملة الفرنسية على الجزائر الحلقة الأخيرة من سلسلة المشاريع التي سبق لحكام فرنسا أن أعدوها خلال المراحل التاريخية المختلفة. أم الانتصار الذي حققه الفرنسيون على الجزائريين في عام 1830م، فيمكن إرجاع أسبابه إلى الضعف العام الذي كانت تعاني منه مختلف المؤسسات الجزائرية، التي احتفظت بنظمها التقليدية، فلم تحاول مسايرة الركب الحضاري الأوروبي، الذي كانت انطلاقته في أواخر القرن الخامس عشر.

كما أن تشتت العالم الإسلامي وعدم قيام دوله بعمل جماعي منسق في المجالات الدبلوماسية والتجارية والعسكرية، لمواجهة الدول الأوروبية، قد سهل للدول أوروبية عملية احتلالها. فقد رأينا أن كل دولة إسلامية كانت تتفاوض وتحارب بمفردها مع الدول الأوروبية، مما كان يجعلها في موقع ضعف. وكان بإمكان الدول المغاربية أن توحد سياستها الخارجية، نظرا لما كان يجمعها من نقاط التقارب، إلا أن ذلك لم يحدث. فكانت كل دولة تدافع عن مصالحها دون مراعاة مصالح جيرانها. فكانت النتيجة النهائية، أن كل الدول المغاربية تعرضت للاحتلال الأوروبي.

يتضح في خاتمة هذه الدراسة أن انهيار الحكم العثماني في الجزائر لم يكن بسبب ضعف النشاط البحري أو ما يعرف لدى المؤرخين بالقرصنة فقط، بل كانت ثمة عوامل داخلية وخارجية أسهمت بشكل أكيد في تدهور الأوضاع العامة بالجزائر في العقود الثلاثة الأخيرة من العهد العثماني. كذلك لم يكن انهيار الحكم العثماني فجائيا، بل حدث على مراحل. فضلا على ذلك، فإن الضعف العام الذي أصاب الجزائر في أواخر العهد العثماني، وأدى إلى القضاء على هذا العهد نفسه، لا يفهم إلا في إطار فهم تاريخ العالم الإسلامي كله آنذاك. فقد كان ذلك الضعف انعكاسا للضعف العام الذي أصاب العالم الإسلامي، ولم تحاول الجزائر - مثلها مثل كثير من الدول التي عرفت الحكم العثماني، أن تساير المناخ الحضاري الحديث الذي عاشته أوروبا، فاحتفظت بنظمها التقليدية المختلفة، وكانت النتيجة أنها لما اصطدمت بالقوة الأوروبية انهارت.

ومن أهم النتائج التي نستخلصها من هذه الدراسة، هي أن الجزائر كانت خلال العهد العثماني تتمتع بإمكانات زراعية هائلة، فكان بإمكان هذا القطاع أن يلعب دورا أساسيا في الاقتصاد الجزائري، إلا أن عناية الدولة به كانت محدودة. كما أن الدولة لم تول اهتماما خاصا للتجارة الخارجية التي كان بإمكانها هي الأخرى أن تكون إحدى الدعائم الأساسية للاقتصاد الجزائري، لكن الشيء الذي لاحظناه، هو أن معظم فوائدها كان يستفيد منها الأجانب واليهود. وقد اضطرت الدولة بعد أن قلت مواردها المالية التي كانت تحصل عليها من التجارة والنشاط البحري، إلى فرض ضرائب إضافية على الأهالي. وقد كان لهذه السياسة الضريبية انعكاسات سلبية على الوضع العام في البلاد، مما أدى إلى اندلاع عدة انتفاضات في الأرياف هزت أركان

الدولة في مطلع القرن التاسع عشر. وقد كان بإمكان الدولة أن تتجنب تلك الانتفاضات لو عرفت كيف تحافظ على علاقتها الودية مع زعماء تلك الانتفاضات.

وقد شجع الضعف العام الذي كانت تمر به البلاد الدول الأوروبية على شن عدة حملات عسكرية قصد احتلالها، وكان لها ذلك في عام 1830 م.

قائمة المصادر والمراجع

نبذة عن المصادر

اعتمدت هذه الدراسة على نوعين من المصادر هما :

أولا الوثائق، وهي تشمل :

أ- محفوظات المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر (C. N. E. H.)
ويوجد في هذا المركز مجموعتان من الوثائق ، مجموعة وثائق خاصة
ببيت المال والبايلك في العهد العثماني . ومجموعة وثائق سياسية (مراسلات
وتقارير) . وقد اعتمدت الدراسة أساسا على المجموعة الثانية ، وهي عبارة
عن المراسلات كان يرسلها وكلاء الدولة العثمانية في مختلف الدول الأوربية
إلى الباب العالي ، بالإضافة إلى وثائق سياسية متنوعة . وقد كتبت تلك
الوثائق في الأصل باللغة العثمانية ، فقام المركز بتصنيفها وفهرستها ، كما
ترجم جزءا منها إلى العربية . وما زالت عملية الترجمة مستمرة .

ب- محفوظات المركز الوطني بباريس (A. N. P.)

وتتضمن مجموعة كبيرة من الوثائق وضعت في عدة صناديق تشمل
على تقارير القناصل ووثائق متنوعة وتحتوي على معلومات حول المعاهدات
التي أبرمتها الجزائر مع الدول الأوربية ، والتجارة والملاحة والشركة الملكية
الإفريقية الفرنسية . وقد استفادت الدراسة من عدة صناديق ، وخاصة
الصناديق التي تحمل الأرقام الآتية :

F¹² - F¹² 1858 - AEB^I 38 - AEB^{III} 290 - AEB^{III} 322

1848

ج- محفوظات وزارة العلاقات الخارجية الفرنسية بباريس (AR. M. R.)
(E.)

وهي عبارة عن تقارير ووثائق ومراسلات القناصل والقباط والتجار الذين عملوا في الجزائر أو زاروها خلال العهد العثماني، وتشمل هذه الوثائق على معلومات سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها. وقد صنفت هذه الوثائق حسب السنوات، ووضعت في مجلدات ضخمة تحت عنوان مراسلات القناصل CORRESPONDANCES CONSULAIRES وتقارير ووثائق MEMOIRES ET DOCUMENTS. وقد استفادت الدراسة من المجلدات التي تحمل الأرقام الآتية:

✓ مراسلات القناصل - T. 47/ 43/ 42. C. C.

✓ التقارير والوثائق - T. 14/ 11/ 8/ 6/ 4. M. D.

ثانيا: المؤلفات، وهي مجموعتان:

أ - المجموعة الأولى:

عبارة عن مذكرات ومؤلفات لأشخاص جزائريين وأجانب، عاشوا في الفترة التاريخية التي تتناولها الدراسة، مثل: أحمد الشريف الزهار، وحمدان بن عثمان خوجة، ومحمد بن يوسف الزياني، ووليام شالر، والدكتور شو، ودوبارادي، وسيمون بفايفر وغيرهم.

ب - المجموعة الثانية:

عبارة عن مؤلفات ألفها الأوروبيون، وهي معاصرة لفترة البحث نسيا. إلا أن هذا النوع من المؤلفات رغم كثرتها، فإنها لا تخضع للمنهج التاريخي

الدقيق، إذ اعتمد أصحابه على الأرشيف الأوربي فقط، وأهملوا الأرشيف
العربي والعثماني الذي يعتبر مصدرا مهما لدراسة تاريخ الجزائر في العهد
العثماني.

وأخيرا، اعتمدت الدراسة على بعض الرسائل الجامعية والمقالات
العلمية المتخصصة.

وهذه قائمة تفصيلية لتلك المصادر.

AR. M. R.)

والضباط والتجار
مل هذه الوثائق
ند صنف هذه
نوان مراسلات
تقارير ووثائق
الدراسة من

عاشوا في
وحمدان
ور شوء

سببا،
ريخي

أولا الوثائق

أ- محفوظات المركز الوطني للدراسات التاريخية بالجزائر

- الوثيقة 5831 / 1216 هـ

(نص المعاهدة التي أبرمت بين فرنسا والجزائر عام 1801، نقلها
مبعوث الدولة العثمانية في باريس) عثماني .

- الوثيقة 31210 / 1231 هـ

(رسالة الداى عمر إلى السلطان محمود الثاني حول استعدادات
الدول الأوروبية للهجوم على الجزائر ومحاولة الجزائر تسوية
خلافتها مع تونس) عثماني .

- الوثيقة 31210 / 1231 هـ

(رسالة الداى عمر إلى السلطان محمود الثاني حول الخلافات
التونسية الجزائرية) عثماني .

- الوثيقة 22486 / 1231 هـ

(تقرير الداى عمر إلى السلطان محمود الثاني عن حملة إنجلترا
عام 1816، والأضرار التي لحقت بالجزائر) عثماني .

- الوثيقة 48979 / 1231 هـ

(تقرير الحج عبد الله آغا التشريفات ومبعوث الداى عمر إلى
الباب العالي، حول حملة إنجلترا عام 1816) عثماني .

- الوثيقة 22556 / 1231 هـ

(رسالة الداى حسين إلى السلطان محمود الثاني يخبره فيها بموت
علي باشا داى الجزائر) عثماني .

الوثيقة 34746 / 1231 هـ

(رسالة الداي حسين إلى السلطان محمود الثاني حول السفن
الجزائرية التي شاركت في حرب اليونان) عثماني.

الوثيقة 46324 / 1240 هـ

(تقرير شهيندر ممثل الدولة العثمانية في مدينة ليفورنو حملة
إنجلترا على الجزائر عام 1824 ، وورد في التقرير أن الداي حسين
قد أرسل 2000 جندي إلى اليونان لمساعدة الدولة العثمانية
ومعلومات عن استعداد الدول الأوروبية لعقد اجتماع للتباحث في
المسألة اليونانية) عثماني.

الوثيقة 22550 / 1242 هـ

(ملخص لرسالتى الداي حسين إلى السلطان محمود الثاني حول
حملة إنجلترا على الجزائر عام 1824) عثماني.

الوثيقة 22530 / 1246 هـ

(تقرير عمر لطفي محتسب أزمير عن حالة جنود العزاب الذين
رجعوا إلى تركيا بعد سقوط الجزائر في يد الفرنسيين) عثماني.

مخطوطات المركز الوطني بباريس A. N. P
A. N. P: Archives Nationales (France).
AEB¹ 38: Correspondances Consulaires, « Rapport du Citoyen
Algérien Ibrahim au Ministre de la marine Française, 28 Janvier
1793 ».
AEB¹ 290: Etat des Français et protégés résidant en Barbarie et
Levant 1756-1832 ».

AEB¹ 322: Traité des divers pays d'Europe « précis des traités entre la France et Alger et des expéditions entreprises contre cette Régence », par Desgranges, Copie 89, Paris Le 10 Juin 1827 ».

F¹² 1848: Rapports des Consuls, dossier Alger, « copie du manifeste des marchandises envoyé par D. Thanville chargé d'affaires à Alger à M. Ministre du commerce ».

F¹² 1848: Rapports des Consuls, « note sur l'état de santé en Egypte depuis Novembre 1812 jusqu'au 26 Juillet 1813 » par Drøvetti vice consul de France ».

F¹² 1858: TRAITES divers Pays d'Europe « Mémoire sur la Cie d'Afrique », par Jules Goutier, banquier de Marseille ».

محفوظات وزارة العلاقات الخارجية الفرنسية بباريس (AR. M. R. E.)

MEMOIRES ET DOCUMENTS, ALGERIE 1829-1830, T.4.

« Lettre de Mr D'Attili de La Tour consul G^L de Sardaigne à Alger à M^r La bretonniere C^d chef des forces navales Françaises devant Alger », Alger le 5 Janvier 1829.

- 1- « lettre de M^r Labretonniere au ministre de la marine Française », Paris Le 24 Avril 1829 » ;
- 2- lettre de M^r D'Attili au ministre des affaires. étrangères Français », Alger Le 4 Aout 1829.

M. ET D. ALGERIE 1830, T. 6.

- 1 - « Mémoire sur la situation actuelle de la France avec L'Empire Ottoman et sur le parti le plus avantageux à

retirer de l'occupation d'Alger » , par Foucard, ancien
consul de France en Turquie, Paris Le 7 Novembre 1830
M. ET D. ALGERIE 1825 - 1830, T. 11.

- 1 - « le Moniteur Universel, Mardi 20 AVRIL 1830 ».
- 2 - « Mémoire militaire sur Alger, plan des environs de
cette ville 1825 ».

M. ET D. ALGERIE 1790 - 1827, T. 11.

- 1 - « Fructidor AN 1802.
- 2 « Rapport du 28 Pluviôse AN 3 » , présenté par
Cambaceres, Marc, J. P. Chazal , Merlin, Lacombe, D
Crance.
- 3 « Mémoire du G^L Hulin AN X ».
- 4 « Mémoire de Boutin 1808 ».
- 5 « Mémoire de M. D. Thainville 1809 ». Mémoire de
M'Thedenat sous commissaire des relations
commerciales ».

AEB¹ 322.
la France et
Régence », p
F¹² 1848: R
manifeste d
d'affaires à
F¹² 1848: I
Egypte dep
Drovetti vi
F¹² 1858:
d'Afrique

(AR.

MEMO

« Lettre
Alger à
devant

1-

2-

M. E

1

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمترجمة.

أبو القاسم سعد الله: "محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3،
الجزائر 1982.

أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع الجزائر 1982.

أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900 - 1930،
دار الأدب ج 2 بيروت 1969.

إبراهيم حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين
ونصف قبل الحماية، مطبعة الدار
البيضاء، المغرب 1985.

أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر
1766/1791، وخلاصة مفصلة عن
تاريخ الجزائر في العهد العثماني المكتبة
المصرية بالجزائر 1356 هـ.

أحمد توفيق المدني: حزب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا
1492 - 1792 الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ط 2، الجزائر 1976.

أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق ونشر أحمد
توفيق المدني ش- و- ن- ت،
الجزائر 1830.

إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دولة البحار، المطبعة الأمريكية
ج 2، ج القاهرة 1312 هـ.

أرعموند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي 1827 - 1847 ترجمة عبد الجليل النميمي تونس 1974 .

أبير ديفو : الرايس حميدو ، ترجمة محمد العربي الزبيري ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر 1972 .

أحمد توفيق المدني : محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766/1791 ، وخلاصة مفصلة عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني المكتبة المصرية بالجزائر 1356 هـ .

أحمد مبارك (الحاج) : تاريخ حاضرة قسنطينة ، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، المدرسة العلمية للدراسات العلمية ، الجزائر 1952 .

جمال قنان : معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619 - 1830 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1987 .

جون - ب - الجزائر وأوربا ، ترجمة أبي القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 .

ولف : حمدان بن عثمان المرأة ، تعريب محمد العربي الزبيري ، ش. و. ن. ت. الجزائر 1982 .

خوجة : اكتشاف التقدم الأوربي ، دراسة في المؤلفات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1981 .

خالد زيادة : خوجة : اكتشاف التقدم الأوربي ، دراسة في المؤلفات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1981 .

(بداية الاحتلال) والتوزيع ط 3 .

الشركة الوطنية 19 .

19 - 1930 .

ب خلال قرنين مطبعة الدار

داي الجزائر مفصلة عن ثمانى المكتبة

ثر وإسبانيا كة الوطنية 1976 .

نشر أحمد ن - ت ،

الأمريكية

العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات
المتحدة الأمريكية 1776 - 1816، ترجمة
إسماعيل العربي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر
1984.

سليمان بن محمد قراءة جديدة لسياسة محمد علي التوسعية، 1811
- 1840 دار البلاد، جدة 1980.

السيد رجا ب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب، القاهرة 1970
سيف الإسلام تاريخ الصحافة في الجزائر، ش- و- ن- ت،
5 ج، ج 1 الجزائر 1974.

سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب
أبو العيد دودو، ش- و- ن- ت، الجزائر
1974.

شارل أندري تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب
جوليان: الأقصى) تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة،
الدار التونسية للنشر 2 ج، ج 2، تونس 1983.

صلاح العقاد: المغرب العربي الجزائر، تونس، المغرب الأقصى،
دراسات في تاريخه الحديث ومشاكله المعاصرة،
مكتب الإنجلو المصرية، القاهرة 1962.

صالح فركوس: الحاج أحمد باي 1826 - 1850، ديوان
المطبوعات الجامعية الجزائر 1993.

بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر، تونس، ليبيا 1816-	عبد الجليل التميمي
1871، مركز الدراسات والبحوث، ط 2، زغوان 1985	عبد الرحمان الجبرتي
عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل 3 ج، ج 2 بيروت بلا تاريخ	
دراسات في تاريخ العرب الحديث، المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1980	عمر عبد العزيز عمر
تاريخ المشرق العربي 1516 - 1922، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985	عمر عبد العزيز عمر
الجزائر الفاترة، ترجمة محمد علوي وآخرين، دار الهلال 1958	كوليت وجانسون رئيس
الجزائر بين الماضي والحاضر، تعريب ربيع إسطنبولي وآخرين ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984	لاكوت، نويشي وبرندان
الوطن الجزائر، ترجمة عبد الله نور، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1959	مارسيل أجريتو
تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، ج 3، الجزائر 1964	مبارك بن محمد الهلالي الحلي
تحفة الجزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر شرح وتعليق ممدوح حقي، دار البقعة العربية، ط 2، بيروت 1964	محمد بن الأمير عبد القادر
دليل الحيران وأتيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، ط 1، و - ن - ت، الجزائر 1978	محمد بن يوسف الزهاني

المغرب والولايات
1816، ترجمة
يومية للكتاب الجزائر

التوسعية. 1811

القاهرة 1970

و - ن - ت،

تقديم وتعريب

ت، الجزائر

الجزائر، المغرب

ير بن سلامة،

1983

غرب الأقصى،

له المعاصرة،

18، ديوان

محمد خير فارس	تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي مطبع ألف بيا، الأدب، دمشق 1969.
محمد شبيب غريبال	محمد علي الكبير، دار المعارف الإسكندرية القاهرة 1944.
محمد الصالح العتري	مجاهدات قسنطينة، تحقيق وتقديم رباح بونار، ش- و- ن- ت الجزائر 1974.
محمد العربي الزيري	التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792 - 1830 المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر 1984.
محمد العربي الزيري	مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضوية، ش- و- ن- ت الجزائر 1981.
محمد فريد بك	تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النقاش بيروت 1981.
مسعود مجاهد	أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، دار المعارف مصر بلا تاريخ.
مؤلف مجهول	كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، مكتبة رودوسي قدور بن مواد، الجزائر 1934.
ناصر الدين سعيدولي	النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 - 1830 ش- و- ن- ت الجزائر 1979.
وليام سبنسر	الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، ش- و- ن- ت، الجزائر 1980.
وليام شالر	مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، ش- و- ن- ت، الجزائر 1982.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية.

- ARAMBURU: Oran et l'ouest Algérien au 18^{ème},
présentation et trad. Mohamed El Korso,
Mikel DE Epalaza, bib nat. Alger 1978.
- AYON, (R): Les Juifs d'Algérie, deux mille ans
d'histoire Judaïque, J. C. Lattes, Paris
1982.
- AZAN, (P.): L'Expédition d'Alger 1830, lib. Plan, Paris
1929.
- BARBIER ET PRIVOST: Sur la conquête de l'Algérie, Le Cerf,
Rouan 1930.
- BELHAMISSI, (M.): Histoire de la marine Algérienne, E.N.A.L.,
Alger 1982.
- BELHAMISSI, (M.): Les Captifs Algériens et l'Europe
Chrétienne, E. N. L. Alger 1988.
- BERERUGGER, (A.): Mémoire sur la peste en Algérie, in
exploration scientifique en Algérie, T. II,
imp. Royale, Paris 1847.
- BERJAUD, (L.): Boutin agent secret de Napoléon 1^{er} et
précurseur de l'Algérie Française, éd.
Frédéric Chambland, PARIS 1950.

إلى الاحتلال الفرنسي مطابع

ية القاهرة 1944

بونار، ش- و- ن- ت

ما بين 1792 - 1830

19

سرية، ش- و- ن- ت

الجزائر 1981

قي، دار النفائس بيروت

أرف مصر بلا تاريخ

تعلق نور الدين عبد

193

1830 ش- و-

قادر زبادية، ش-

1، تعريب وتعلق

1982

- BERTHIER, (A.):** L'Algérie et son passé, ed. A. et J. Picard, Paris 1951.
- BOUTIN, (Y.):** Reconnaissance de villes, forts et batteries d'Alger, pub. Par Gabriel Esquer, lib. Ancienne honoré Champion, Paris 1927.
- BOUABBA, (Y.):** Les Turcs au Maghreb central du 16th du 19th S.N.E.D Alger 1972.
- BOYER, (P.):** La Vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française, Hachette, Paris 1962.
- BOYER, (P.):** L'évolution de l'Algérie médiane, ancien département d'Alger ; maison neuve, Paris 1960.
- CARETTE, (M. E.):** Du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états Barbaresques, imp. Du Roi, Paris 1844
- CAT, (E.):** Petite histoire de l'Algérie, 2T. T.1, A. Jourdan, Alger 1889.
- CHARLES ROUX, (F.):** France Afrique du nord avant 1830, les précurseurs de la conquête; Felix Alcan, Paris 1932.

CHARIF, (M. F.):

Pouvoir et société dans la Tunisie de
Hussy'n Bin Ali 1705 -1740 ; T.1 , pub. de
l'Université de Tunis 1984.

CHEVALIER, (C.):

Les trente premières années de l'état
d'Alger 1510-1541, O.P.U. , Alger 1986.

DAN, (P.):

Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, lib.
Ordin du Roy au palais, 2^e éd. Paris 1645.

DECOSSE BRISAC ,
(PIL):

Les rapports de la France et du Maroc
pendant la conquête d'Alger 1830- 1837, La
Rose, Paris 1931.

DESPOIS, (J.):

l'Afrique du nord, T. 1., P. U. F., Paris
1964.

DEKERCY, (J. B.):

Mémoire sur Alger 1791 , pub. par G.
Esquer, Champion, Paris 1927.

DEPARADIS, (V.):

Tunis et Alger au XVIII^{es}, bib. Arabe
Sindbad, Paris 1983.

DEPONT ET

CAPPOLANI

DESJOBERT, (A.):

Les confréries religieuses musulmanes, A.
Jourdan, Alger 1897.

La question d'Alger , politique ,
colonisation , commerce, Dufart Lib. Paris
1837.

BERTHIER, (A.)

BOUTIN, (Y.):

BOUABBA, (C)

BOYER, (P.)

BOYER, (P)

CARETTE

CAT, (E.)

CHARLI

- DESTRY, (S.): Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours , Tours 1845
- DETASSY, (L.): Histoire du Royaume d'Alger , Henri du Souzet, Amsterdam 1725.
- DEVOULX, (A.): Le registre des prises maritimes, trad. D'un document authentique et inédit, A. Jourdan, Alger 1872.
- DEVOULX, (A.): Les archives du consul général de France à Alger , imp. Marius Olive, Marseille 1863.
- DOUIN, (G.): Mohamed Ali et l'expédition d'Alger, 1829-1830 , inst. Français d'arch. Orientale , Le Caire 1930.
- DOUTTE, (E.): Notes sur l'islam Maghrébin , les Marabouts , E. ROUX éd. , PARIS 1900.
- DUVAL, (J.): L'Algérie, tableau historique, descriptif et statistique, Hachette , Paris 1859
- ESQUER., (G.): Les commencements d'un Empire la prise d'Alger, lib. La Rose , Paris 1929.
- GAFFAREL, (P.): L'Algérie, histoire conquête et colonisation , lib. De Firman Didot et Cie. , Paris 1883.
- GAID, (M.): L'Algérie sous les Turcs , maison Tunisienne de l'éd. Tunis 1974.
- GAID, (M.): Chronique des Beys de Constantine, O. P. U. , Alger S. D.
- GALIBERT, (L.): L'Algérie ancienne et moderne, Furine et Cie. Paris 1844.

GARROT, (H.):

Histoire générale de l'Algérie, imp. P. Crescenzo Voutes, Alger 1910.

GODFREY, (F.):

Légende Barbaresque, guerre, commerce et piraterie en Afrique 1415-1830, trad. Et annoté par Farida Hellal, O.P.U., Alger 1991.

GRAMMONT, (H.D.E.):

Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830, E. Le roux, Paris 1887.

GUEMARD, (G.):

Les réformes en Egypte d'Ali Bey EL Kahir à Mohamed Ali 1760 -1848, imp. Barbey, LE Caire 1936.

HABART, (M.):

Histoire d'un parjure, éd. Minuit ; PARIS 1960.

JULIEN, (CH. A.):

Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871, P. U. F., Paris 1964.

LAVISSE, (E.):

Histoire générale du IV^es ; à nos jours, T.10., A. Colin et Cie, PARIS 1898

LEMARCHAND, (E.):

L'Europe et la conquête d'Alger lib. Acad Perin et Cie, Paris 1913

LESPES, (R.):

Alger étude géographique et d'histoire urbaines, lib. F. Alcan, Paris 1930

MARCHIKA, (J.):

La peste en Afrique septentrionale, histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830, (thèse de doctorat en médecine), A. Jourdan, Alger 1927.

MONTAGNON, (P.):

La conquête de l'Algérie 1830 - 1871, Pygmalion, Paris 1986.

DESTRY, (S.):

DETASSY, (L.):

DEVOULX, (A.):

DEVOULX, (A.):

DOUTIN, (G.):

DOUTTE, (F.):

DUVAL, (J.):

ESQUER...

GAFFAR

GAID, (O):

GAID, (O):

GALIE

- NETTEMENT, (A.): Histoire de la conquête d'Alger, lib. J. Lecoffe, Paris 1867.
- NOGUERES, (H.): L'expédition d'Alger 1830, R. Julliard, Paris 1962
- PLANTET, (E.): Correspondances des Deys d'Alger avec la cour de France 1579 -1833, 2T. éd. Bouslama, Tunis 1981.
- PONTEIL, (F.): L'éveil des nationalités et le mouvement libéral 1815 -1848, P. U. F., Paris 1968.
- ROY, (J. J. E.): Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus recules jusqu'à nos jours, AD. Mame et Cie., Tours 1859.
- ROZET ET CARETTE: Algérie, Didot Frères éd., Paris 1850.
- SHAW: Voyage dans la Régence d'Alger, trad. Par J. Mac Carty, 2éd. Bousalama, Tunis 1980.
- TEMIM, (A.): Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830-1837, pub. , R. H. M., Tunis 1978.
- THAINVILLE, (D.): Mémoire sur Alger 1809, Pub: par G. Esquer, lib. Champion, Paris 1929.
- WEISSMANN, (N.): Les Janissaires, (thèse de doctorat), université de Paris 1935.

رابعاً : المقالات العربية والمترجمة

أبو القاسم سعد "عن نشاط العسكري والتجاري الجزائر في القرن 18م/12هـ"
 المجلة التاريخية المغربية، العدد 34، تونس 1984.
 الله:

أبو القاسم سعد "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر 1695"، مجلة التاريخ
 تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 18
 الجزائر 1985.

- أحمد توفيق
المدني:
بونو
سلفاتور:
جمال قنان:
صلاح العقاد:
عبد الحميد
زوزو:
محمد العربي
الزبيدي:
مولاي
بالحميسي:
ناصر الدين
سعيدوني:
ناصر الدين
سعيدوني:
- "من الوثائق العثمانية عن تاريخ الجزائر. محمد علي - طاهر باشا". مجلة التاريخ تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية العدد 12، الجزائر 1982
- "العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد العثماني". مجلة الأبحاث. تصدر عن وزارة الشؤون الدينية. ترجمة فيليب بن تومي. العدد 6 - 7، الجزائر 1972
- "عنصر في الأزمة الجزائرية الفرنسية 1827". مجلة التاريخ تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية عدد خاص الجزائر 1984
- "الأحوال الاجتماعية والنظم الإدارية في الجزائر قبل الغزو الفرنسي". المجلة التاريخية المصرية، المجلد 12، القاهرة 1964 - 1965
- "هدنة 1810 بين الجزائر والبرتغال". مجلة التاريخ. تصدر عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 11، الجزائر 1981
- "مقاومة الجزائر للتكتل الأوربي قبل الاحتلال" مجلة الأبحاث. العدد 12، يناير-فبراير، الجزائر 1973
- "سياسة الضرائب بالجزائر في أواخر العهد العثماني". أعمال ملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب. ج 1 منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983
- "ثورة ابن الأحرش بين التمرد والانتفاضة الشعبية". مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد 78، الجزائر 1983
- "الإدارة العثمانية في الأرواح الجزائرية". المجلة المغربية التاريخية، العدد 5 - 6 تونس 1982

- ناصر الدين "الأحوال الصحية والوضع الديموغرافي بالجزائر أثناء العهد التركي". مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد 92، الجزائر 1982. سعيدوني؛
- ناصر الدين "ملكية الأراضي بالجزائر أواخر العهد العثماني وتأثيرها على البنية الاجتماعية بالزيف". أعمال ملتقى الثالث لتاريخ وحضارة المغرب، ج 1، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983. سعيدوني؛
- يحيى بوعزيز؛ "الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر"، مجلة الثقافة، تصدر عن وزارة الثقافة، العدد 80، الجزائر 1984.

خامسا : المقالات باللغة الأجنبية

- ARNAUD, (C.): « Attaque des batteries d'Alger par Lord Exmouth 1816 », R. A. N° 19, 1875.
- ARNAUD, (L.): « Histoire de L'Ouali Sidi Ahmed et Tedjani », R. A., N°5, 1861.
- BERBUGGER, (A.): « Un Cherif Kabyle 1804 », R. A. , N°3 , 1858-1859.
- BERBRUGGER, Sir Harry Neal, « Guerre de 1824 entre Alger et l'Angleterre », R. A. N° 8, 1864.
- BLANCHI, (M. X.): « Relation de l'arrivée dans la rade d'Alger du vaisseau de S. M. LE Comte de Labretonniere » , R. A. N° 21, 1877.
- BIGONET, (E.): « Une lettre du Bey de Constantine » , R. A. N°43, 1899.
- BOYER, (P.): « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger XVI^es - XIX^es », R. O. M. M. N°1, AIX 1966.

- BOYER, (P.): « Le problème Koulonghli dans la Régence d'Alger », R. O. M. M. N° Spécial, 1970.
- BOYER, (P.): « Des Pachas triennaux à la révolution D'Ali Kodja Dey 1517 - 1817 », R. H. N° 495, P. U. F, 1970.
- BOYER, (P.): « Introduction à une histoire intérieure de la Régence D'Alger », R. H. N° 478, P. U. F, 1966.
- COLOMBE, (M.): « Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjaq D'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence d'Alger », R. A. N° 86-87, 1942-1943.
- DELPECHE, (A.): « Résumé historique sur le soulèvement des Derkaoua de la province d'Oran, d'après la chronique D'El Mosselem Ben Mohamed Bach Defier du Bey Hassan de 1800 à 1813 », R. A. N° 18, 1874.
- DEVOULX, (A.): « Recherches sur la coopération de la Régence d'Alger à la guerre de l'indépendance Grecque », R. A. N° 7, 1856 à 1857.
- EISENBERG, (M.): « Les Juifs en Algérie, esquisse historique depuis les origines jusqu'à nos jours », inst. de l'encyclopédie coloniale et maritime, PARIS 1930.
- EMERIT, (M.): « L'essai d'une marine marchande barbaresque au XVIII », C. T. N° 11, 3^e t., Tunis 1955.
- EMERIT, (M.): « Une cause de l'expédition d'Alger, le Trésor de la Cashah », extrait du bulletin de la section d'histoire moderne et contemporaine, imp. Nationale, Paris 1955.
- EMERIT, (M.): « Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du nord du XVIII au début du XIX e s. », extrait des travaux de l'inst. de recherches saharien, imp. Imbert, T. XL, Alger 1954.

المجلات أثناء العهد الثقافي، العدد 92.

الني وتأثيرها على الثالث لتاريخ جوعات الجامعية.

الريفي بالشرق نافة، تصدر عن

ARNAUD.

ARNAUD.

BERBUG
(A.):

BERBRU
(A.):

BIANCH
X.):

BIGON

BOYER

- FERAUD, « Zebouchi et Osman Bey », R. A. N°6, 1862.
(C.):
- FERAUD, « Destruction des établissements Français de La calle
(C.): 1827 », R. A. N° 17, 1876.
- GALLISS « L'Algérie précoloniale », centre d'études et de
OT, (R.): recherches Marxiste, Paris 1968.
- HADJ « La prise d'Alger raconté par un Algérien », trad.
AHMED, Ottocar de Shlechtta, J. A. 5e. série N° 29, T. XX, sept.
(E.): Oct. 1862.
- MRRSIOL, « La Régence d'Alger vue par un allemand à la fin du
(E.): XVIIIe », 2e; congrès national des sciences
historiques, pub. Société hist. Algérienne 1930.
- PLAYFAIR « Épisodes de l'histoire des relations de la Grande
, (R. L.): Bretagne avec les états Barbaresques avant la
conquête Française », R. A. N° 22, 1878.
- RINN, (L.): « Le Royaume d'Alger sous les derniers Deys », R. N.
N° 41-42, 1897-1898.
- ROBIN, « Note sur l'organisation militaire et administrative
(N.): des Turcs dans la Grande Kabylie », R. A. N° 17,
1873.
- ROBIN, « Note sur Yahia Agha », R. A. N° 18, 1874.
(N.):
- TEMIML, « Documents Turcs inédits sur le bombardement
(A.): d'Alger 1816 », R. O. M. M. N°45, 1^{re} et 2eme;
1968
- VAYSSETT « Histoire des derniers Beys de Constantine », R. A.
ES, (E.): N°3 1858
- WATBLED « Etablissement de la domination turque en Algérie »,
, (E.): R. A. N° 101, 1893
- WATBLED « Expédition du Duc de Beaufort contre Djidjeli
, (E.): 1664 », R. A. N° 101, 1873.
- WATBLED « Pachas, Pachas Deys », R. A. N° 101, 1873.
, (E.):

الملاحق

تقرير آغا تشريفات الجزائر حول كيفية استقبال عمر باشا للقبطان
الإنجليزي اللورد إكسموث عام 1816 م. (١)

إنه التقرير الذي سلمه آغا التشريفات (الحاج عبد الله) آغا الموجود
بالباشا بالأسنانة في مهمة رسمية حيث كلفه أمير أمراء أوجاق جزائر الغرب
عمر باشا بمهمة إيصال الهدايا المتواضعة التي أرسلها الباشا المذكور باسم
أوجاق جزائر الغرب المنصورة إلى الدولة العثمانية العلية وتقديمها إلى المقام
السامي العالي والتقرير المشار إليه أنفا يتعلق بمسألة الأسرى الذين كانوا
سبب الخلاف الذي نشب بين الباشا والإنجليز.

للعلم الهمايوني أنه في اليوم الأول من غرة جماد الثاني من هذه السنة
الباركة جاء القائد الإنجليزي بأسطوله المتكون من سفينة ذات ثلاثة مخازن
وخمسة قطع من الرافعات وفرقطين وقوروت وبريق متنوعة الأحجام. ويصل
عدد هذه القطع إلى أربعين قطعة. جاء القائد المذكور بأسطوله إلى واجهة
أوجاق جزائر الغرب، وبعد أن رسا بالقرب من الأوجاق، أرسل مبعوثا إلى
الباشا ليخبره بأنه يريد اقتداء الأسرى السردانيين الموجودين في أوجاق
الجزائر لأن هؤلاء الأسرى يعتبرون من رعايا إنجلترا لكون سردينيا كانت
تحت إدارتها. فإذا وافق والي الجزائر على ذلك، فإنه مستعد أن يدفع مقابل
كل رأس من هؤلاء الأسرى البالغ عددهم 50 أسيرا ألف ريال. وقد وافق
أمير أمراء جزائر الغرب على الاقتراح الذي عرضه عليه القائد الإنجليزي.

وهكذا حلت المشكلة بين الطرفين بالصلح والسلام والود والوثام وبالرفق
المبادل.

إلا أن القائد الإنجليزي لم يقف عند هذا الحد فقط، بل طلب أيضا من
الباشا أن يطلق سراح الأسرى النابوليتانيين البالغ عددهم 1200 أسير
والذين كانوا قد أسروا منذ مدة طويلة. وقد عرض القائد الإنجليزي على
الباشا ألف ريال مقابل كل رأس. إلا أن الباشا لم يستجيب لهذا الطلب
حيث رد على القائد بقوله: إن النابوليتان دولة مستقلة ولها ملكها، فإذا
جاء الطلب منه بشأن اقتداء أسراهم، فإنني مستعد أن أدفع إليكم هؤلاء
الأسرى أيضا، وعندئذ أجابه القائد: لا داعي أن يطلب ملك النابوليتان منكم
تحرير الأسرى ما دمت مستعد أن تدفع لكم قديتهم. فأجابه الباشا قائلا: إن
إنجلترا دولة تربطها علاقات وطيدة بالدولة العلية و أوجاقنا تابع لها أيضا
ونحن كلنا رعايا مولانا وبادشاهنا المعظم. ولذا فإننا مستعدون لتسليم
الأسرى، لكن بعد أن تدفعوا ثمن قديتهم المتفق عليه.

ولما تلقى القائد الإنجليزي جواب الباشا المتعلق بتسليم الأسرى
النابوليتانيين غادر الجزائر متجها إلى تونس وطرابلس الغرب، وبعد أن مكث
هناك شهرا، رجع إلى الجزائر. وعندما التقى مع مولانا الباشا قال له: عندما
غادرت الجزائر متجها إلى أوجاقي تونس وطرابلس أخبرني ملكنا بأنني
بإمكانني أخذ الأسرى حسب الاتفاق المبرم بيننا، ويتم استلامهم على ثلاث
دفعات، ولكن بشرط أن يقوم أوجاق الجزائر بعد تنفيذ هذا الاتفاق برد كل
الأسرى الذين وقعوا في الأسر أثناء الحرب، وبهذه الطريقة، نكون قد منعا
الأسر والاسترقاق بصفة نهائية، ويتم بعد ذلك إبرام معاهدة بيننا.

أيضا من
120 أسير
تليزي على
هذا الطلب
فها ن فإذا
نكم هؤلاء
يتان منكم
قائلا إن
لها أيضا
تسلم

الأسرى
أن مكث
عندما
كنا بالنسبة
على ثلاث
ل يرد كل
قد منعنا

وقد أجدد مولانا ألبانا ١٢٠٨ من أيضا تسلي وتعود وقد تمرد
سيدا و بامبامو العظيم خدمت قبل الملك الإمبري في شروطه
دون انتظار فوجدان الدولة العلية هذا مولانا ألبانا هذا ما أن التحمل زيادة
الدولة العلية خلافا للشرع الشريف ومع هذا هذا سوف نوسل هيك
التكديفة إلى الدولة العلية باسم أوجادلي المقصورة وبعد ذلك يفسر فوجدان
شاهاني حال في هذا الشأن ونحن نعلم ثم به يستند

وبعد هذا الرد ، قال الملك الإمبري : إني لا يمكنني انتظار كل هذا
الوقت . إما أن يتم تسليم الأسرى الذي أودع هذا من قبل حسب الشروط
التي وضعتها ، وإلا فنحن نوسل صديقا لكم حتى التحمل بالنسبة هذه . وأما
منكم مولانا فاحمد خلال ثلاث ساعات

وما سمع مولانا ألبانا هذه الإجابة التي أخبرها تهمينا جميع صبيح
أعالي الأوجادلي وأخبرهم بحراب الملك . وبعد ذلك شرع الجنود في
التشاور لرد على جواب الملك ، واكتفوا في النهاية بتسليم هذا جواب
أسطول الملك في إطار الحرب عليه . واستند جميع أعالي حوالم الحرب
الأسطول : إلا أن ألبانا منهم من ذلك قائلا لهم : تكونوا هم الأسرى لا
نحن . وما أورد الملك الإمبري استند أعالي حوالم الحرب في الرد
الأبيض واعتذر عن تصرفاته . وقبل في النهاية تسوية مشكلة الأسرى في
إطار الأوامر الشاهانية التي سوف تصدر في هذا الشأن بعد ستة أشهر
وانتهى النزاع بين الطرفين بهذه الكيفية . وحسب الملك الإمبري من ذلك
أن يتولى هو بنفسه مهمة توصيل هذه الحرائم الشاهانية إلى القسم الشاهاني
أعالي

تلك هي قصة الأسرى التي وقعت بين القائد الإنجليزي ومولانا الباشا
كما بينت ذلك في التقرير الذي سلمته إلى المحاكم الشاهانية العالي قصد تحقيق
النظر الشاهاني والإطلاع الهمايوني. ولا شك أن الأمر والقرمان في هذا
الشأن صاحب العطف والعناية حفرة الباشا المعظم.

ملحق (2)
ملخص لرسالتي الداى حسين إلى السلطان محمود الثاني حول الحرب
الإنجليزية الجزائرية عام 1824 م. (1)

وزيرى المحترم

لقد اطلعت على تقريرك المتعلق بالنزاع الذي نشب بين أوجاق جزائر
الغرب والإنجليز، كما اطلعت على تقرير القبطان باشا الذي ورد بهذا
الخصوص وعلى التحريرات التي وردت من قبل الأوجاق المذكور في هذا
الموضوع.

ولا شك أن هذه الوضعية تؤيد أشد التأييد سوء نية الإنجليز وفساد
تفكيرهم وأدمغتهم. كنا نسايس الفرنج ونعاملهم بالرفق واللفظ لانشفائنا
بتأديب عصاة الروم وأشقائهم حتى لا يميلوا إليهم ويتعاطفوا معهم، فيقلب
الكل ضدنا. ولكن الكفار أدركوا السياسة المتبعة إزاءهم فبدؤوا يعكرون
الجو ويقومون يوما بعد يوم بأعمال تخريبية في النواحي المختلفة من الممالك
المحروسة للدولة العلية. ولا شك أن ما وقع منهم في الجزائر جزء من ذلك
الفساد الذي يريدون إيقاعه في الممالك المحروسة. فير أن الجزائريين رجال
مجاهدون ويعرفون كيف يدافعون عن الدين والوطن، وهم أمة متينة،
واسعاف الأمة المتينة بالمساعدات اللازمة من شيمة المروءة والتدين، ولا
يجوز التخلي عنها في أيامها العصيبة مع أعدائها، ولذا يجب تنظيم الأمر
والعمل بالمقتضى اللازم حسبما جرى ذلك في المذكرة التي وردت من
الخوادم.

الخط الهمايوني

م-م- و رقم الوثيقة 1242/22550

تدور هذه الوثيقة حول المحضر الرسمي الذي تم إرساله إلى حضرة
القيطان باشا من قبل أوجاق جزائر الغرب، والرسالة التي وردت من حسين
باشا أمير أمراء جزائر الغرب إلى الحضرة الملوكانية.

وكان محتوى الرسالتين المذكورتين يدوران حول موقف الإنجليز من
الأوجاق بعد جريان الحرب وانعقاد الصلح بين الطرفين.
وكان المطلوب من القيطان باشا أن يقوم برفع وتقديم الرسالتين
المذكورتين إلى المقام الشاهاني العالي قصد الإعلام والإحاطة بمضمونهما.
ولذا فهو قد أرسل الرسالتين مرفقتين بتذكرة من عنده ليتم المطلوب.

مما جاء في محتوى الرسالتين أن الإنجليز على الرغم من انعقاد الصلح
بين الطرفين بعد الحرب، مازالوا ينظرون إلى القضية نظرة غالب ومغلوب.
ويعتبرون أنفسهم غالبين والجزائريين مغلوبين، ويتصرفون على هذا الأساس
تصرفا لا يتفق مع الصلح المبرم بين البلدين حيث يأتون بسفنهم إلى واجهة
ميناء الجزائر ويظهرون عضلاتهم أمام الجزائريين للضغط عليهم وتخويفهم.
فعلى هذا الشكل والمتوال جاءت بعض السفن الإنجليزية إلى واجهة ميناء
الجزائر وأرست بالغرب من المدينة، وعند ذلك خرج القنصل الإنجليزي من
قصره وذهب إليهم ثم بعد ذلك أرسل شخصا إلى أمير الأوجاق يعرض عليه
شروطا قاسية التي لا يمكن قبولها بأي حال من الأحوال، منذرا ومتوعدا
بالتوجه إلى ولايته إن لم تقبل تلك الشروط. وإذا قبلت شروطه، فإنه يرجع
إلى قصره بالجزائر. وإزاء هذا الموقف الذي اتخذته القنصل عقد الداي اجتماعا
لدراسة الوضع الناتج عن تهديدات القنصل والنظر في الشروط المعروضة
عليه. وقد اتفق في الاجتماع على عدم قبول تلك الشروط. وعلى إثر ذلك
انطلق القنصل بالسفن الإنجليزية إلى الخارج متظاهرا بالعودة إلى بلاده. وفي

طريقه بدون مبررات. حتى بعض المراكب الجزائرية التي تصادف وجودها في

وبعد مرور بضعة أيام، رجع القنصل المذكور ومعه بعض السفن الإنجليزية الأخرى إلى واجهة ميناء الجزائر. وبدأت السفن تقوم ببعض المناورات الحربية. وأمام هذا الوضع الجديد بادر الجزائريون بوضع السفن الجزائرية الموجودة بالميناء وكذا سائر الآلات في المخازن حتى لا يطرأ عليها التلف والهلاك. وإلى جانب هذا تم جمع الأمراء من الولايات لتدارس الوضعية الجديدة بصفة جماعية لإعلان الحرب على الإنجليز إذا اقتضى الأمر ذلك. وهذا ما توصل إليه المجتمعون بعد مباحثات طويلة حيث أعلنوا في نهاية هذا الاجتماع قرار إعلان الحرب ضد الإنجليز.

وبعد هذا القرار الاضطراري أردنا الاتصال بالمقام الشاهاني الكريم لإحاطته بالأوضاع الجديدة التي نتجت عن الموقف السلبي الذي اتخذته الإنجليز ضدنا من جهة، والموقف الذي اتخذناه بالإجماع إزاء ذلك من جهة أخرى. وكان اتخاذنا لقرار الحرب - في المقام الأول - اعتماداً على أنه تم على عطف وحماية ومساعدة المقام الشاهاني التي لم تنقطع عنا في يوم من الأيام، خاصة في مثل هذه اللحظات الحرجة التي هلك فيها جزء كبير من الجنود والتابعين للأوجاق بسبب انتشار الوباء في البلاد. لذا فنحن في حاجة ماسة إلى جلب الجنود من أزمير وضواحيها حتى نتصنح من مواجهة الإنجليز والدفاع عن الدين والوطن.

وبناء على ذلك، بعثنا إلى المقام الشاهاني الكريم الرسالتين المذكورتين اللتين تضمنتا أخلص آمياتنا للمقام الشاهاني الكريم وأرجو منه أن لا يتخلى

عنا وعن الأوجاق في مثل هذا الظروف الحرجة، وأن يتجلى علينا بالطفاف
الشاهانية المستمرة وبأمر بإصدار فرمان لإعطاء الفرصة الكافية إلى الحاج
خليل مفتي الجزائر المقيم بأزمير لطلب ما يلزم من الجنود من أزمير
وضواحيها.

الغيساوي محمد
LAISSAQUI MOHAMED

وبما أنه من المتعذر إرسال هؤلاء الجنود عن طريق البحر نظرا لمراقبة
القوات الإنجليزية على الحدود البحرية المواجهة للجزائر، فإنه يمكن في هذه
الحالة إرسالهم على دفعات قوام كل منها خمسين أو ستين جنديا عن طريق
تونس وطرابلس الغرب، ومن هناك يمكن إرسالهم إلى الجزائر برا، بشرط
الاتفاق مع وكلاء تونس وطرابلس الغرب المقيمين بأزمير.

وأنا نعاهد المقام الشاهاني بأننا سوف ندافع عن عصمة ديننا دفاع
الأبطال، وإذا أخذنا هذه المرة من قبل الإنجليز على غرة ومفاجأة، فإن ذلك
لن يتكرر مرة أخرى بإذن الله، ويتأييد المقام الشاهاني الكريم. كما أنه لم
يؤثر على عزيمتنا في الجهاد، فتحن معروفون لدى الأعداء والأصدقاء بالجهاد
والثبات. ولن يرى السلطان المعظم منا هذه المرة بإذن الله إلا ما تقر به عيناه
ويفرح به فؤاده.

تلك هي المعلومات التي وردت في الرسالتين المذكورتين، وفي ضوء
هذه المعلومات انعقد المجلس الاستشاري لدراسة الموقف والنظر إلى إمكانية
إمداد الأوجاق بالمساعدات اللازمة وذلك انطلاقا من الأوامر الشاهانية التي
صدرت بهذا الشأن.

وبعد مداولات مطولة قرر المجلس إمداد الأوجاق بالمساعدات اللازمة
وارسال الجنود إلى الأوجاق عن طريق تونس وطرابلس الغرب ومنها إلى
الجزائر برا دون اهتمام لما قد يصدر من الإنجليز تجاه هذه المساعدات.

ملحق (3)

المشهور الفرنسي الذي وزع بالجزائر قبيل الاحتلال⁽¹⁾
هذه متادة من سار عسكر أمير الجيوش الفرنسية إلى سكان الجزائر
وأهالي القبائل - باسم الله المهيدي المعيد وبه نستعين -

يا أيها ساداتي القضاء والإشراف والعلماء وأكابر المشايخ
والاختيارية اقبلوا مني أكمل السلام وأشمل أشواق قلبي بمزيد العز
والإكرام. أما بعد أعلموا هداكم الله إلى الرشيد والصواب إن سعادة سلطان
فرانسة مخدمومي وعزة جنابه الأعلى عز نصره قد أنعم على توليته إياي
منصب سار عسكر. وبما أعز أصدقائنا ومحبينا سكان الجزائر ومن ينتمي
إليكم من شعب المغاربة إن الباشا حاكمكم من حيث أنه تجراً على يهدلة
ببرق فرانسة المستحق كل الاعتبار وأقدم على إهاتته فقد سبب بجهله هذا
كل ما هو غتيد أن يحل بكم من الكوارث والمضرات لكونه دعى عليكم
الحرب من قبلنا فإن عزة اقتدار سلطان فرانسة دام ملكه نزع الله من قلبه
مرحمته المعهودة ورأفته المعروفة المشهورة فلا بد أن هذا الباشا حاكمكم من
قلة بصيرته وعمارة قلبه قد جذب على نفسه الانتقام المهول وقد دنا من
القدر المقدر عليه وعن قريب يحل به ما استحقه من العذاب المهين.

⁽¹⁾ « Proclamation du G^l Bourmont aux Algériens 8 Juin 1830 », M. et D.
Algérie 1825-1830, T.4, AR. M.R.E France.

انظر أيضا أحمد الشريف الزهار، مذكرات تقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني،
ص 177.

وكذلك أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 277 - 280.

أما أنتم يا شعب المغاربة اعلموا وثأكدوا بقينا إلي لست ألتجأ لأجل
محاربتكم فعليكم أن لا تزالوا أمنين ومطمئنين في أمانكم وتعملوا أشغالكم
وكل مالكم من الصنائع والحرف براحة سرور. ثم أني أحقق لكم أنه ليس بيننا
من يريد يضركم لا في مالكم ولا في أعمالكم. ومما أضمن لكم أن بلادكم
وأراضيكم ويسايتكم وحواليكم وكل ما هو لكم صغيرا كان أو كبيرا يبقوا
على ما هو عليه ولا يتعرض لشيء من ذلك جميعه أحد من قومنا بل يكون
في أيديكم دائما. فأمثوا يصدق كلامي. ثم إننا نضمن لكم أيضا ولعندكم
وعدا حقيقيا مؤكدا غير متغير ولا متأول أن جوامعكم ومساجدكم لا تزال
معمودة معمورة على ما هي الآن عليه وأكثر وأنه لا يتعرض لكم أحد في أمور
دينكم وعبادتكم فإن حضورنا عندكم ليس هو لأجل محاربتكم وإنما قصدنا
محاربة باشاتكم الذي بدأ وأظهر علينا العداوة والبغضاء.

ومما لا يخفى عليكم غاية تحكمه وقبح طبعه المشؤم ولا ينبغي لنا أن
نظلمكم على أخلاقه الذميمة وأعماله الرذيلة فإنه واضح لديكم أنه لا يسمي
إلا على خراب بلادكم ودشارها وتضييع أموالكم وأعماركم. ومن المعلوم أنه
إنما يريد أن يجعلكم من الفقراء المنحوسين المهذلين الخاسرين أكثر من
المسخط عليهم. فمن أعجب الأمور كيف يخفى عنكم أن باشاتكم لا يقصد
الخير إلا لذاته والدليل كون أحسن العمارات والأراضي والحيل والسلاح
واللبس والحلي وأما أشبه ذلك كله من شأنه وحده.

فيا أيها أحبائنا سكان المغرب أنه عز وجل ما سمح بأن يصدر من
بашاتكم الظالم ما فعله من أعمال الخبث والوردي إلا إلغاما منه سبحانه
وتعالى عليكم حتى تحصلوا بهلاكه وبزوال سلطته على كل خير ويخرج عنكم
ما أنتم فيه من القم والشدة واذا والحل هذه اسرعوا واشتموا الفرصة و

(1)
كان الخزانة

المشايخ
زيد العز
سلطان
ليته إياي
من ينتمي
لي بهدلة
مهله هذا
عليكم
من قلبه
مكم من
دنا منه

1 «Pr
Alg
المدني»

تعمى أبصاركم عما أشرقته الله عليكم من نور اليسر والخلاص ولا تغفلوا عما
فيه مصلحتكم بل استيقظوا لكي تتركوا باشاتكم هذا وتتبعوا شورتنا الذي
يؤول إلى خيركم وصلاحكم. وتحققوا أنه تعالى لا ينبغي قط ضرر خليفته بل
يريد أن كل واحد من براياه يحوز ما يخصه من وافر نعمه التي أصبغها على
سكان أرضه.

يا أيها أهل الإسلام إن كلامنا هذا صادر عن الحب الكامل وأنه
مشمول على الصلح والمودة، وأنتم إذا شيعتم مراسيلكم إلى أوردنا حينئذ
تتكلّم وإياهم والمرجو من الله تعالى إن محادثتنا مع بعضنا بعض تؤول إلى ما
فيه منافعكم وصلاحكم. وعشمننا بالله أنكم بعد ما تحققت أن مقاصدنا
وغايتنا الفريدة ليست هي سوى خيركم ومنفعتكم تشيعوا لنا صفة
مراسيلكم كل ما يحتاج إليه عسكريا المنصور من الذخائر ما بين طحين
وسمن وزيت وعجول وغنم وخيل وشعير وما يشبهه. وحين وصلت
مرسالاتكم إلينا فحالاً ندفع الثمن فلوما نقدية على ما تريدون أكثر.

هذا وأما إن كان منكم معاذ الله خلاف ذلك حتى تختاروا محاربتنا
ومقاومتنا أعلّموا أن كل ما يصيبكم من المكروه والشر إنما يكون سببه من
جهتكم فلا تلوموا إلا أنفسكم فأيقنوا أنه ضد إرادتنا فليكن عندكم محققاً
إن عسكريا المنصورة تحيط بكم بأيسر مرام ودون تعب وإن الله يسلطها
عليكم فإنه تعالى كما أنه يأمر من يجعل لكم النصر والظفر بالمرحمة
والمسامحة على الضعفاء المظلومين فكذلك يحكم بأشد العذاب على المفسدين
في الأرض العائنين على البلاد فلا بد أنكم أن تعرضتم لنا بالعداوة والشر
هلكتم عن آخركم.

هذا أيها السادة ما يدأ لي أن أكلمكم به فهو نصيحة مني إليكم فلا
تفعلوا عنه واعلموا بأن صلاحكم إنما في قبوله والعمل عليه وإن هلاككم لا
يرده منكم أحد إن عرضتم عما نصحتكم وأنذرتكم به وأيقنوا يقيناً مؤكداً
أن كلام سلطاننا المنصور المحفوظ من الله تعالى غير ممكن تغييره لأنه مقدر
والمقدر لا بد أن يكون السلام على من سمع وأطاع.

أما
الذي
بل
على

وأنه
يستند
ما
دنا
حبة
حين
لت

تنا
من
قها
ها
تم
ن
ن

فهرس الأعلام والقبائل والجماعات

فهرس الأعلام

أ.

أبا زيان 12

أبو عبد الله الغزلاوي 71

أبي حمو 11، 12

إبراهيم باشا 20

إبراهيم 184، 207، 208، 224

ابن بركات 67

ابن الأحرش 30، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99

100، 101، 102، 103، 108، 234

ابن سحنون 74

ابن الشريف 90، 98، 101، 102، 104، 105، 106، 107، 108

ابن عبد الله 68

ابن مالك 32

أحمد باشا 16

أحمد باي 34، 207، 202، 224، 226

أحمد بن الأبيض 66

أحمد بن هطال 103

أحمد بن يونس 80

أحمد التيجاني 108

أحمد خوجة 18، 88

إسحاق 12

إسماعيل السلطان 27

إلكسندر 43, 151, 152, 153, 154, 155, 241

إمري 193

إن التمسوية 118

الأمير عبد القادر 90, 206, 224

بهد

بزاروس 4

بوي 37

بولان 45, 59, 176, 198

بوجناح (بوجناق) 52, 99, 120, 121, 122, 125, 126, 127

بوتشفس 105, 106

بورمون 105, 106, 196, 199, 200, 202, 254

بكري 52, 70, 99, 121, 122, 124, 125, 126, 127, 128

بوغور 21, 80

بولشيان 179, 180, 181, 182, 192, 197

بشروف 180

برج 175

برز 187

بش

تاتيل 51, 54, 140, 142, 176

ج

جوني 69

جوزيان 69, 159

جيو مينو 180

- ح -

حسن باي 74, 75, 76

حسن بن خير الدين 112

حسن بن علي 107

حسن الداوي 84, 86, 94

حسين الداوي 31, 32, 33, 34, 35, 55, 127, 128, 159, 160,

161, 162, 163, 164, 177, 178, 183, 186, 192, 202,

203, 205, 206, 217, 218, 244.

حمدان بن عثمان 16, 28, 39, 205, 215, 222, 255.

حمودة باي 91

حميدو 51, 97, 144, 145, 158, 222

- خ -

خيفر باشا 19, 111

خير الدين 4, 5, 6, 10, 23, 28, 30, 77, 82

- د -

داتلي 130

دافيد همفرغيز 83

داوود دوران 88

داوود فرننديز 83

دروفتي 87, 180, 181

دو داماس 89

دو فال 145, 167, 179, 180, 185, 186.

دو فيسانس 89

دو طاسي 52

دو غرامون 1، 65

دو كړي 86

دو لاکړوا 86

دونالدسون 138

ديدي 68

ديکاتور 146

-ر-

-ز-

الزهار 33، 42، 86، 93، 98، 102، 106، 110، 159، 160،
162، 163، 203، 217، 223.

الزياني 31، 92، 93، 102، 105، 106، 107، 110، 217، 226،
-س-

سالم التومي 9، 11

سبنسر 163، 227

(سلطان) 6، 28

سليمان (سلطان) 45، 84

سليمان أبوقاية 86

سيمون بفايفر 179، 217

-ش-

شاتوبريون 103

شارل العاشر 184، 195، 196، 197، 200، 205،
شالر 13، 59، 74، 78، 145، 146، 153، 156، 157، 163،

164، 216، 226.

شعبان داي 79 , 80 , 83
- ص -

صالح راييس 17

صانصون 68

- ط -

طوماس لانش 45

- ع -

عروج 10 , 11 , 12 , 226

عثمان ياي 19 , 64 , 65 , 66

علي 10

علي خوجة 32 , 33 , 34 , 117

علي القبطان 107

علي آغا 21 , 104

علي داي 26 , 81 , 104

عمر باشا 33 , 240

المعتري 91 , 95 , 225

- ف -

فالكون 139 , 140

فان كابلان 154

فوديناند 11

فوقان الخليلي 74

- ق -

قدور باصون راييس 113

- ك -

كولي 183 ، 186 ، 224

كليرمون دو طونير 128

كيت 139

لـ.

لويس الرابع عشر (ملك) 119

لويس التاسع (ملك) 172

لويس الثامن عشر (ملك) 113

ليسنيغ 120

مـ.

ماك دونال 160 ، 164

المبارك 91 ، 240

محمد الفقون 95

محمد بن عبد الله الزيبوشي 64

محمد علي 85 ، 178 ، 181 ، 182 ، 223 ، 225 ، 232

محمد بن محمد بن عثمان باي 72

محمد بن الأمير 90 ، 106 ، 224

محمد بوكابوس باي 73

محمد الصادمي 106

محمد التيجاني 61 ، 74 ، 75

محمد باي 114

محمد أمقران 62

محمود الثاني (سلطان) 33 ، 40 ، 55 ، 150 ، 162 ، 217 ، 218 ، 244

محي الدين 100 ، 107

مردوشي 121

مولتيدو 124

المقراني 110, 98, 97, 82

مصطفى الوزناجي 85, 84

مصطفى داي 97, 96, 88, 87, 84, 69, 66, 64, 58, 34, 18

مصطفى باي 121, 120, 98, 84, 73, 70

مكريلي 33

ميترنيخ 192

ميمو 180, 179

- ن -

نابليون 142, 141, 140, 139, 125, 124, 90, 70, 51, 45

149, 174, 175, 176, 177, 199, 200

نيقولا بليفيل 127

نيلسون 92

- و -

وارد 107

وولف 108

- ه -

هاري نيل 167

هودر 184

- ي -

يعقوب 263, 130, 123

يوسف 228, 219, 128, 123

يحيى آغا 142, 141, 19

أ.

الإسبان 9، 10، 11، 12، 15، 18، 38، 43، 44، 48، 58، 59،
66، 115، 120، 147.

البرتغال 12، 43، 48، 52، 124، 136، 137، 138، 148، 235.

الأترك 40، 81، 93، 96، 103، 110، 116، 119، 149، 190،
202، 262.

الجزائريون 9، 10، 48، 51، 65، 75، 76، 77، 119، 141، 167،
168، 176، 202، 247.

الجنوبيين 50

الدرقاويون 106، 107

ع.

العثمانيون 38، 40، 48، 110، 111

الأعلاج 49

ف.

الفرنسيون 116، 186، 198، 200، 201، 202، 203، 204،

205، 208

الفلامينك 155، 158

ك.

الكراغلة 19، 31، 34، 38، 39، 45، 46، 79، 87، 89، 109،
110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117

م.

المصريون 62

نـ.

النابوليتان 151، 241

هـ.

الهولنديون 49، 157

يـ.

اليهود 29، 39، 51، 54، 63، 70، 73، 74، 76، 79، 81، 83،

85، 87، 89، 99، 111، 117، 118، 119، 120، 121، 122،

123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 138، 143،

178، 210.

الفهرس

مقدمة..... 5

مدخل..... 9

الفصل الأول: أوضاع الجزائر الداخلية

الأوضاع السياسية..... 27

الأوضاع العسكرية..... 43

الأوضاع الاقتصادية..... 56

الأوضاع الاجتماعية..... 79

الفصل الثاني: الثورات الريفية والصراعات الداخلية

الثورات الريفية..... 89

الصراع بين الكراغلة والسلطة الحاكمة..... 109

نفوذ اليهود واحتكاكهم للتجارة..... 117

الفصل الثالث: الجزائر والأطماع الأجنبية الاستعمارية

الصراع الفرنسي الإنجليزي وأثره على الجزائر..... 133

حملة الولايات المتحدة الأمريكية عام 1815م..... 143

الحملة الإنجليزية الهولندية عام 1816م..... 146

حملة الإنجليزية عام 1824م..... 158

الفصل الرابع: الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م وأصوله التاريخية

172	مشاريع فرنسا لاحتلال الجزائر
183	الحصار البحري الفرنسي للجزائر وآثاره الاقتصادية
191	الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830م ونتائجها
209	الخاتمة
213	المصادر
237	الملاحق
250	الفهارس
259	فهرس الموضوعات